

الجغرافيا العامة

موضوعات مختارة

دكتور أحمد علي إسماعيل

أستاذ الجغرافية

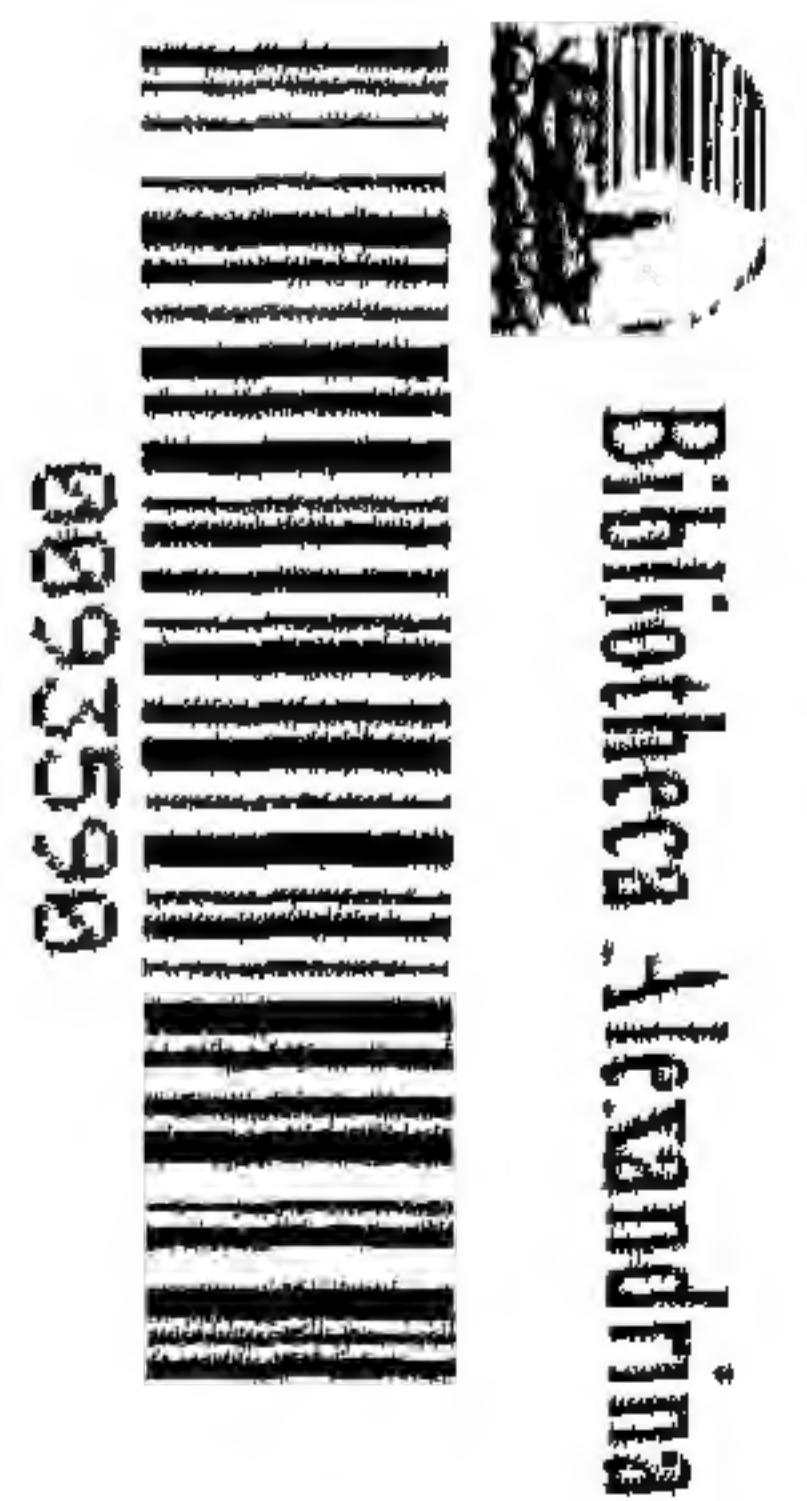
كلية الآداب - جامعة القاهرة

١٩٩٥ - ١٩٩٦

دار الثقافة للنشر والتوزيع

٢ ش سيف الدين المهراني - الفجالة

ت : ٥٩٠٤٦٩٦



الجغرافيا العامة

موضوعات مختارة

دكتور أحمد علي اسماعيل

أستاذ الجغرافية

كلية الآداب - جامعة القاهرة

١٩٩٥ - ١٩٩٦

دار الثقافة للنشر والتوزيع

٢ ش سيف الدين المهراني القجالة

ت : ٤٦٩٦ - ٥٩٠

مقدمة

أصبحت الجغرافيا تشكل موضوعا دراسيا أساسيا فى كثير من الكليات والمعاهد ، وأصبح غير الجغرافيين أكثر حاجة إلي مؤلفات فى بعض فروعها يمكن أن تمثل بداية للتعرف على هذه المادة ، والجغرافيا العامة أحد المناهج التى انتشر تدريسها فى كثير من أقسام التاريخ والاجتماع وكليات ومعاهد السياحة ، وذلك لتقديم الجغرافيا لطلاب هذه التخصصات . وربما يكون هذا الكتاب الذى يقوم على أساس انتقاء لبعض الموضوعات من الجغرافيا العامة وعرضها للطلاب محاولة فى هذا الاتجاه .

وقد اخترت أن أعرض لبعض مفاهيم الجغرافيا وفروعها المختلفة ثم لأهمية الخريطة والتعامل معها ، وبعد ذلك يتناول الكتاب بعض أجزاء من الجغرافيا الطبيعية ممثلة فى أبعاد والأرض ومكوناتها وأشكال السطح الرئيسية وتوزيعها على القارات ، وأما الأجزاء التى تعرض للشق البشرى فهى تتناول السكان وبعض الفصول عن الدولة ومقوماتها والحدود السياسية ثم عرض جغرافى للخريطة السياسية للعالم .

وأسأل الله أن يسد هذا الكتاب ثغرة وأن يلبي طلبا وأن يكون فيه فائدة للطلاب والباحثين .

أحمد على إسماعيل

حدائق الأهرام

٢٦ ربيع الآخر ١٤١٦ هـ

٢٢ سبتمبر ١٩٩٥ م

الفصل الأول

علم الجغرافيا

تعريفه ، تطوره وفروعه

يمثل علم الجغرافيا أحد الأركان الهامة فى المعرفة الإنسانية ، وهو يشكل ركيزة أساسية للثقافة ، فنحن فى حياتنا اليومية نتعامل مع الجغرافيا دون أن ندري أحيانا ، ففى نشرات الأخبار وفى الصحف والمجلات وفى مختلف وسائل الإعلام نسمع ونقرأ عن دول تقام بها احتفالات أو مناسبات عالمية مثل دورات الألعاب الاولمبية ، أو زيارات يقوم بها المستولون من دولة أخرى ، أو نسمع عن وقوع ثورة أو انقلاب عسكري وتغير فى نظام الحكم أو نرى ثورة لبركان أو حدوث الأعاصير والسيول أو الزلازل التى تدمر بعض مناطق من العالم ، أو أن موجه الجفاف قد أثرت على كثير من الدول الإفريقية مما أدى إلى حدوث المجاعة بها ، أو أن موجه حارة حدثت فى قطر ما أدت إلى إتلاف المحاصيل أو أن أسراب الجراد قد هاجمت الحقول فى منطقة من العالم ، كل هذه الأمور وغيرها ترتبط على نحو أو آخر بالجغرافيا لأن كل تلك الأحداث وقعت فى أماكن معينة من الأرض فإذا تعرفنا عليها فنحن إذن ندرس الجغرافيا .

وفى العالم الذى نعيش فيه اليوم ، لم يعد هناك مكان بعيد عن الآخر ، ولم يصبح أى قطر من الأقطار نائيا عن غيره ، وذلك لأن ثورة وسائل النقل والاتصال قد سهلت ربط أجزاء العالم ببعضها البعض ، حتى أصبح الانسان يسمع ويرى الأحداث فى لحظة وقوعها ، وأصبح لدى المواطن العادى فى أى قطر نوع من الحس العالمى وإذا كان الأمر كذلك فإن المثقف فى حاجة إلى تأصيل لهذه المعرفة

الجغرافية التى تنمى فيه الاحساس بالعالمية وتجعله أكثر فهما لما يجرى فى العالم من حوله وأكثر معرفة بمواقع الأحداث بل ومسبباتها ونتائجها أحيانا .

ولعلنا نسأل فى البداية :

ما هى الجغرافيا ؟

الجغرافيا علم قديم ، عرفه الإنسان منذ نشأته الأولى على سطح الأرض ، حيث كان من الضرورى له أن يتعرف على المكان الذى نشأ فيه ، والذى لا بد له من معرفة خصائصه من معالم السطح والمناخ والنبات والحيوان الذى يعيش فيه وموارد المياه التى تتوفر به وذلك حتى يستطع أن يؤمن حياته ضد الأخطار والمخاطر .

أما المعنى الحرفى لكلمة جغرافيا ، أو المصدر اللغوى الذى اشتقت منه هذه الكلمة فيرجع إلى لفظتين فى اللغة اليونانية القديمة وهما Ge بمعنى الأرض والتى أصبحت فى اللغة اللاتينية Geo وأما المقطع الثانى فهو Graphia بمعنى كتابة أو رسم أو صورة وبهذا يصبح معنى اللفظتين معا صورة الأرض Geographia والتى تحولت بعد ذلك فى اللغات الأوربية الحديثة إلى Geography فى الانجليزية أو Géographie فى اللغة الفرنسية ، وقد عرفها العرب بهذا الاسم بعد اتصالهم بالفكر والمعرفة اليونانية واللاتينية فكانوا يستخدمون مصطلح جغرافيا أو علم تقويم البلدان فى بعض الأحيان وذلك بعد أن ترجمت للعربية الكتب الجغرافية اليونانية فى القرون الأولى بعد ظهور الإسلام .

ولا يقف مفهوم الجغرافيا عند الوصف فقط ، ولكنه يمتد إلى التحليل والربط والتفسير أو التعليل ، بمعنى أن الجغرافيا لا تسأل فقط عن « أين ؟ » توجد الظاهرة محل الدراسة ولكنه من الضرورى أن تسأل ايضا « لماذا ؟ » وأن نبحث عن العلاقات والأسباب فمثلا لا نكتفى عند دراسة توزيع الجبال بمجرد معرفة أماكن وجودها ولكن لماذا توجد حيث هى ولا توجد فى مناطق أخرى ،

ويرتبط ذلك بتطور تاريخ الأرض من الناحية الجيولوجية ، وكذلك نحن لا نكتفى بمعرفة توزيع مناطق زراعة القمح أو القطن وأين توجد هذه المناطق فى هذه الأماكن دون غيرها ، ويرتبط ذلك بمعرفة ما يحتاجه كل محصول منهما من ظروف التربة والمياه اللازمة للنمو ودرجة الحرارة المناسبة فى كل فصل من فصول نمو النبات ، ومراحل تطوره ، وكذلك مدى الحاجة إلى هذا المحصول من حيث الاستهلاك البشرى ، وبنفس الطريقة نسأل عن مناطق توزيع البترول ولماذا يوجد فى هذه المناطق دون غيرها ، ونبحث عن الأسباب وهى وجود حياة نباتية وحيوانية قديمة تعرضت لتكوين رواسب فوقها وتعرضت للضغط والحرارة عبر عصور جيولوجية وفى نوعية معينة من الصخور .

ومن الناحية البشرية قد نسعى إلى معرفة توزيع السكان فى العالم ، وأين يتركز السكان وترتفع كثافتهم ، وأين تقل أعدادهم وتنخفض كثافتهم ويرتبط ذلك إما بوفرة المناطق الزراعية أو وجود مصادر المياه أو الرواسب والخامات المعدنية أو المناطق الساحلية والبحرية بمعنى أننا لا نقف عند حد توزيع السكان فقط ولكن من الضروري تفسير هذه الصورة من صور التوزيع وتعليل أسبابها .

وكذلك الحال بالنسبة لشبكات النقل والمواصلات أو لحركة السياحة ، فمن الطبيعى أنه إذا تعرفنا على الأماكن السياحية فى قطر ما أو فى العالم كله أن نسأل أنفسنا ما هى المزايا التى جعلت الناس يتجهون إلى هذه الأماكن بقصد السياحة ، وما هى الوسائل التى يستخدمونها للانتقال من مواطنهم إلى تلك الأماكن السياحية ؟ وما هى الآثار الاقتصادية والاجتماعية المترتبة على ذلك .

تطور علم الجغرافيا :

الجغرافيا علم له تاريخ قديم ، وقد نشأ مع الحضارات القديمة فى كل من مصر والعراق والهند وبلاد فارس والصين ، حيث نجد مصورات جغرافية أو أجزاء

من خرائط ، كما أن نقوش المعابد فى مصر تتسم بالتوجيه الجغرافى ، فعند الإشارة إلى الجماعات والشعوب التى توجد جنوب مصر توجد هذه الإشارة فى جنوب اللوحة أو النقش أما الجماعات التى توجد فى شمال مصر فتوجد الإشارة إليهم فى شمال اللوحة أو النقش وهكذا ، كما توجد خريطة مصرية قديمة لأحد مناجم الصحراء الشرقية وهى ترجع إلى العصر الفرعونى وتوجد محفوظة بمتحف تورين ، وكذلك نجد بعض الخرائط لبابل القديمة فى العراق .

وأما الحضارة اليونانية فقد أنتج بعض مفكرها مؤلفات تدخل فى مجال الجغرافيا مثل هوميروس وهيرودوت وأفلاطون وأرسطو ، وإلى جانب هؤلاء الأدباء والمؤرخين والفلاسفة فقد ظهر جغرافيون متخصصون من أمثال إراتوستين واسطرابون وبطليموس وفارنيوس ، وقد استمر ذلك فى العصر الرومانى .

وفى الحضارة العربية ظهرت أسماء كثير من الجغرافيين المسلمين الذين تركوا تراثا جغرافيا ممتازا ، وفى البداية اعتمد المسلمون على ترجمة الجغرافيا اليونانية ثم ظهرت المؤلفات العربية الخالصة فى الجغرافيا على أيدي كل من الإدريسي وابن حوقل والإصطخرى وابن خرداذبة والمقدسى والهمداني والبيرونى وابن بطوطة وابن خلدون .

وفى العصور الأوربية الوسيطة بدأ تطور الجغرافيا يفيد من حركة الكشف الجغرافية ، وبخاصة تلك التى قام بها كل من الأمير هنرى الملاح وفاسكوداجاما وماجلان وماركوبولو ، ثم ظهر بعد ذلك صناع الخرائط مثل من مركاتور الذى ابتكر المسقط الذى ينسب إليه وأتى بعده جغرافيون ورسامون فى الوقت نفسه مثل ريتز وهمبولت حيث ظهرت فى أعمالهما بعض الخرائط للعالم .

ويعتبر كل من الكساندر فون همبولت Alexander von Humboldt (١٧٦٩ -

- ١٨٥٩) وكارل ريتز Ritter (١٧٧٩ - ١٨٥٩) من رواد المدرسة الجغرافية

الحديثة وخاصة فى المانيا ، فقد بدأت الجغرافيا الحديثة على أيديهما فى الواقع ، وبينما اهتم ريتز بدراسة الأقاليم والجغرافيا الإقليمية فإن همبولت قد اتجه إلى الجغرافيا الأصولية ونظر إلى العالم ككل وخاصة فى دراسته للأنماط المناخية والنباتية وتوزيعها على سطح الأرض ، وقد سار أتباعهما وتلامذتهما على نهجهما خلال القرن التاسع عشر وإن ظل تأثيرهما حتى منتصف القرن العشرين .

أما الجغرافيا البشرية فقد تطورت خلال القرن التاسع عشر وخاصة بعد ظهور كتاب داروين « أصل الأنواع » ، ولكن التطور الأكثر فعالية حدث على يد راتزل Ratzel الذى يعتبر مؤسس الجغرافيا البشرية وذلك من خلال كتابه Anthropogeographie الذى ربط فيه بين الظواهر الطبيعية والبشرية .

ومن أهم إضافات راتزل فكرة الحتم البيئى Geographical Environmentalism أو الحتمية Determinism وكذلك من خلال مناقشته لأثر البيئة على الإنسان ، حيث يرى أن البيئة تؤثر على الإنسان فى كل مظاهر نشاطه وتقوم بتوجيهه .

وكان من أتباع راتزل فى مدرسة الحتم الجغرافى أو البيئى كل من ديمولان Demolins فى فرنسا الذى كتب فى مطلع القرن العشرين كتابه الذى يحمل عنوان Comment La Route a créé Le Type Sociale أو كيف أدى الطريق إلى خلق النمط الاجتماعى كما كانت الأنسة الين سمبل Ellen Semple من أهم تلاميذ راتزل فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وقد أسهم كل من ديمولان والمس سامبل فى تطور مفهوم الحتم البيئى ، وكيف أن الإنسان لا يستطيع إلا أن يكون أسير بيئته التى تقدم له مع المشكلات حلولاً .

ولعل كتاب المس سامبل الذى يحمل عنوان تأثير البيئة الجغرافية يحمل فكرة الحتم البيئى بكل وضوح ، حيث تقول فيه :

« الإنسان هو نتاج سطح الأرض ، وهذا لا يعنى أنه ابن الأرض التى ربه

وأطعمته ، وواجهته بالمشاكل ووجهت أفكاره ، وجابهته بالمصاعب التى أدت إلى تقوية بدنه وصقل مهارته وقد واجهته بمشاكل الملاحة أو الرى ، وهمست له فى الوقت نفسه بحلول تلك المشاكل ، لقد تخللت لحمه وعظامه وروحه وعقله ، ومنحته فى المناطق الجبلية ساقا قوية العضلات لتمكنه من أن يتسلق المنحدرات ، بينما تركت عضلات ساقيه ضعيفة فى المناطق الساحلية لتعطيه عوضا عن ذلك صدرا عريضا وذراعا قوية يضرب بهما المجدف .

وتوجد مدرسة جغرافية أخرى تقابل المدرسة الحتمية وتناقضها وهى مدرسة الإمكانية أو الاحتمالية Possibilism التى ترى أن الإنسان ليس خاضعا تماما لسيطرة البيئة ، ولكنه يعدل من ظروفها بحيث تلائم ، ولقد كان من رواد هذه المدرسة فى الفكر الانجليزى جريفت تايلور Griffith Taylor وفى المدرسة الفرنسية كل من لوسيان فيفر Lucien Febvre وفيدال دى لابلاش Visal de la Blache ومن رأى هؤلاء أن الخصائص الحضارية والتنظيم الاجتماعى الذى يحدثه الإنسان يعمل على التأثير فى البيئة ، ويعد كتاب فيدال دى لابلاش عن الجغرافيا البشرية الذى ظهر فى عام ١٩٢١ أهم معالم هذا الاتجاه فهو يتضمن القول بأن تفسير كل عناصر النشاط البشرى يرتبط بالبيئة ويتأثر بها ، لأن الجغرافيا علم العلاقات بين الأرض والإنسان وأن كلا منهما يؤثر فى الآخر ويتأثر به ، فقد شق الإنسان الأنفاق فى الجبال وأنشأ شبكات الرى وطهر الطرق الملاحية وشق الترع بل إنه شق قنوات تصل بين البحار مثل قناة السويس ، وحول مناطق المراعى الطبيعية إلى مزارع للقمح ، وأنشأ السدود والقناطر والخزانات على الأنهار ونظم جريانها ، والإنسان بذلك يعمل على تعديل سطح الارض وإعادة تشكيله وإن كان ذلك بقدر محدود ، إلا أنه يعدل البيئة بما يتفق مع حاجاته .

كما قام جان برون Jean Brunhes تلميذ لابلاش بتنظيم وتقسيم الأساس العلمى لمتهج الجغرافيا البشرية وفروعها وذكر منها الجغرافيا السياسية والجغرافيا

الاجتماعية والجغرافيا الصحية ، وظهرت جهود المدرسة الفرنسية فى موسوعة جغرافية ضخمة من ١٥ مجلدا عنوانها Géographie Universelle .

ومن أتباع المدرسة الاحتمالية ظهر فى بريطانيا فليور Fleure وفى الولايات المتحدة كارل ساور Carl Sauer وقد أثرت المدرسة الامريكية فى ظهور عدد من المصطلحات التى شاع استخدامها فى المؤلفات الجغرافية مثل Physical or Natural Landscape أو المظهر الطبيعى ويشمل السطح والمناخ والتربة والنبات والموارد الطبيعية والأحوال المائية والبحار والمحيطات والسواحل ، ويقابل ذلك عناصر البيئة البشرية أو الحضارية أو المظهر البشرى Cultural Landscape الذى يشمل أعمال الإنسان وآثاره ويتضمن دراسة السكان والعمران والإنتاج الاقتصادى والنقل والمواصلات والنشاط الذى أدى إلى ظهور الدول والوحدات السياسية .

ومن أحدث تعريفات الجغرافيا ما يذكر على أنها العلم الذى يعنى بدراسة المكان أو الأشياء وأين توجد ، ولكن تنبغى أيضا الإشارة إلى تفسير وجود الأشياء ، فالجغرافيا لا تسأل أين فقط ولكن لماذا أيضا ، أى لماذا توجد الأشياء حيث هى ولا توجد حيث لا توجد ، ومن هنا يكون من الضرورى استخدام الربط والتحليل والتعليل أو السببية Causality بما يفسر وجود الأشياء أو عدم وجودها فى المكان .

كما ظهر على يد الجغرافى الأمريكى ريتشارد هارتشورن Richard Hartshorne تعريف جديد للجغرافيا ، حيث ذكر أنها علم التباين الأرضى Areal Differentiation حيث أنها العلم الذى يرتبط بمحاولة توزيع الظاهرات وتفسيرها ، ولما كانت أجزاء العالم غير متماثلة فإنه توجد بها أنماط مختلفة تؤدى إلى ظهور تنوع يعرضه الجغرافى ، ولو كان التماثل قائما فى كل مكان على سطح الأرض لما كان هناك مجال لعلم الجغرافيا ، ومن هذه الفكرة يظهر أن الجغرافيا تدعو إلى التكامل وأن ذلك يؤدى بدوره إلى السلام .

فروع علم الجغرافيا :

تمثل الأرض مجال الدراسة الجغرافية ، وهنا تجدر الإشارة إلى أن المقصود بالأرض هو سطح الأرض وما يرتبط به من ظاهرات طبيعية أو بشرية ، وبمعنى آخر فإن الأرض التي يهتم علم الجغرافيا بدراساتها تضم عددا من الأغلفة على النحو الآتى :

١ - الغلاف الصخري Lithosphere ويقصد به الصخور التي تتكون منها اليابسة على شكل قارات ، كما يضم أيضا قيعان البحار والمحيطات وما تتركب منه صخور كل منها .

٢ - الغلاف المائي Hydrosphere ويقصد به المحيطات والبحار والبحيرات والمستطحات المائية والمجاري المائية كالأنهار .

٣ - الغلاف الجوى Atmosphere ويشمل نطاق الهواء والغازات التي تحيط بالكرة الأرضية ، وهذه الغازات لا رائحة لها ولا طعم وتتكون من غازات أهمها النتروجين بنسبة ٧٨ ٪ والأكسوجين بنسبة ٢١ ٪ تقريبا والأرجون بنسبة تقل عن ١ ٪ وثانى أكسيد الكربون بنسبة ٠.٣ ٪ تقريبا إلى جانب عدد من الغازات الأخرى مثل الهيدروجين والأوزن ، وترتبط هذه الغازات بالأرض بفعل الجاذبية ومعظمها يمتد إلى ارتفاع يتراوح بين ستة كيلو مترات و ٢٧ كيلو مترا من منسوب سطح الأرض ولا توجد أى غازات على ارتفاع ٦٠٠ كيلو متر ، وهذا الغلاف يضم الهواء الذى تتنفسه الكائنات الحية إلى جانب أنه يؤثر فى المناخ من حرارة ورطوبة ورياح وأمطار .

٤ - الغلاف الحيوى Biosphere ، وهو الذى توجد فيه مختلف صور الكائنات الحية سواء على اليابس أو فى الماء أو الهواء ، وغالبا فإن هذا الغلاف

يصل إلى ١١ كيلو مترا تحت مستوى سطح البحر وحوالى عشرة كيلو مترات فوق مستوى سطح البحر .

وبلاحظ أن الأغلفة السابقة تشكل فى جملتها ما يدخل فى نطاق أحد شقى الجغرافيا الأساسيين وهو الجغرافيا الطبيعية ، أما الشق الآخر من الجغرافيا فيشمل دراسة الإنسان وتوزيعه على سطح الأرض ومختلف صور تنظيمه للبيئة واستغلاله لها سواء على شكل مراكز عمرانية من مدن وقرى أو شبكات النقل والمواصلات والرى والنشاط الاقتصادى والتنظيم السياسى للأرض فى شكل دول .

والجغرافيا أصلا علم تركيبى يأخذ من مختلف العلوم ويربطها بالأرض والنشاط البشرى فهو مثلا يأخذ من علم الاقتصاد ما يخدم الجغرافيا الاقتصادية ومن علم الاجتماع ما يخدم الجغرافيا الاجتماعية ومن علم السياسة ما يخدم الجغرافيا السياسية ومن علم الجيولوجيا ما يخدم دراسة أشكال سطح الارض (الجيومورفولوجيا) ومن علم النبات ما يخدم الجغرافيا النباتية ومن علم الحيوان ما يخدم الجغرافيا الحيوية وهكذا ، وتعرف هذه الفروع من الجغرافيا عادة باسم الجغرافيا الأصولية سواء كانت فروعاً للجغرافيا الطبيعية أو الجغرافيا البشرية ، أما اذا طبقت على منطقة ما أو اقليم ما فإنها عندئذ تعرف باسم الجغرافيا الاقليمية وذلك بدراسة كل عناصر الجغرافيا الطبيعية والبشرية فى منطقة متجانسة تعرف باسم الاقليم .

أما أهم الفروع أو الاقسام فى كل من الجغرافيا الطبيعية والجغرافيا البشرية فهى على النحو التالى :

أولا : الجغرافيا الطبيعية :

وهى تنقسم إلى الفروع الأساسية التالية :

١ - جغرافية السطح : وتعرف أحيانا بجغرافية التضاريس ، والسطح إما

أن يتكون من تضاريس موجبة أى ترتفع عن مستوى سطح البحر وتضم القارات والجزر ، وإما من تضاريس سالبة وتشمل المسطحات المائية الكبرى وهى المحيطات والبحار المفتوحة وبذلك فإن جغرافية السطح تدرس كلا من الغلاف الصخري والغلاف المائى ، ويطلق على دراسة البحار والمحيطات اسم الاشيانوجرافيا -Ocea-nography (أو الأقيانوجرافيا) أما دراسة معالم السطح وأشكاله عامة فتعرف باسم الجيومورفولوجيا Geomorphology وهى تدرس العوامل التى تشكل سطح الأرض سواء كانت عوامل باطنية كالزلازل والبراكين أو عوامل ظاهرية مثل عوامل التعرية والنحت والإرساب وهى تتأثر بقوى كل من الجو وأثره أو المياه الجارية على شكل أنهار أو سيول ، أو أثر الأمواج والتيارات البحرية على السواحل أو أثر الجليد فى النحت والنقل والإرساب ، كما تدرس أشكال الوحدات التضاريسية والعمليات التى تحدث لها ، سواء فى الماضى أو فى الحاضر .

٢ - جغرافية المناخ : وهى تدرس الغلاف الجوى وأثره فى تشكيل العناصر المناخية المؤثرة على سطح الأرض من الضغط الجوى والحرارة والرياح والرطوبة والأمطار ، ولا تكتفى الجغرافيا المناخية بعرض هذه العناصر وإنما تبحث فى أسباب حدوثها ونتائج ذلك وهى تفيد كثيرا من علم المناخ والمترولوجيا -Meteorology أو علم الظواهر الجوية ، ولهذا العلم كثير من الفوائد التى تخدم الزراعة والملاحة البحرية والجوية وحركة الإنسان عموما ، كما أن دراسة المناخ التفصيلية تفيد كثيرا فى دراسة الحركة السياحية نظرا لأن للمناخ أثرا كبيرا فى بعض العمليات السياحية وخاصة رياضات التزلج على الجليد والماء وحركة الاصطياف والمنتجعات ومناطق الشتاء الدفيئة ، كما أن للمناخ أثره الكبير فى حركة الطيران والنقل عامة .

٣ - الجغرافيا الحيوية : ومجال الدراسة فى هذا الفرع تشمل دراسة النبات الطبيعى فى جغرافيا النبات وهى تهتم بدراسة كافة صور الحياة النباتية الطبيعية

أى التى لم يزرعها الإنسان ويدخل فى ذلك دراسة الغابات ومناطق الأعشاب والحشائش وتنوعياتها وقيمتها وكيفية المحافظة عليها ومتطلباتها من حرارة ورطوبة أو أمطار لكى تستمر فى الوجود ، كما تشمل دراسة جغرافية الحيوان فى صورته الطبيعية أو البرية دون تدخل الإنسان ، وتشمل أيضا دراسة جغرافية التربة من حيث خصائصها ومكوناتها . ولهذا الفرع أهمية نفعية كبيرة نظرا للمتغيرات التى شهدتها سطح الأرض ، سواء للعوامل الطبيعية أو البشرية ، وقد أدت هذه المتغيرات إلى مشكلات التصحر واختفاء بعض فصائل النبات أو الحيوان الطبيعى مما أحدث اختلالا بالتوازن .

وتعتمد الجغرافيا الحيوية على العلوم الأصولية المرتبطة بها فجغرافية النبات تعتمد على علم النبات Botany وجغرافية الحيوان تعتمد على علم الحيوان Zoology وجغرافية التربة تعتمد على علم التربة Pedology غير أن هذه الأقسام من الجغرافيا الحيوية لا تهتم بدراسة الظواهر النباتية والحيوانية لذاتها ولكن تهتم بتوزيع هذه الظواهر على سطح الأرض وأثرها وتفاعلها مع بعض البعض ومع بقية العناصر الجغرافية بما فى ذلك الإنسان وحياته الاقتصادية والاجتماعية . ثم تعد إلى إظهار الفروق التى توجد بين مختلف أجزاء سطح الأرض مكونة الأقاليم الحيوية من نباتية وحيوانية وتربة .

ثانيا : فروع الجغرافيا البشرية :

تتمثل فروع الجغرافيا البشرية فى عدد من الفروع الهامة ، غير أن هذه الفروع ليست موحدة فى مختلف المدارس الجغرافية ، وبينما تتفق مختلف المدارس على فروع الجغرافية الطبيعية التى سبقت الإشارة إليها ، فإنها قد تختلف بشأن تحديد فروع الجغرافيا البشرية ، وتطلق المدرسة الجغرافية الأمريكية على الجغرافيا البشرية Human Geography اسما آخر وهو الجغرافيا الحضارية

Cultural Geography ، كما أن المدرسة الجغرافية الروسية تقسم الجغرافية فى تصنيفها إلى قسمين كبيرين هما الجغرافيا الطبيعية والجغرافيا الاقتصادية ويتفق مفهومهم للجغرافيا الطبيعية مع المفهوم الأوربى والأمريكى اما الجغرافيا الاقتصادية فهى عند الروس تضم كافة فروع الجغرافيا البشرية .

هذا وتنقسم أهم فروع الجغرافيا البشرية إلى ما يلى :

١ - الجغرافيا الاجتماعية : Social Geography

وهى تضم ثلاثة فروع ثانوية تدخل فيها وذلك على النحو التالى :

(أ) جغرافية السكان Geography of Population

وهى تدرس نمو السكان والعناصر الداخلة فيه من حيث المواليد والوفيات والفارق بينهما أو الزيادة الطبيعية ، كما تدرس الهجرة وأثرها فى نمو السكان ، كما تهتم بدراسة توزيع السكان على إقليم جغرافى معين قد يكون العالم كله وقد يكون منطقة صغيرة كإحدى المدن أو القرى ، وتدرس العوامل المؤثرة فى كل من نمو السكان وتوزيعهم ، كما تدرس تركيب السكان من حيث النوع والعمر والمهنة والتركيب الاجتماعى للسكان من حيث الزواج والأسرة ، كما تدرس أحيانا تركيب السكان من الناحية الدينية أو اللغوية أو السلالية اذا كان لذلك أثر فى العلاقات بين السكان ، كما تدرس سكان المدن والريف أو الحضر الذى يشملهما معا ، إلى جانب دراسة البداوة التى قد لا يرتبط فيها السكان بالإقامة فى محلات عمرانية دائمة أو ثابتة ، وإنما قد ينتقلون بصفة دائمة أو موسمية طلبا للمرعى والماء .

كما تعرض لما أصاب مجتمعات البدو فى العصر الحديث من تطور فى أساليب الحصول على الماء أو تربية الحيوان ، أو العمل فى الزراعة أحيانا .

(ب) جغرافية المدن : Urban Geography

وهى تهتم بدراسة المدن من حيث مواقعها وخصائص الموضع أو البقعة التى يقوم عليها عمران المدينة من سطح ومناخ وموارد مياة وعناصر مشجعة للنمو أو معوقة أو مانعة له ، كما تدرس شبكة العلاقات بين المدن وبعضها البعض من حيث التباعد والحجم أو العدد السكانى ومن حيث العلاقات الاقتصادية والاجتماعية كرحلة العمل والتركيب الاجتماعى والاقتصادى لسكان الأحياء الداخلية فى المدينة وعلاقات الريف والمدينة معا ، كما تدرس استخدام الأراضي داخل المدن أو الوظائف التى تخصص لها الارض فى أصغر مستوى ممكن ومدى تنظيم الإنسان لمناطق السكن والخدمات التى توجد فى المدينة ومدى كفايتها للسكان وأثر كل من نمو السكان والعمران على ذلك والعوامل المؤثرة فى كل من نمو المدينة ووظائفها والروابط الإقليمية للمدن ووظائف المدن ومراتبها ويخدم ذلك كله تخطيط المدن .

(ج) جغرافية الريف : Rural Geography

وهى تهتم بدراسة المناطق الريفية وتعرف القرى ومراتبها وأنواعها واستخدام الأرض فى المناطق الريفية والعلاقات بين الريف والمدينة ، وطرق النقل التى تخدم شبكة العمران الريفى والأثر الاقتصادى لكل من المدينة والريف على بعضهما البعض ، ويخدم ذلك تخطيط الريف والتخطيط الإقليمى Regional Planning وقد تدرس جغرافية المدن وجغرافية الريف فى منهج واحد يعرف عندئذ إما بجغرافية العمران أو جغرافية السكن .

٢ - الجغرافيا الاقتصادية : Economic Geography

وهى تضم الفروع التالية :

(أ) جغرافية الزراعة : Geography of Agriculture

وهى تعنى بدراسة الزراعة وما يرتبط بها من أنشطة مثل الرعى التجارى وتربية الحيوان كما أنها تضم أحيانا أنشطة أولية أخرى غير مرتبطة بالزراعة مباشرة مثل صيد الأسماك وذلك على أساس أن الزراعة وصيد الأسماك تمثل أنشطة يتعامل فيها الإنسان مع الناتج من الزراعة أو الصيد مباشرة وقد تجمع فى هذه الحالة إنتاج الغابات الطبيعية أو المزارع العلمية الواسعة .

وتهتم جغرافية الزراعة بكل من إنتاج المواد الزراعية والحيوانية والعوامل المؤثرة فى ذلك ، ومناطق الفائض ومناطق العجز فى الانتاج وتسعى لتحليل ذلك وربطه بكل من العوامل المؤثرة فى الإنتاج والاستهلاك معا من عناصر طبيعية كالترية والمناخ وموارد المياه والسطح أو عناصر بشرية مثل كثافة السكان وأنماط استهلاكهم وعاداتهم ومستواهم الاجتماعى والاقتصادى .

(ب) جغرافية الصناعة : Geography of Manufacturing

وهى تهتم بتوزيع الصناعات القائمة والعوامل المؤثرة فى قيام الصناعة من طبيعية وبشرية ومرتبطة بالتنظيم البشرى كما تهتم بتحليل مواقع الصناعة وحركة كل من المواد الخام والقوى المحركة والعمالة ورؤوس الأموال إلى مواقع الصناعة واثـر السياسة الحكومية فى دعم الصناعة وتأثير التقدم العلمى والتكنولوجى فيها ، كما تهتم بتصنيف الصناعة إلى صناعة ثقيلة وخفيفة أو صناعات إنتاجية واستهلاكية ، وتدرس مجالات تسويق الإنتاج وشبكة العلاقات بين الصناعات التى تعتمد على بعضها البعض أو تغذى بعضها البعض والتخطيط الصناعى .

وفى بعض الاحيان قد يدخل النشاط التعدينى Mining ضمن الصناعة وذلك على اعتبار التعدين صناعة أولية أو صناعة استخراجية وهنا يدخل انتاج المعادن

التي تدخل فى العمليات الصناعية كالحديد والنحاس وغيرهما ، كما تهتم بدراسة التلوث أو أثر الصناعة على البيئة ، وهو من الموضوعات التي تطورت كثيرا فى السنوات الأخيرة .

(ج) جغرافية الطاقة : Geography of Energy :

وهى تعنى بإنتاج الطاقة وتوزيعها ، وتتناول مصادرها المختلفة من فحم وبتروول وكهرباء مولدة من الوسائل الحرارية أو مساقط المياه ، وكذلك الطاقة المتجددة مثل طاقة الشمس والرياح والأمواج والمياه والطاقة المستنفدة مثل البتروول والفحم ، والطاقات الجديدة مثل الطاقة النووية وطاقة الحرارة الأرضية وغيرها ، وتعنى جغرافية الطاقة بدراسة الاحتياطي المتوفر من كل مصدر وتوزيعه عالميا ومناطق الوفرة ومناطق الندرة وحركة الطاقة أو نقلها ، كما تهتم أحيانا بدراسة أخطار بعض مصادر الطاقة مثل الطاقة النووية أو التلوث الناتج عن استخدام أنواع أخرى مثل الفحم والبتروول .

(د) جغرافية النقل والمواصلات : Geog. of Transport and Communi-

cations

وهى تعنى بدراسة شبكات الطرق والنقل البرى والبحرى والجوى ، ومدى كثافة هذه الشبكات واستخدام الإنسان لها ومدى كفاية هذه الشبكات ، ومشكلات النقل وأثره فى تطوير الحياة الاقتصادية والبشرية ، كما تعنى دراسة المواصلات بدراسة وسائل الاتصال من البرق والبريد والتليفون والراديو والتليفزيون والأقمار الصناعية والصحف ووسائل الإعلام المختلفة ومدى انتشارها وأثر ذلك على مستوى التقدم فى الأقطار المختلفة .

(هـ) جغرافية التجارة الدولية : Geog. of International Trade :

وهى تهتم بدراسة التنظيم الدولى للتجارة فى كل من المواد الخام ومصادر

الطاقة أو المواد الصناعية ، ومدى انسياب هذه التجارة بين مناطق الإنتاج ومناطق الاستهلاك ، والاتفاقيات الدولية التي تنظم التجارة والتعريف الجمركية والعوامل المشجعة أو المعوقة للتجارة والتبادل التجارى وأثر النظم الاقتصادية والسياسية فى ذلك ومناطق السوق الحر أو الاقتصاد المفتوح ومناطق الاقتصاد الموجه .

(و) جغرافية السياحة : Geog. of Tourism

وهى تدرس على أكثر من مستوى ، فإما أن تدرس الحركة السياحية فى العالم أو فى قطر من الأقطار ، وأنواع السياحة المختلفة التى تدخل فى هذه الحركة من سياحة داخلية إلى دولية ومن سياحة التزهة إلى السياحة العلاجية أو الثقافية وغير ذلك من التقسيمات ، كما قد تدرس جغرافية السياحة ما يتوفر لدى بعض الأماكن من مزايا تؤهلها للقيام بوظائف الجذب السياحى سواء كانت هذه المزايا متعلقة بالطبيعية كالمناظر أو المناخ أو مرتبطة بالتسهيلات لكل من الإقامة والانتقال والترفية والترويح . ويدخل فى ذلك كله الطاقة الاستيعابية للفنادق وأماكن الإقامة ووسائل النقل والخدمات السياحية .

ويمكن تعريف السياحة بأنها حركة للأفراد أو المجموعات الذين يقضون عطلاتهم بعيدا عن أماكن إقامتهم المعتادة ، ومن أجل جمع البيانات عن ذلك فإن هذا التعريف يمتد ليشمل أى أفراد يزورون مكانا آخر يختلف عن المكان الذى يقيمون به عادة لمدة معينة تشمل قضاء ليلة على الأقل وذلك لأى سبب بخلاف العمل فى المكان الذين يقصدون زيارته ، وبهذا المعنى يدخل فى السياحة كل من حضور المؤتمرات والحج .

وفى بعض الأحيان تفرق الدراسات بين كل من الترفيه أو الترويح Recreation والسياحة ، على أساس أن الترويح قد يشمل أنشطة ترفيهية لمدة تقل

عن ٢٤ ساعة بعيدا عن محل الإقامة بينما السياحة تمتد لتشمل فترة زمنية أطول ويتطلب استخدام شبكات للبنية الأساسية وتسهيلات للانتقال والإقامة .

وللسياحة مستويات أو أنواع مختلفة فمنها السياحة الداخلية التي ينتقل فيها السائحون داخل حدود مواطنهم الأصلية وفي مقابلها تكون السياحة الخارجية هي التي ينتقل فيها الأفراد عبر الحدود السياسية ، ووسائل الانتقال سواء داخليا أو خارجيا تمثل بعدا أو عنصرا جغرافيا ، كما أن حركة السائحين من مكان لآخر تمثل عنصرا جغرافيا آخر ، والانتقال من منطقة لأخرى يعنى انتقالا من بيئة حضارية وثقافية إلى بيئة أخرى ومن وسط حضارى إلى وسط حضارى وجغرافى آخر ولا بد من التعرف على كل هذه العناصر الجغرافية و بكل من السائحين والعاملين فى المجال السياحى فى الوقت نفسه ، حيث أن ذلك يرتبط أحيانا بأنماط مختلفة من السلوك والعادات فى المأكل والمشرب والملبس والتقاليد والقيم والعادات الإجتماعية والدينية فإذا كان ثمة فوج سياحى قادم لمصر مثلا من إحدى دول اسكنديناوة كالسويد أو النرويج فى فصل الصيف فإن ذلك يختلف كثيرا عن قدومه فى فصل الشتاء ، ولا بد من معرفة ما يناسبه من الملابس ودرجة الحرارة المنتظرة والتعرف على لغته وعاداته الغذائية ، وكل ذلك يشكل أبعادا جغرافية ، كما أن قدوم فوج سياحى من الهند التى تدين بالهندوكية يعنى أنهم لا يأكلون لحوم البقر ولا بد من مراعاة ذلك تماما ، كما يراعى عدم تقديم لحم الخنزير للمسلمين، ولعل الجغرافيا تقدم للسياحة خدمات أخرى تتمثل فى التعرف على خصائص المكان الجمالية من الناحية الطبيعية كمناطق الشلالات أو البحيرات والشواطىء ، وعلى المناخ من حرارة ورطوبة ورياح وأمطار ، كل ذلك لابد أن يتهيا له السائح بما يناسبه من استعدادات ، كما أن وفرة وسائل النقل وأنواع الطعام وغير ذلك يدخل كله فى مجالات تتصل بالجغرافيا ، وكما يفيد العاملون فى السياحة فى استقبال الوفود فانهم يرسلون الوفود السياحية إلى اقطار أخرى

ولابد من معرفة ما يتوفر فى هذه الاقطار من خصائص جغرافية ويقدمون النصح
للأفواج التى تقصد هذه الأقطار فتنظيم رحلة إلى القطب الشمالى يختلف عن
تنظيم رحلة إلى كينيا أو إلى الصحراء الكبرى .

ومعرفة بيانات عن الدول المختلفة من حيث السكان وعددهم ومستويات
الدخول والعمله والانتاج الاقتصادى ، وكل ذلك يقدم أرضية طيبة للعامل فى
مجال السياحة ويفيد مما تقدمه له الجغرافيا .

كما أن الجغرافيا تقدم خدمة أخرى للسائح والعاملين فى مجال السياحة ،
وهذه الخدمة تتمثل فى الخرائط السياحية وفى كيفية قراءة هذه الخرائط والإفادة
منها فى تنظيم الرحلات السياحية أو فى تنظيم برنامج السائح وسوف نعرض
لأهمية الخرائط وأنواعها وغير ذلك من بيانات فى الفصل الثانى .

٣ - الجغرافيا السياسية Political Geography

وهى فرع يعنى بدراسة التفاعل بين الإنسان والأرض من الناحية السياسية ،
فتدرس الوحدات السياسية أو الدول فى العالم ، وتصنيف الدول طبقا لمعايير القوة
الاقتصادية والسياسية ، وتدرس العناصر الجغرافية للدولة ، وتدرس الأحلاف
والتكتلات السياسية وعلاقات الصراع بين الدول وبعضها البعض ومشكلات الحدود
السياسية ، وتعطى دراسة الجغرافيا صورة عامة للعالم المعاصر وما مر به من
أطوار ، كما تدرس النظام الدولى من خلال المنظمات السياسية الدولية التى تعمل
على حفظ التوازن الدولى ومدى نجاحها فى ذلك .

ثالثا : تقسيمات جغرافية اخرى :

يوجد إلى جانب كل الفروع السابقة للجغرافيا الطبيعية والجغرافيا البشرية
أقسام أخرى من الجغرافيا مثل الجغرافيا الإقليمية وهى التى تهتم بدراسة كل
عناصر الجغرافيا الطبيعية والبشرية إما فى العالم أو فى منطقة ما ، مع محاولة

تسليم المنظمة مجال الدراسة إلى وحدات مكاييد متقاربة في خصائصها يطلق عليها اسم الأقاليم ، ومنها الأقاليم الطبيعية كالأقاليم المناخية والنباتية والأقاليم البشرية مثل مناطق الكثافة السكانية المرتفعة أو النمو السكاني السريع ، والأقاليم الاقتصادية مثل إقليم زراعة القطن أو الأرز ، أو إقليم الصناعات الثقيلة في شرق الولايات المتحدة أو في غرب أوروبا ، وهكذا .

ومن فروع الجغرافيا الأخرى الجغرافيا التاريخية وهي دراسة أى ظاهرة جغرافية في الماضي فدراسة العلاقة بين اليابس والماء في العصور الجيولوجية القديمة أو المناخ في عصر جيولوجي ماض تدخل في الجغرافيا التاريخية الطبيعية ، ودراسة مكان مصر في عصر الفتح الاسلامي أو الزراعة المصرية في عهد محمد على أو حركة تعمير العالم الجديد بعد حركة الكشف الجغرافية ، أو دراسة الحضارات المصرية في عصر ما قبل الاسرات ، كل ذلك يدخل في الجغرافيا التاريخية البشرية .

ولا شك في أن المواطن في عالم اليوم ، وأيا كان موطنه الذي ينتمى إليه ، يشعر دائما بفائدة الجغرافيا ، سواء على مستوى المعرفة لما يجرى حوله من أحداث، أو على المستوى النفعى سواء كان طالبا أو تاجرا أو عاملا في أى نشاط إنسانى .

* * *

الفصل الثانى

الخريطة واستخدامها

تعريف الخريطة :

الخريطة صورة مصغرة بمقياس رسم مناسب لسطح الأرض أو لجزء منه مرسومة على لوحة مستوية ، وتخضع الخريطة فى رسمها لأسلوب معين يهدف إلى المحافظة على الاتجاه الصحيح ، أو المسافة الصحيحة أو المساحات الصحيحة ، ويعرف هذا الأسلوب بمساقط الخرائط ، غير أن الخريطة تختلف عن الصورة فى أمرين هما :

١ - أن الخريطة تختار ما توضحه من معلومات ، فهى قد تضم بيانات التضاريس أو المناخ فقط ، كما يمكن أن توضح أكثر من عنصر ، كما هو الحال فى خريطة للمدن أو طرق المواصلات ، أما الصورة فهى تنقل لنا كل ما على الطبيعة من ظاهرات وقت التقاطها دون أى حذف أو إضافة ، ومن ناحية أخرى نجد أن الخريطة توضح بعض المعلومات الموجودة فعلا على سطح الأرض مثل معالم التضاريس من جبال وسهول ووديان ، وأحيانا تضم معلومات لا توجد على الطبيعة فالخريطة انتخابية فى المعلومات التى تعرضها من وجهة نظر مصمم الخريطة ، وهى قد تشمل بيانات لا وجود لها فى الواقع ، أو على سطح الكرة الأرضية ، وذلك بهدف الشرح ، والتوضيح ، مثل الحدود السياسية أو خطوط الطول ودوائر العرض .

٢ - أن الصورة تظهر الطبيعة وتنقلها كما هى بنفس شكلها الذى تبدو عليه

دون إضافة أو حذف ، أما الخريطة فانها لا تفعل ذلك إنما تلجأ إلى الترميز ، بمعنى الاتفاق على رموز للمعالم الطبيعية أو البشرية ، وتتعدد هذه الرموز وتختلف حسب موضوع الخريطة ومقياس الرسم والظواهر المراد توضيحها .

الخريطة والجغرافى :

شاع استخدام الخريطة فى عصرنا الحاضر فى كثير من المجالات ، فهى قد تطالعك وانت تقرأ الصحيفة اليومية فى الصباح لتوضح خط سير رحلة أو تفسر كيفية وقوع حادث أو معركة حربية ، أو تحدد موقع بركان ثائر ، أو منطقة تعرضت للسيول أو الأعاصير والفيضانات ، أو منطقة حدث بها كشف أثرى جديد ، وقد تطالعك أيضا وأنت تشاهد التلفزيون خاصة فى نشرته الإخبارية أو عند استعراض أحوال الطقس ، كما نجدها أيضا فى الأطالس وكتب الجغرافيا والتاريخ وغيرها من المصادر العلمية ، ولم تعد الخريطة وقفا على الجغرافى وإن كان أكثر الناس استخدامها لها ، أما بالنسبة للجغرافى فهى :

(١) وسيلته الموثقة للتعرف على معالم بيئة العالم الطبيعية والبشرية وتفسير العلاقة المتبادلة بين الإنسان وبيئته ، وهو أمر لا يمكن لنا أن ندركه بصورة مباشرة إلا فى محيط محدود بالبيئة المحيطة بنا والتي يمكن الإلمام بعناصرها بشكل مباشر بالتجول فيها والتعرف عليها أما على مستوى العالم أو اقاليمه الكبرى فإنه مع كبر هذه المساحات واستحالة التعرف عليها بصورة مباشرة فإن الخريطة هى التى تقوم بذلك وتستطيع الخريطة أن تنقل إلينا المركب البيئى لإقليم يبعد عنا وتصعب رؤيته بكل عناصره الطبيعية ، من جبال وسهول وأنهار وغابات وصحارى وأسطار وحرارة ، وعناصره البشرية من سكان وطرق للنقل والمواصلات ومناطق للزراعة ومناطق لإنتاج البترول ، وهذه الظواهرات من الكثرة بحيث يصعب علينا أن ندركها من الطبيعة بينما يمكن للخريطة أن تصور ذلك وتنقله لنا بكل

سهولة وسر . وما كانت الخريطة - معهما كبر مقياسها - تعتبر تصغيرا لمسح الأرض أو لجزء منه ، فإنها يمكن أن تشمل بيانات عن منطقة واسعة وتسمح بمقارنة الظواهر عليها بنظرة سريعة .

(ب) يستخدم الجغرافى الخريطة أيضا - فى عرض معلوماته الجغرافية ليستعين بها فى شرحه لهذه المعلومات موقعا وتوزيعا وتعليلًا لأسباب هذا التوزيع ، إن الحديث عن توزيع سكان إفريقيا إذا صاحبه خريطة توضح هذا التوزيع ، أين يكثُر ويزدحم السكان وأين يقلون وأين يندر وجودهم ، تساعد القارئ كثيرا على تتبع ما هو مكتوب عن توزيع السكان فوق أرض هذه القارة ويدون الخريطة قد يصبح فهم المادة العلمية الجغرافية أمرا غير ممكن ويجعلها حقائق جوفاء يصعب إدراكها ، لذلك ينصح دائما من يقرأ ويدرس الجغرافيا أن يستعين بالخريطة ويستخدمها بنجاح وليعلم أن ما يقرأ من حقائق جغرافية عن البيئة موضوع الدراسة يجده أمامه مصورا على الخريطة ، ومن المعروف أن الحقيقة المصورة أسهل وصولا وفهما ، ومن ناحية أخرى يسهل تخزينها واستذكارها وقت الحاجة ، وتشكل البيانات الموقعة على الخريطة إطارا يمكن مقارنة أجزائه ببعضها البعض ، والوصول إلى علاقات مترابطة بين الظواهر ، كالعلاقة بين كل من الأنهار ومناطق التربة الفيضية الخصبة والأراضى الزراعية ، أو العلاقات بين طرق النقل والمدن الكبرى أو أقاليم الغنى الاقتصادى ومناطق الجذب السياحى .

أنواع الخرائط :

تتعدد أنواع الخرائط التى نتناولها بين أيدينا وتتباين موضوعاتها ومقاييس رسمها ، فهناك الخريطة الطبغرافية والخريطة المناخية والخريطة السياحية والخريطة الجيولوجية وخريطة الطقس والخرائط التفصيلية وغير ذلك من الأنواع التى قد يصعب حصرها دون وضع أسس يمكن أن يقوم عليها تصنيف للخرائط .

وتتباين مقاييس الرسم التى ترسم بها الخرائط المختلفة ، من الخرائط التفصيلية كبيرة المقياس التى توضح مساحة محدودة من سطح الأرض مثل مدينة أو محافظة فى دولة ، إلى المقاييس الصغيرة التى توضح العالم أو إحدى قاراته كما نجدها فى الأطالس ، فإذا كانت دولة مثل مصر تبلغ مساحتها نحو مليون كيلو متر مربع فإنه يمكن إعداد خرائط عديدة لها طبقا لمقياس الرسم فقد تجدها فى صفحة فى كتاب أو فى الأطلس ، بينما يمكن أن نجدها وقد شغلت مساحة كبيرة فى الخريطة الحائطية ، ولذلك يمكن أن نقسم الخرائط حسب مقياس الرسم إلى الأقسام الآتية :

١ - الخرائط صغيرة المقياس :

وتسمى أيضا الخرائط العالمية وتشمل الخرائط التى نجدها فى الأطالس والكتب ، وغالبا ما تمثل مساحات كبيرة قد تمتد لتشمل العالم كله أو إحدى قاراته لتوضح معالم سطح الأرض من البحار والجبال والأنهار والحدود السياسية ومواقع المدن والموانئ الهامة ، وهى تشمل أيضا الخرائط الحائطية التى يستعان بها كوسيلة إيضاح تستخدم فى الفصول الدراسية ومعاهد البحث العلمى والجامعات وهى ترسم بمقاييس أكبر قليلا من خرائط الأطالس والكتب .

٢ - الخريطة المليونية :

وهى خريطة متميزة المقياس ، ويرجع تاريخها إلى أواخر القرن الماضى عندما اقترح أحد الجغرافيين السويسريين على أعضاء المؤتمر الجغرافى الدولى الخامس عمل خريطة للعالم يستخدم فى إخراجها أسلوب موحد ، وأن تكون ذات مقياس رسم واحد مع توحيد رموزها المستخدمة عليها أيضا بحيث لو وضعت خريطة كل دولة بجوار الأخرى وضمت معا تكون خريطة للعالم بمقياس ١ : ١,٠٠٠,٠٠٠ وهو المقياس الذى اتفق عليه لرسم هذه الخريطة .

وقد حرصت كثير من دول العالم على إنشاء خريطتها المليونية وفقا لهذا الاقتراح .

٣ - الخريطة الطبغرافية :

وهي من الخرائط المتميزة في كثر من النواحي فهي توضح الكثير من المعالم الطبيعية على سطح الأرض مثل الظاهرات التضاريسية من جبال وسهول ووديان وأنهار ومستنقعات ، والظاهرات البشرية مثل مواقع المدن والقرى والترع والمصارف والطرق بأنواعها المختلفة ونظرا لكثرة المعلومات الواردة عليها فإنها ترسم بمقياس رسم كبير نسبيا كما هو الحال في الخرائط الطبغرافية المصرية ذات المقياس ١ : ١٠٠,٠٠٠ ، ١ : ٥٠,٠٠٠ وقد ترسم بمقياس أكبر من ذلك مثل ١ : ٢٥,٠٠٠ .

وتستخدم هذه الخريطة رموزا وعلامات اصطلاحية موحدة حتى تحقق عالمية استخدامها .

٤ - الخرائط التفصيلية :

وتسمى أيضا بالخرائط الكادسترالية Cadastral Maps وهي ذات مقياس رسم كبير يسمح بظهور التفاصيل بكل دقة مثل مقياس ١ : ٥,٠٠٠ أو ١ : ٢,٥٠٠ وهي تغطي مساحة محدودة من سطح الأرض مثل مدينة صغيرة أو جزء من مدينة كبيرة أو قرية وتوابعها ، ويمكن أن تقسم الخرائط التفصيلية من حيث مقياسها إلى نوعين :

(أ) الخرائط الكادسترالية للمناطق الزراعية والتي توضح حدود الحقول والأحواض الزراعية وتفاصيل المبانى . وكثيرا ما تستخدم هذه الخرائط في حل مشكلات تحديد الملكيات الزراعية وتحديد الضرائب على الملكيات العقارية وهي تسمى في مصر خرائط فك الزمام ومقياسها الشائع ١ : ٢٥٠٠ .

(ب) الخرائط الكادسترالية للمدن :

وهى ذات مقياس أكبر حتى يمكن معه أن توضح تفاصيل ومعالم المدينة بشوارعها وميادينها ومبانيها وتفاصيلها الأخرى ، وقد يصل مقياسها إلى ١ : ٥٠٠٠٠ كما هو الحال فى خرائط مدينتى القاهرة والإسكندرية ، ويمكن أن ترسم بمقياس أصغر قليلا من مثل ١ : ٥٠٠٠ فى بعض مدن الوجهين البحرى والقبلى .
كما أن لمدن العالم الكبرى خرائط تفصيلية ، وبعضها يوضح تقسيمات الأراضى التى تقام عليها المباني من منشآت ومساكن ، وتستخدم بعض هذه الخرائط فى خدمة السياحة .

كما يمكن ان نقسم الخرائط حسب الموضوع الذى تتناوله وتوضحه الخريطة ، فهذه خريطة جيولوجية وتلك للتربة وثالثة لتوزيع الثروة المعدنية ، ويتفق هذا التقسيم تقريبا مع تقسيمنا لعلم الجغرافيا إلى قسميه الرئيسيين الطبيعية والبشرية والذى ينقسم كل منهما بدوره إلى عدد من الفروع كما سبق ويخدم كل فرع منها نوع من الخرائط ، وفيما يلى أمثلة لتقسيم الخرائط حسب الموضوع :

١- الخرائط التضاريسية :

وهى الخرائط التى توضح تفاصيل سطح الأرض من حيث الارتفاع أو الانخفاض عن مستوى سطح البحر ، ومدى أو درجة الإنحدار ، والأنهار والأودية التى تجري على هذا السطح ، هذا بالإضافة إلى ظاهرات تضاريسية أخرى مثل المستنقعات والملاحات ، والبحيرات وأشكال الرمال .

٢- الخرائط المناخية :

وهى توضح أحد عناصر المناخ المختلفة من حرارة وضغط ورياح وأمطار مثل خريطة توزيع الحرارة فى فصل أو فى شهر أو توزيع المطر السنوى لإحدى القارات أو الدول ، كما تستخدم خرائط الطقس لبيان حالة الجو فى فترة زمنية قصيرة لا تتجاوز أسبوعا .

٣ - الخرائط السكانية :

وهذه تختص بتوزيع السكان وكثافتهم وغموهم. وتيارات الهجرة الوافدة والنازحة والهجرة من انريف إلى المدينة وغير ذلك من المعلومات عن سكان الإقليم وخصائصهم السكانية مثل خريطة لتوزيع كثافة السكان فى مصر أو تيارات الهجرة الوافدة من ريف مصر إلى القاهرة أو توزيع السكان وكثافتهم فى أوروبا أو آسيا أو فى الولايات المتحدة الأمريكية أو الهند .

٤ - الخرائط الاقتصادية :

وتضم قطاعا كبيرا من الخرائط التى توضح توزيع المحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية أو الثروة السمكية والثروة المعدنية ومصادر الطاقة وطرق النقل والمواصلات والتجارة الخارجية . كما قد توضح اتجاه الحركة فى نقل إحدى السلع مثل البترول من منطقة انتاجه فى حوض الخليج العربى إلى مناطق الاستهلاك ، أو حركة صادرات القطن أو القمح . بين أجزاء العالم .

ويتباين الغرض الذى من أجله تستخدم الخريطة بما يمكن معه تقسيمها وفقا لهذا الأساس إلى نوعين هما :

١ - الخرائط العامة :

وهى التى يشيع استخدامها بين قطاع كبير من مستخدمي الخريطة وذلك لسهولة استخدامها وبساطة إخراجها مثل الخريطة السياحية أو الخريطة الإعلامية ، فهى لا تتطلب من قارئها أن يكون على دراية علمية جغرافية متخصصة ، ويمكن أن يضم هذا النوع من الخرائط بالإضافة إلى ما ذكر ، الخرائط العالمية مثل خرائط الأطالس ، والخرائط الطبغرافية لذيوع انتشارها واستخدامها بين قطاع كبير من المتخصصين ، ويلاحظ أن الخرائط السياحية تستخدم بكثرة فى الدول الأوربية ، كما يستخدمها السياح الأوربيون والأمريكيون فى رحلاتهم السياحية إلى دول العالم المختلفة ومنها مصر .

كما تستخدمها شركات السياحة فى نشراتها لتسويق الرحلات أو فى عمليات الإرشاد السياحى ومناطق المزارات ، كما أخرجت بعض الدول أطالس توضح الطرق ودرجاتها .

٢ - الخرائط الخاصة :

وهى التى يقتصر استخدامها على نطاق ضيق يشمل المتخصصين ذوى الدراية والخبرة بطريقة إخراجها مثل الخريطة الجيولوجية وخرائط الطقس والمناخ والخريطة الكنتورية ، وجميعها خرائط لا يمكن إلا لمتخصص فى موضوعها أن يفهم محتواها وما تقدمه من معلومات ، والرموز المستخدمة فيها ودلالة ومعنى كل منها .

قراءة الخريطة

تتوقف الاستفادة الحقيقية من الخريطة ونجاحها فى أداء مهمتها ، على مدى دراية المستخدم لها بكيفية قراءتها وتحليلها ومعرفة ما تحويه من حقائق من توزيع الظاهرات التى يقوم بتوزيعها ، ولكى نتمكن من هذه القراءة الصحيحة للخريط ، لابد أن نكون على إلمام تام ومعرفة بأساسيات الخريطة أو ما يسمى أيضا بأبجدية الخريطة ، ويعنى بها المعلومات الأساسية التى يجب أن ينظر إليها قارئ الخريطة قبل البدء فى تحليلها وقراءتها بالتفصيل ، وتتضمن هذه الأساسيات المعلومات الآتية :

١ - عنوان الخريطة :

يوضح عنوان الخريطة ما تضمه من معلومات تتناول مضمونها والموضوع الذى تعالجه والإقليم الذى تتناوله ، مثل خريطة توزيع السكان فى العالم العربى

فإن عنوانها يوضح أنها خريطة سكانية تتناول توزيع السكان فى دول العالم العربى ومناطق انتشارهم أو تركّزهم وقد توضح الكثافة السكانية .



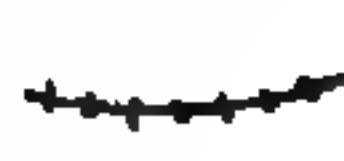









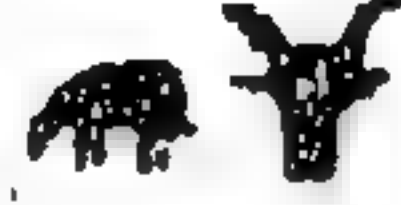





















وعنوان الخريطة هو أحد المعلومات الأساسية التى يجب ظهورها على الخريطة وفى مكان بارز منها ، وعادة ما نجده فى أحد أركان الخريطة وخاصة ركنها الجنوبى الغربى أو أسفل الخريطة أحيانا .

٢ - مقياس رسم الخريطة :

وهو يوضح العلاقة النسبية بين المسافات والمساحات على الخريطة وما يقابلها على الطبيعة فعن طريقة يمكن لقارئ الخريطة أن يدرك النسبة والتناسب بين الخريطة والطبيعة ولا يمكن لقارئ خريطة ما أن يدرك هذه العلاقة دون وجود مقياس رسمها عليها ، فهو يساعده على الإحساس بمدى كبر أو ضآلة المساحة التى تتناولها الخريطة .

إن وجود ثلاث خرائط أحدها لجزيرة البحرين وأخرى لمصر وثالثة للولايات المتحدة على صفحة كتاب يمكن مع عدم وجود مقياس رسم على هذه الخرائط أن ينقل الإحساس لقارئها بتساوى مساحة الدول الثلاث بينما وجود مقياس الرسم يمكنه من أن يربتها مساحيا ويستطيع أن يوجد نوعا من العلاقات النسبية بينها ، ولذلك يعد مقياس الرسم من أساسيات الخريطة التى يجب اثباتها عليها ويجب على قارئها أن يوليها عنايته ودراسته .

نماذج من رموز الخرائط

معمل تكرير بترول		عهدود سياسية	
مسكن عهدود		عهدود ادارية	
آنايب بترول		طرق رئيسية	
آنايب غاز		طرق ثانوية	
حقول بترول		أنهار	
حقول غاز		عواصم	
مناطق تربية ماشية		مدن هامة	
آبار مياه		مدن صغيرة	
كروم		مناطق حربية	
أشجار موالح		سبجات	
تخيل		رمال	
قطر		ميناء بحري	
ذرة		طارات	
قمح		سوطه كسرباء	
بيرة		سوطه محلية مياه	
خضروات		مصانع	
منتجات الغنم		مصانع	

(شكل رقم ١)

٣ - دليل الرموز والمصطلحات :

ويسمى أيضا مفتاح الخريطة وهي تسمية ذات دلالة فعن طريقه يمكن معرفة ما تدل عليه مجموعة الرموز والعلامات والاصطلاحات الواردة على الخريطة وماذا تمثل على الطبيعة ، وبدونه تصبح هذه الرموز بلا معنى وتصبح بذلك قراءة الخريطة ومعرفة محتواها ومضمونها .

إن خريطة لتوزيع الأقاليم النباتية فى إفريقيا تتوزع عليها مجموعة من الألوان أو الظلال يعطى كل منها مساحة محدودة فى الخريطة ويرمز كل منها لنوع من أنواع الحياة النباتية فهذه للغابات الاستوائية وتلك للسفانا وغيرها للصحارى وهكذا ، مثل هذه الخريطة لا يمكن فهمها وقراءتها إلا إذا تضمنت الخريطة مفتاحا لها يحدد دلالة كل لون أو تظليل يرد على الخريطة وقد تصادفك أحيانا خريطة بدون مفتاح ويعنى ذلك عدم الحاجة إليه نظرا لاحتواء الخريطة على رمز واحد ، كما هو الحال فى خريطة لتوزيع القمح فى العالم حيث تحدد المناطق التى تسود فيها زراعة هذا المحصول وتعطى لونا أو تظليلا وبالتالي فليس هناك حاجة إلى مفتاح فى هذه الخريطة مع إمكانية قراءتها بدونه .

٤ - دليل الموقع :

لابد لقارئ الخريطة أن يكون على علم ودراية بموقع الإقليم الذى تتناوله الخريطة وهو أمر لا يحتاج إلى إيضاح وتحديد إذا كانت الخريطة تتناول إقليما كبيرا معروفا من العالم مثل إفريقيا أو دولة كبيرة مثل الصين ، أو الولايات المتحدة أو العالم العربى ، أما إذا تناولت الخريطة مساحة محدودة مثل الوجه البحرى أو إحدى محافظات مصر ، فإن قارئ الخريطة قد يحتاج إلى أن يجد على الخريطة ما يدل على ما يوضح له موقعها ، ويمكن أن يتضح ذلك من خلال رسم شبكة خطوط الطول ودوائر العرض التى تحدد الموقع الفلكى للإقليم بالنسبة

للعالم ، فعلى خريطة للدلتا يمكن أن تحدد موقع القاهرة بانها تقع على خط طول ٣١ شرقا وخط عرض ٣٠ شمالا ، ويمكن أن توضح الموقع بعمل خريطة صغيرة توضع فى أحد اركان الخريطة وتبين موقع الإقليم بالنسبة للإقليم الأكبر الذى يتسمى إليه، كما هو الحال فى رسم خريطة لمحافظة المنوفية وخريطة ركنية تحدد موقع المنوفية فى وسط الدلتا ، أو لإظهار إحدى الولايات على خريطة ركنية للولايات المتحدة الأمريكية .

٥ - دليل الاتجاه :

يعد دليل الاتجاه من أهم أساسيات الخريطة من أجل الاستخدام السليم لأنه وسيلة قارئها فى توجيه الخريطة توجيهها سليما بحيث يكون على معرفة صحيحة بالاتجاهات الرئيسية عليها وعادة ما يستخدم اتجاه الشمال دليلا للاتجاه ، على الخريطة ويظهر عليها فى صورة سهم صغير يرسم فى أحد أركانها العليا .

ويمكن أيضا استخدام شبكة خطوط الطول ودوائر العرض دليلا يوضح اتجاه الشمال على الخريطة حيث تأخذ خطوط الطول فى معظم الخرائط محورا عاما من الشمال إلى الجنوب وإذا صادفتك خريطة غير موضح عليها أى دليل للاتجاه فإن ذلك يعنى أن الخريطة موجهة تلقائيا بمعنى أن إطار الخريطة الشمالى يشير إلى اتجاه الشمال .

مقياس الرسم :

مع كبر مساحة الأرض وأقاليمها واستحالة أن ترسم المسافات والمساحات على الطبيعة فى إقليم ما بنفس أطوالها ومساحتها على الطبيعة ، كان لابد أن تلجأ إلى التصغير أى نرسم صورة الطبيعة على الخريطة مصغرة ، ولكى يتوفر لهذا التصغير قدر من الدقة لابد أن يكون ذلك فى صورة نسبية بأن تحدد العلاقة بين الخريطة وما عليها من مسافات ومساحات من ناحية ونظيرها على الطبيعة من

ناحية أخرى ، وهو ما يعرف بمقياس رسم الخريطة الذى يعد أحد المعلومات الأساسية عليها كما سبق إيضاح ذلك عند الحديث عن أساسيات الخريطة .

وكما يستخدم مقياس الرسم فى الخرائط ، سواء تلك التى بالكتب أو الأطالس أو الخرائط الحائطية ، فإنه يستخدم أيضا فى عمل نماذج الكرة الأرضية التى تستخدم كوسيلة إيضاح فى المؤسسات التعليمية ، وعلى سبيل المثال فإن قطر الأرض يصل طوله إلى حوالى ٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠ بوصة ، فإذا كانت الكرة الأرضية فى المدرسة أو المعهد لها قطر ٢٥ بوصة ، فمعنى ذلك أن مقياس رسمها هو ٢٥ إلى ٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠ أو ببساطة ١ : ٢٠,٠٠٠,٠٠٠ ويلاحظ أن هذا المقياس الأخير لا يستخدم فيه تمييز لقياس أطوال المسافات بمعنى أنه إذا كانت كل بوصة على نموذج الكرة الأرضية تساوى ٢٠ مليون بوصة على الأرض فى عالم الواقع ، فإنه يمكن القول بالمثل بأن كل سنتيمتر واحد على نموذج الكرة الأرضية المدرسية تساوى ٢٠ مليون سنتيمتر على الأرض الحقيقية ، وإليك بعض نماذج من دلالة مقاييس الرسم :

مقياس الرسم على الخريطة	ما يقابل البوصة	ما يقابل السنتيمتر
١ : ٥,٠٠٠	١٣٩ ياردة	٥٠ متر
١ : ١٠,٠٠٠	١٥٨ ميل	١٠٠ متر
١ : ٥٠,٠٠٠	٧٨٩ ميل	٥,٠ كيلو متر
١ : ١٠٠,٠٠٠	١,٥٨ ميل	١,٠ كم
١ : ٥٠٠,٠٠٠	١,٨٩ ميل	٥,٠ كم
١ : ١,٠٠٠,٠٠٠	١٥,٧٨ ميل	١٠,٠ كم

هذا ، ويلاحظ أن معظم دول العالم تستخدم المقاييس المترية حاليا ، ولكن عددا قليلا من دول العالم مثل الولايات المتحدة وبريطانيا تستخدم مقاييس البوصة والميل على خرائطها ، وكذلك تظهر على كثير من الخرائط مقاييس رسم تقارن المسافات المترية بغيرها .

ويعرف مقياس الرسم - فى أبسط صورة - بأنه النسبة بين المسافات والمساحات على الخريطة وما يناظرها على الطبيعة ، فإذا قلنا إن المسافة بين منزلك ومعهدك على الخريطة ثلاثة سنتيمترات وكانت هذه المسافة على الطبيعة ثلاثة كيلو مترات فإن ذلك يعنى أن مقياس رسم هذه الخريطة يقول إن كل واحد سنتيمتر على الخريطة يعادل واحد كيلو متر على الطبيعة ولذلك فإن زميلا آخر يبعد منزله عن المعهد ستة كيلو مترات سوف يجد هذه المسافة على نفس الخريطة ستة سنتيمترات وهكذا .

أنواع مقاييس الرسم :

يظهر مقياس رسم الخريطة فى أشكال وصور متعددة فى أحد أركانها ويمكن بوجه عام أن تحدد هذه الصورة فى شكلين رئيسين :

١ - المقاييس الكتابية :

هذا النوع من المقاييس يستخدم التعبير كتابة بالألفاظ أو بالأرقام ، ويتميز هذا النوع من المقاييس بسهولته ووضوحه لأنه يعطى مباشرة المسافة على الرسم وما يناظرها على الطبيعة فإذا كان لفظيا فهو يذكر الوحدة على الرسم وما يمثلها على الطبيعة مثل : كل واحد سنتيمتر على الخريطة يمثل خمسة كيلومترات على الطبيعة أما إذا كان رقميا فإنه يظهر على الخريطة فى صورة نسبة مثل ١ : ٥٠٠,٠٠٠ أو فى صورة كسر بيانى $\frac{1}{500,000}$ وذلك يعنى أن كل واحد سنتيمتر على الخريطة يمثل ٥٠٠,٠٠٠ سنتيمتر على الطبيعة أى خمسة كيلومترات ،

وبلاحظ أن من شروط المقياس الذى يرد فى صورة نسبية أن يكون طرف النسبة أو بسط الكسر واحد صحيح ويذكر ما يقابله على الطبيعة فى الطرف الآخر للنسبة أو مقام الكسر ، وبعد المقياس الرقمى أفضل من المقياس اللفظى لأنه يعبر بالرقم الذى يسهل فهمه مهما اختلفت لغات مستخدمى الخريطة ، بينما تمثل اللغة التى يكتب بها المقياس الكتابى عائقا أمام فهمه اذا كان مستخدم الخريطة يجهل اللغة التى كتب بها المقياس الكتابى .

٢ - المقاييس الخطية :

تتمثل الصورة الشائعة التى تظهر بها مقاييس الرسم فى معظم الخرائط خاصة كبيرة المقاييس وهو عبارة عن رسم خط فى ركن من أركان الخريطة بحيث لا يشغل حيزا كبيرا منها ، ثم يقسم هذا الخط إلى عدد من الوحدات المتساوية ويذكر على كل وحدة على الرسم ما يناظرها على الطبيعة كما يتضح من الشكل .

ويراعى فى عمل المقياس الخطى أن تكون أرقامه صحيحة وليست فى صورة كسور بقدر الإمكان ويفضل أن ينتهى بأرقام صفرية أو خمسية .

ولزيد من الدقة فى القياس يمكن تقسيم الوحدة اليسرى الأولى من المقياس إلى وحدات صغرى حتى يمكن القياس أن يقرأ وحدات أصغر مما توضحه وحداته الكبرى ، وقد يظهر المقياس الخطى على الخريطة فى صورة مقياس مقارن ذلك أن المقياس يمكن أن يقارن المسافة بالكيلومتر والميل ويتضح من الشكل أن المقياس المقارن رسم فى صورة خطين قسم كل منهما إلى وحدات تختلف عن الأخرى فقد قسم المقياس العلوى إلى سنتيمترات ومليمترات وذكر ما يعادل كلا منها بالكيلومترات بينما قسم الخط السفلى إلى بوصات وأجزائها وذكر ما يقابل كلا منها بالميل مع ملاحظة أن نقطة بدء القياس (صفر المقياس) واحدة فى المقياس ليتمكن أن نحدد عليه أية مسافة بالكيلومترات وما يعادلها فى نفس الوقت بالأميال ولنفس المقياس ، وهذا هو الذى يعطى هذا المقياس صفة « المقارن » .

استخدام الخريطة فى الميدان :

كثيرا ما نكون فى رحلة أو فى دراسة ميدانية أو بصحبة أحد الأفواج السياحية ونحتاج إلى الخريطة لنستعين بها فى هذه الرحلة أو الدراسة الميدانية لنحدد بها خط سير الرحلة أو نحدد موقعنا على الخريطة ، فكيف يمكن استخدام الخرائط فى الميدان ؟ لابد لنا هنا من خطوات لتساعدنا على ذلك ، وهذه الخطوات هى :

١ - توجيه الخريطة :

يعد توجيه الخريطة الخطوة الأولى لاستخدام الخريطة فى الميدان استخداما صحيحا ويقصد به أن توضع الخريطة فى وضع يطابق صورتها على الطبيعة بحيث يطابق كل مظهر من مظاهر الطبيعة نظيره الموجود على الخريطة اتجاها ويعنى ذلك بصورة أخرى تطابق الاتجاهات الرئيسية على الطبيعة مع نظيرتها على الخريطة ويعد تحديد أحد هذه الاتجاهات على كل من الخريطة والطبيعة أسهل طرق توجيه الخريطة لأنه مع تحديد ذلك تحدد تلقائيا بقية الاتجاهات (كيف ؟) .

٢ - تحديد اتجاه الشمال على الطبيعة :

سبقت الإشارة إلى كيفية ظهور اتجاه الشمال على الخريطة ، فكيف يمكن تحديد اتجاه الشمال على الطبيعة لكى يتم توجيه الخريطة ، هناك العديد من الطرق التى يمكن بها تحديد هذا الاتجاه فى الطبيعة لعل من أهمها الآتى :

(أ) استخدام البوصلة المغناطيسية :

من المعروف أن إبرة البوصلة المغناطيسية تشير إلى اتجاه الشمال ، ومع وجود اتجاه الشمال على الخريطة فإنه يمكن إجراء توجيه الخريطة بوضعها على لوحة مستوية فى وضع أفقى ثم نضع البوصلة فوق الخريطة بحيث تكون إبرتها فى اتجاه

شمالي جنوبي مسامتة لسهم الشمال على الخريطة ولا يتم ذلك إلا بتحريك الخريطة تحت البوصلة حتى تأخذ الإبرة المغناطيسية اتجاه خط الشمال الموقع على الخريطة .

(ب) استخدام الشمس والنجوم :

يمكن استخدام الشمس وأشعتها الساقطة على سطح الأرض في تحديد اتجاه الشمال نهارا فمن المعروف أن قرص الشمس عند شروقها يشير إلى اتجاه الشرق وعند غروبها يشير إلى اتجاه الغرب أما في منتصف النهار (وقت الزوال) فإنه يلاحظ أن ظل الأشياء الواقع عليها أشعة الشمس يكون أقصر ما يمكن في هذا الوقت ويتجه في نفس الوقت نحو الشمال في نصف الكرة الشمالي ونحو الجنوب في نصف الكرة الجنوبي .

أما ليلا فإنه يمكن الاهتداء بالنجوم لتحديد اتجاه الشمال وذلك عن طريق مجموعة الدب الأكبر النجمية التي تظهر في السماء عبارة عن مجموعة من النجوم تنتظم في شكل يشبه المغرفة أو الدب تتكون من سبعة نجوم ويتكون ذيل الدب أو يد المغرفة من ثلاثة نجوم بينما جسم الدب أو المغرفة من أربعة نجوم يعرف النجمان الأخيران منهما باسم الدليلين ، فإذا أوصلنا بينهما بخط من قاع المغرفة إلى أعلاها ثم مد هذا الخط على استقامته إلى مسافة تعادل خمسة أمثال المسافة بين الدليلين تقريبا ، فإن هذا الامتداد يصل إلى نجم لامع عما سواه من النجوم المحيطة به هو النجم القطبي الذي يحدد موقعه بالنسبة للراصد اتجاه الشمال .

٣ - إذا لم نتمكن من تحديد اتجاه الشمال أو غيره من الاتجاهات الأصلية على الطبيعة فإنه يمكن الاستعانة بالخريطة والمعالم الموجودة عليها ومحاولة تطبيقها مع مثليتها على الطبيعة ويمكن أن يتم ذلك بعدة طرق منها البحث عن ظاهرة ذات امتداد طولي مثل طريق أو مجموعة أعمدة على خط مستقيم أو تقاطع طريق مع آخر ونحدد موقعنا منه ثم نطابق بين الخريطة والطبيعة كما يمكن

إجراء هذا التطابق وبالتالي توجه الخريطة بالبحث عن ثلاث ظاهرات يمكن أن تكون معا رؤوس مثلث يسهل تحديد موقعنا منه على الخريطة والطبيعة معا .

تحديد الموقع على الخريطة :

فى كثير من الأحيان يتطلب استخدام الخريطة فى الميدان تحديد موقعنا عليها ويتم ذلك عن طريق عدد من الطرق لعل من أبسطها أن نبدا بتوجيه الخريطة أولا بحيث نطابق الظاهرات الموجودة على الطبيعة حولنا مع مثيلتها على الخريطة ثم نبحث بعد ذلك عن ظاهرتين على الطبيعة نستطيع تحديدهما على الخريطة ويفضل أن تكون إحداهما عن يمين الراصد والأخرى عن يساره وبواسطة مسطرة أو شريط من الورق المقوى (الكرتون) نرسم خطا يسير فى اتجاه الظاهرة الأولى وما يمثلها على الخريطة وكذلك بالنسبة للظاهرة الثانية ونمد الخطين على استقامتهما ويحدد تقاطعهما على الخريطة الموقع الذى نقف عليه تماما .

الخريطة والعمل السياحى :

أصبحت للخريطة أهمية كبيرة فى العمل السياحى ، سواء كان ذلك بالنسبة للسائح الذى يريد أن يتعرف على الأماكن أو أن يقوم بنفسه بعمل خطة سياحية ينتقل فيها من مكان لآخر ، أو للشركات والمؤسسات العاملة فى السياحة والتي تهتم بتقديم أفضل خدمة ممكنة للسائحين الذين يتعاملون معها ، وفى هذا الصدد فإن الخريطة السياحية يمكن أن تشمل ما يلى :

١ - خرائط الأماكن والمزارات السياحية ، مثل عمل خريطة مفصلة نسبيا لأحد الأماكن الهامة مثل متحف توبكبابى Topkapi فى اسطنبول ، وهو القصر الذى كان مقرا للسلطان العثمانى ثم حول بعد ذلك إلى متحف ضخمة ، يضم كنوز الامبراطورية العثمانية إلى جانب المطابخ ومقر الحريم ومقر السلطان ، ويمكن الاعتماد على الخريطة المفصلة فى ترتيب الزيارة ، ومن أمثلة ذلك أيضا الخريطة

التوضيحية لزيارة متحف اللوفر Louvre فى باريس بأجنحته المختلفة دون إهمال
لأى قسم أو صالة من صالات العرض .

وقد تشمل هذه الخرائط مدينة مثل الأقصر وتوضح المناطق الأثرية فى شرق
النيل وهى معبد الكرنك فى الشمال ومعبد الأقصر فى الجنوب وهى المناطق التى
يتم فيها عبور النيل بالسفن حيث توجد المراسى إلى الضفة الغربية والطريق إلى
كل من مدينة دابو ومعبد الرمسوم ومعبد حتشبسوت والدير البحرى ثم وادى
الملوك ووادى الملكات .

٢ - الخرائط السياحية الخاصة بالمدن الضخمة مثل القاهرة أو باريس أو
مدريد أو لندن أو اسطنبول ، وهذه الخرائط توضح المعالم الهامة وشبكة الطرق
والشوارع ، وقد توجد هذه الخرائط فى شكل كتاب يضم أطلسا للمدينة وهو ما
حدث بالنسبة لكل من باريس ولندن والقاهرة التى توجد كتب لكل واحدة منها
مثل كتاب Cairo A to Z وكذلك لمدينة لندن أو غيرها من المدن المذكورة .

٣ - الخرائط السياحية العامة لقطر من الأقطار ويشمل المناطق والأماكن
السياحية وشبكات طرق النقل وأطوالها ، مثل خريطة مصر السياحية ، وقد توجد
أحيانا على شكل أطالس مثل اسبانيا التى يوجد لها أكثر من أطلس سياحى يضم
خرائط تفصيلية للأقاليم وللمدن ولشبكة الشوارع وأهم المعالم الرئيسية .

وبلاحظ أن شركات السياحة والطيران والمؤسسات والشركات الكبرى
والفنادق قد تصور بعضا من هذه الخرائط السياحية التى تشكل لونا من الدعاية
والإعلان من ناحية ومصدرا للمعلومات التى يهتدى بها السائح من ناحية أخرى ،
وعلى دارس السياحة أن يجيد التعامل مع كل هذه الخرائط والأطالس تمهيدا لعمله
فى المجال السياحى .

* * *

الفصل الثالث

المعالم الطبيعية للأرض

الأرض هي إحدى الكواكب التي تدور حول الشمس في مدارات دائرية بتأثير تفاعل كل من قوة الجاذبية وقوة الطرد المركزية ، والأرض أقرب ما يكون شكلها إلى الكرة ، وإن لم تكن كاملة الكروية ، وذلك لأن محورها الاستوائى أطول من محورها القطبى ، فقطر الأرض عند خط الاستواء يصل إلى ١٢٧٥٧ كيلو مترا (٧٩٢٩ ميلا) على حين يصل قطرها بين القطبين إلى ١٢٧١٤ كيلو مترا (٧٩٠٠ ميل) وبذلك فإن قطرها الاستوائى يزيد ٤٣ كيلو مترا عن قطرها القطبى ، ولذلك يقال أحيانا إن الأرض مفلطحة .

وإذا كانت الشمس تمثل إحدى النجوم متوسطة الحجم ، فإن الأرض بدورها تمثل كوكبا متوسط الحجم بالنسبة لبقية الكواكب التي تدور فى فلك الشمس ، فالأرض أكبر حجما من كل من عطارد والزهرة والمريخ وبلوتو ولكنها أصغر من بقية الكواكب وهي المشترى وزحل وأورانوس ونبتون ، غير أن مقارنة الأرض بالشمس توضح لنا مدى ضخامة الشمس بالنسبة للأرض ، فبينما يصل قطر الشمس إلى ١,٤٠٠,٠٠٠ كيلومترا وتصل درجة حرارة قلبها إلى ١٥ مليون درجة مئوية وحرارة سطحها إلى ٥٥٠٠ درجة مئوية فإن قطر الأرض لا يتعدى ١٢,٧٥٧ كيلومترا كما سبق ومتوسط درجة حرارة سطحها ١٥ درجة مئوية فقط ، والشمس هي مصدر الحرارة السطحية للأرض وتبعد الأرض عن الشمس بمسافة ١٤٩,٦٠٠,٠٠٠ كيلومترا .

دوائر العرض وخطوط الطول :

قسم العلماء سطح الأرض إلى مجموعة وهمية من الخطوط التي تشكل شبكة تحيط بالأرض ، وهذه الشبكة تمثل خطوطا طولية هي خطوط الطول التي يصل كل منها بين القطبين الشمالي والجنوبي وتتقاطع معها خطوط عرضية على شكل دوائر تحيط بالكرة الأرضية ، وتستخدم خطوط هذه الشبكة الوهمية في تحديد مواقع الأماكن على سطح الكرة الأرضية كما أن لها استخدامات أخرى كما سنرى .

أما بالنسبة لخطوط الطول ، فعددها ٣٦٠ خطا ويعتبر خط جرينتش هو خط الطول الرئيسي بعد أن اتفقت دول العالم على ذلك وأصبح خط جرينتش الذي يقع عليه مرصد جرينتش الفلكي هو خط صفر وتقاس بالنسبة له بقية خطوط الطول حيث يقع نصفها إلى الشرق منه ونصفها الآخر إلى الغرب منه أي أن ١٨٠ خطا تقع شرق جرينتش ويقع مثلها إلى الغرب منه .

ولما كان محيط الكرة الأرضية عند خط الاستواء يصل إلى ٤٠٠٧٥ كيلومترا فإن قسمة هذا العدد على ٣٦٠ خطا يمثل كل خط منها درجة في الدائرة يعطى المسافة بين كل خطين من خطوط الطول أي أن هذه المسافة تساوى عند خط الاستواء ما يلى

$$111 \text{ كيلومترا} = \frac{40075 \text{ كم}}{360 \text{ درجة}}$$

ولما كانت هذه الأقواس التي تمثل خطوط الطول تتقارب كلما اتجهنا نحو القطبين فإن المسافة بين كل خط وآخر تقل بالبعد عن خط الاستواء شمالا أو جنوبا بحيث لا تزيد عن ٨,٥٥ كيلومترا عند دائرة عرض ٦٠ شمالا أو جنوبا وتقل أكثر كلما قربنا من القطب حيث يصل البعد بين الخطوط صفرا لأنها تتلاقى عند القطبين .

ويقابل خط جرينتش على الناحية الأخرى خط ١٨٠ درجة « شرقا وغربا في الوقت نفسه) وهو الذي يطلق عليه خط التاريخ الدولي International Date Line أما السبب في ذلك فهو أن كل خط من خطوط الطول يوجد بينه وبين الخط الذي يليه فارق في التوقيت يصل إلى ٤ دقائق بمعنى أن الفارق بين كل ١٥ خطا يمثل ساعة (حيث أن دوران الأرض حول محورها يتم في حوالي ٢٤ ساعة تقطع فيها ٣٦٠ خطا) ومن الطبيعي أن يكون نصف الكرة الأرضية نهارا بينما يشهد نصفها الثاني ليلا ، ولما كانت الشمس تشرق من الشرق فإن التوقيت في أي مكان شرقي يسبق التوقيت في أي مكان غربي ، واتخذ خط جرينتش ليكون بمثابة فاصل في التوقيت ، ولما كان التوقيت أو اليوم يبدأ بعد منتصف الليل فإنه عندما تكون الساعة في جرينتش هي الواحدة من صباح يوم ما ، وليكن الخميس أول نوفمبر في سنة ما ، فإن الساعة تكون في القاهرة التي تقع على خط ٣٠ درجة شرقا تقريبا تسبق توقيت جرينتش بساعتين فتكون الساعة فيها الثالثة صباحا ، أما في العاصمة الأمريكية واشنطن فإن الساعة لا تزال الثامنة مساء (لأن واشنطن تقع على خط طول ٧٥ درجة غربا) وبذلك يصل الفارق في التوقيت بين القاهرة وواشنطن إلى سبع ساعات ، أما عند خط التاريخ الدولي فإن الأمر يتعدى التوقيت إلى التاريخ ، حيث يسبق التاريخ في شرق هذا الخط الأماكن التي تقع في غربه بيوم ، وعندما يكون التاريخ في شرقه هو الجمعة ٢ / ١١ فإن غربه يكون تاريخه الخميس ١ / ١١ ، ويمر معظم هذا الخط في مسطحات مائية تمثل جزءا من المحيط الهادى وعندما يقطع هذا الخط بعض الجزر الصغيرة يجرى تعديل الخط بحيث يرسم اقواسا تمنع تعدد التواريخ في تلك الجزر وهي جزر ألوشيان Aleutian في غربه ، أما فيجي Fiji وتونجا Tonga وساموا الغربية فيكون التوقيت فيها متفقا مع استراليا ونيوزيلند لأنها تقع في شرق هذا الخط (الشرق والغرب هنا نسبيا) .

وأما دوائر العرض فعددها ١٨٠ دائرة وهي تتقاطع مع خطوط الطول بزوايا قائمة ، وتسير دوائر العرض في اتجاه من الشرق إلى الغرب ، ونظرا لأن هذه الدوائر تختلف في محيطها بالبعد عن الدائرة الرئيسية وهي خط الاستواء فإن المحيط الذي يمر بالكرة الأرضية عند دائرة خط الاستواء يصل طوله إلى أكثر من ٤٠,٠٠٠ كيلومترا كما سبق ، أما كلما بعدنا عن خط الاستواء فيصغر محيط الدائرة والتي تتشكل من دوائر العرض حتى تصل إلى نقطة القطبين الشمالي والجنوبي أي دائرة ٩٠ في شمال الكرة الأرضية وجنوبها .

وأهم الدوائر العرضية هي خط الاستواء Equator ومدار السرطان Tropic of Cancer (٢٣,٥ درجة شمالا) ومدار الجدي Tropic of Capricorn (٢٣,٥ درجة جنوبا) ثم الدائرة القطبية الشمالية Arctic Circle (٦٦,٥ درجة شمالا) والدائرة القطبية الجنوبية Antarctic Circle (وتقع عند ٦٦,٥ درجة جنوبا) .

وإذا كانت خطوط الطول تفيد في معرفة التوقيت فإن دوائر العرض تفيد في معرفة الأقاليم المناخية والنباتية ، حيث توجد فروق واضحة في المناخ والنبات تبعا لموقع الأقاليم من خط الاستواء أو القطب ، فكلما قربنا من خط الاستواء تزيد الحرارة وتصبح مرتفعة طول العام بينما تقل درجات الحرارة بالاتجاه شمالا أو جنوبا من خط الاستواء ، كما تختلف صورة الغابات والغطاء النباتي تبعا لذلك ، كما أن الأمطار تكون أقل طول العام بالبعد عن خط الاستواء . كما يختلف طول الليل والنهار ومعنى الفصول المناخية بالبعد عن خط الاستواء ، فعند خط الاستواء يتساوى طول كل من الليل والنهار (١٢ ساعة لكل منهما) ولكن بالبعد عن خط الاستواء يظهر معنى الفصول المناخية ويزيد طول النهار في الصيف الذي قد يستغرق ستة شهور عند الدائرة القطبية الشمالية بينما يقصر نهار الشتاء في تلك المناطق ويزيد طول الليل والسؤال الآن هو : ما الذي يفيد دارس السياحة من هذه

الجوانب الجغرافية ؟ أمثلة : توقيت وصول أو رحيل الأفراج السياحية ، الملابس المناسبة ، وماذا أينما ؟

الغلاف الحيوى :

الغلاف الحيوى Biosphere هو الذى توجد فيه مختلف صور الحياة ، ويمكن أن يوجد عند أقصى عمق تصل إليه أعماق المحيطات وهو ١١ كيلومترا تحت مستوى سطح البحر ويصل ارتفاعه إلى عشرة كيلومترات فوق مستوى سطح البحر ، حيث توجد بعض خلايا البكتريا والفطر فى حالة حركة حرة فى الغلاف الغازى ، ولكن معظم الكائنات الحية تعتمد على الطاقة الشمسية إما بطريقة مباشرة وإما بطريقة غير مباشرة ولذلك فإن هذه الكائنات توجد فى النطاق الذى تنفذ إليه أشعة الشمس والضوء فى مياه المحيطات الصافية على أعماق تقل عن ٢٠٠ مترا من السطح ، وتمتد حتى ارتفاع يصل إلى ستة كيلومترات فى المناطق الجبلية المدارية ، ويلاحظ أن قمة جبل إفرست Everest ترتفع ٨٩٠٠ مترا فوق مستوى سطح البحر .

وسمك الغلاف الحيوى بالنسبة للككرة الأرضية لا يتعدى شريحة رقيقة مثل الترسات الصغيرة التى تظهر على قشرة برتقالية ، ويتأثر الغلاف الحيوى بالعمليات الطبيعية التى تحدث خارجه مثل الطاقة الشمسية ، كما يتأثر بحركات المد والجزر التى تحدث نتيجة لموقع كل من الأرض والشمس والقمر ، وكذلك بعض الغازات التى توجد على ارتفاعات تتفاوت بين ٢٠ - ٤٠٠ كيلومترا فى الغلاف الجوى ، وفيها يتم التغلب على آثار الجزيئات الضارة الناتجة عن الطاقة الشمسية أما عن الطبقات الأرضية التى توجد بها المعادن التى استخدمها الإنسان فى مراحل تطوره الحضارى المختلفة فتوجد خاماتها على أعماق قد تصل إلى ٤٠ كيلومترا .

أما الطبقة المنصهرة من باطن الأرض فتوجد على أعماق تصل إلى ما بين ٢٩٠٠ - ٥٢٠٠ كيلومترا ، وهى التى يوجد بها المجال المغناطيسى للأرض والذي يعمل على حماية الأرض من آثار الجزئيات المشعة والشحنات الكهربية التى توجد فى الفضاء .

وتبلغ المساحة الاجمالية للكرة الأرضية ٥١٠ مليون كيلومتر مربع منها ٧١ ٪ يشكله الماء أو البحار والمحيطات بينما يشكل اليابس ٢٩ ٪ من مساحة الكرة الأرضية ، ويتوزع ذلك على النحو التالى :

(أ) المحيطات والبحار :

وتبلغ مساحتها ٣٦١ مليون كيلومترا مربعا يشغل المحيط الهادى ٤٦ ٪ من مساحتها والمحيط الاطلنطى ٢٣ ٪ والمحيط الهندى ١٨ ٪ والمحيط القطبى الشمالى ٤ ٪ كما تغطى البركومات الجليدية والثلوج ٧ ٪ من المحيطات فى شمال الكرة الارضية وجنوبها .

(ب) اليابسة :

وتبلغ مساحتها ١٤٩ مليون كيلو متر مربع تشغل أوراسيا ٣٦ ٪ منها وإفريقيا ٢٠ ٪ وأمريكا الشمالية والوسطى ١٦ ٪ وأمريكا الجنوبية ١٢ ٪ والاقیانوسية (استراليا وما حولها من جزر) ٦ ٪ وأما القارة القطبية الجنوبية Antarctica فتمثل ١٠ ٪ من مساحة اليابسة ، كما يغطى الجليد مساحات تصل إلى ١٠ ٪ من اليابسة وتغطى البحيرات والانهار ١ ٪ وأما مساحة مختلف القارات فهى كما يلى مقدرة بملايين الكيلومترات المربعة : آسيا ٤٤,٥١٨ كم^٢ ، إفريقيا ٣٠,٣١٩ كم^٢ ، أمريكا الشمالية ٢٤,٣٨٦ كم^٢ وأمريكا الجنوبية ١٧,٨٢٤ كم^٢ والقارة القطبية الجنوبية ١٥,٥٤٠ كم^٢ وأوربا ٩,٩٣٣ كم^٢ ، والاقیانوسية ٨,٩٤٢ كم^٢ ويلاحظ فى المساحات والنسب السابقة أن الجزر المقابلة للقارات تتبعها ، وأن البحار تتبع المحيطات التى تتصل بها .

تصنيف اشكال الارض :

تنباين مظاهر سطح الارض فى ارتفاعها عن سطح البحر أو انخفاضها عنه ،

وكذلك فى انحدارها ومدى امتداد كل منها ، وحتى يمكن التوصل إلى تصنيف وترتيب لأشكال سطح الأرض وضعت مجموعة من المقاييس التى تقسم أشكال سطح الأرض تبعاً لها ، وهذه الخصائص أو المقاييس هى الانحدار Slope والمواد السطحية Surface material والنمط Pattern والأبعاد Dimentions .

الانحدار :

يعبر عنه عادة بنسبة أو علاقة ما بين الارتفاع أو ما يطلق عليه الفاصل الرأسى والامتداد أو ما يطلق عليه المسافة الأفقية ، وعادة ما يستخدم لذلك تعبير وصفى كأن نقول إن الانحدار شديد أو متوسط أو ضعيف ، وفى المناطق الجبلية التى تجاورها سهول يوجد انحدار فى السفوح يمكن تمييزه بسهولة كما أن مناطق الحافات الجبلية تكون شديدة الانحدار ، وفى مناطق السهول أو الصحارى المكشوفة تكون الانحدارات خفيفة للغاية أو غير ملموسة أحيانا مثل دلتاوات الأنهار أو حتى على سطوح الهضاب .

ويقاس الانحدار عادة بالدرجات أو الزوايا بالنسبة لسطح مستوٍ هو سطح البحر .

الرواسب السطحية :

تختلف السطوح من حيث تركيب المواد الصخرية التى تعلوها أو تظهر فيها ، فقد تظهر التربة أحيانا على شكل صخور دقيقة متجانسة الذرات تختلط بها المواد العضوية المتحللة مثل مناطق السهول الفيضية أو المناطق المزروعة ، وفى أحيان أخرى تكون التربة عبارة عن صخور عارية ملساء لا يوجد عليها أية رواسب ، وفى أحيان ثالثة توجد تكوينات حصوية أو رملية أو جلاميد متخلقة عن إرسابات الجليد أو المياه الجارية ، وتوجد فروق واضحة بين مظهر السطح فى الصحارى عنه فى السهول أو المناطق ذات الطبيعة المتضرسة .

النمط :

وهو يرتبط بتوصيف الظاهرة وتتبع توزيعها فى مناطق مختلفة ، فشبكات

الأنهار مثلا مكونة من فط واضح تقسم فيه الأنهار إلى ثلاثة أقسام أساسية هي المنبع أو المجرى الأعلى ، والمجرى الأوسط ثم المجرى الأدنى أو المصب ، والكثبان الرملية إما أن تكون هلالية أو طولية ، ويرتبط توزيعها بظواهر أخرى مثل الرياح ، ويمكن أن تتميز الأقاليم عن بعضها البعض بتباين ما عليها من الأنماط ، فالمناطق الجافة تختلف أنماط السطح فيها عن المناطق الممطرة ، وتختلف المناطق الجبلية عن السهلية وهكذا .

الأبعاد :

وهي ترتبط بمدى الضخامة أو الصغر ، أي الامتداد الأرضي للظواهر ، وقد تكون هذه الأبعاد رأسية تهتم بالارتفاع ، حيث تختلف الجبال في ارتفاعها عن التلال ، وقد تكون هذه الأبعاد أفقية ، حيث تختلف الأحواض النهرية أو المنخفضات عن البحيرات أو المستنقعات أو الكثبان الرملية وإذا أخذت هذه الأبعاد شكل الوحدات الصغيرة التي لا يتعدى ارتفاعها ٥٠ مترا تعرف عندئذ بالتضاريس المحلية ، ولكن الأمر يختلف عن ذلك في حالة المرتفعات الكبيرة أو الجبال العالية التي قد يصل ارتفاعها إلى عدة كيلومترات كما أنها قد تمتد أفقيا لتشغل مساحات كبيرة تظهر على الخرائط العامة للعالم أو القارات ، أما التضاريس المحلية فلا تظهر إلا على الخرائط التفصيلية ذات مقياس الرسم الكبير .

الاشكال الرئيسية لسطح الأرض :

توجد عديد من الاشكال التي تغطي سطح الارض ، والتي تكون بينها اختلافات كثيرة ، ولكنها طبقا للتصنيف السابق يمكن أن تندرج تحت عدد من الأشكال الرئيسية هي السهول والتلال والجبال والهضاب كمناطق قارية والبحار والمحيطات كمسطحات مائية وهي أشكال الغلاف المائي . والجدول التالي يوضح أهم الفئات التي تشكل سطوح القارات :

جدول النسب المئوية لأشكال سطح الأرض

الشكل	آوراسيا	إفريقيا	أمريكا الشمالية	أمريكا الجنوبية	استراليا ونيوزيلند	القطبية الجنوبية	العالم
السهول الفيضية	٢	١	٧	١٨	٤	صفر	٥
السهول الممرجة	٣٠	٤٤	٣٠	٢٩	٥١	صفر	٣١
الهضاب	٣	٥	٦	١٤	١	صفر	٥
السهول المرتفعة	١٠	٢٢	٩	٧	١٩	صفر	١١
التلال	١١	١١	١٥	٨	١٢	صفر	١٠
جبال صغيرة	٢١	١٣	٩	١٣	١٢	١	١٤
جبال مرتفعة	٢٣	٤	١٦	١١	١	١	١٣
غطاءات جليدية	صفر	صفر	٨	صفر	صفر	٩٨	١١
% من العالم	٣٦	٢٠	١٦	١٢	٦	١٠	١٠٠

ويتضح من الجدول أن فئات أشكال السطح المختلفة ليست متساوية في نسب وجودها أو توزيعها على سطح الأرض ككل ، أو على مختلف القارات ، ويرجع هذا التباين في نسبة كل شكل من أشكال السطح ، وفي توزيع هذه الأشكال على الأرض إلى اختلاف التكوين الصخري والتاريخ الجيولوجي الذي مرت به الأرض ، ومدى انتشار الرواسب أو التكوينات الصخرية لكل عصر من العصور الجيولوجية ، وحدوث الحركات الأرضية العنيفة من زلازل وانكسارات وثورانات بركانية ، أو الحركات الأرضية البطيئة الناتجة عن عوامل التعرية والنحت من ناحية والإرساب من ناحية أخرى ، وتتأثر هذه العمليات بفعل كل من الجليد والمياه الجارية والرياح واختلاف درجات الحرارة اليومية والفصلية والسنوية .

ويظهر من الجدول أن السهول بأنواعها المختلفة تشكل أعلى نسبة من المساحة على مستوى العالم كله ، وتلي ذلك المناطق الجبلية المرتفعة ومتوسطة الارتفاع ، وتأتي المناطق التي يغطيها الجليد في المرتبة الثالثة ثم مناطق التلال ،

بينما تشغل المناطق التي تشغلها الهضاب كشكل تضاريسي أقل نسبة من الأشكال السطح على المناطق القارية أو اليابسة .

وبينما تغطي التكوينات الجليدية الكثيفة ٩٨ ٪ من سطح القارة القطبية الجنوبية فإن هذه الغطاءات الجليدية لا تشغل أى مساحات تقريبا فى كل من أوراسيا وإفريقيا وأمريكا الجنوبية ، وأستراليا ونيوزيلند . أما على مستوى العالم فإن هذه الغطاءات الجليدية تغطي ١١ ٪ من مساحة اليابسة فى العالم ، ولما كانت القارة القطبية الجنوبية تمثل ١٠ ٪ من مساحة اليابسة ، فإن الغطاءات الجليدية التي تغطي ٨ ٪ من مساحة أمريكا الشمالية لا تمثل سوى ١ ٪ من الغطاءات الجليدية فى العالم وهكذا يمكن أن نخرج من الجدول بمجموعة من المقارنات بين مختلف القارات ومدى انتشار أشكال السطح المختلفة على كل قارة منها .

وفيما يلي دراسة لكل شكل من أشكال السطح

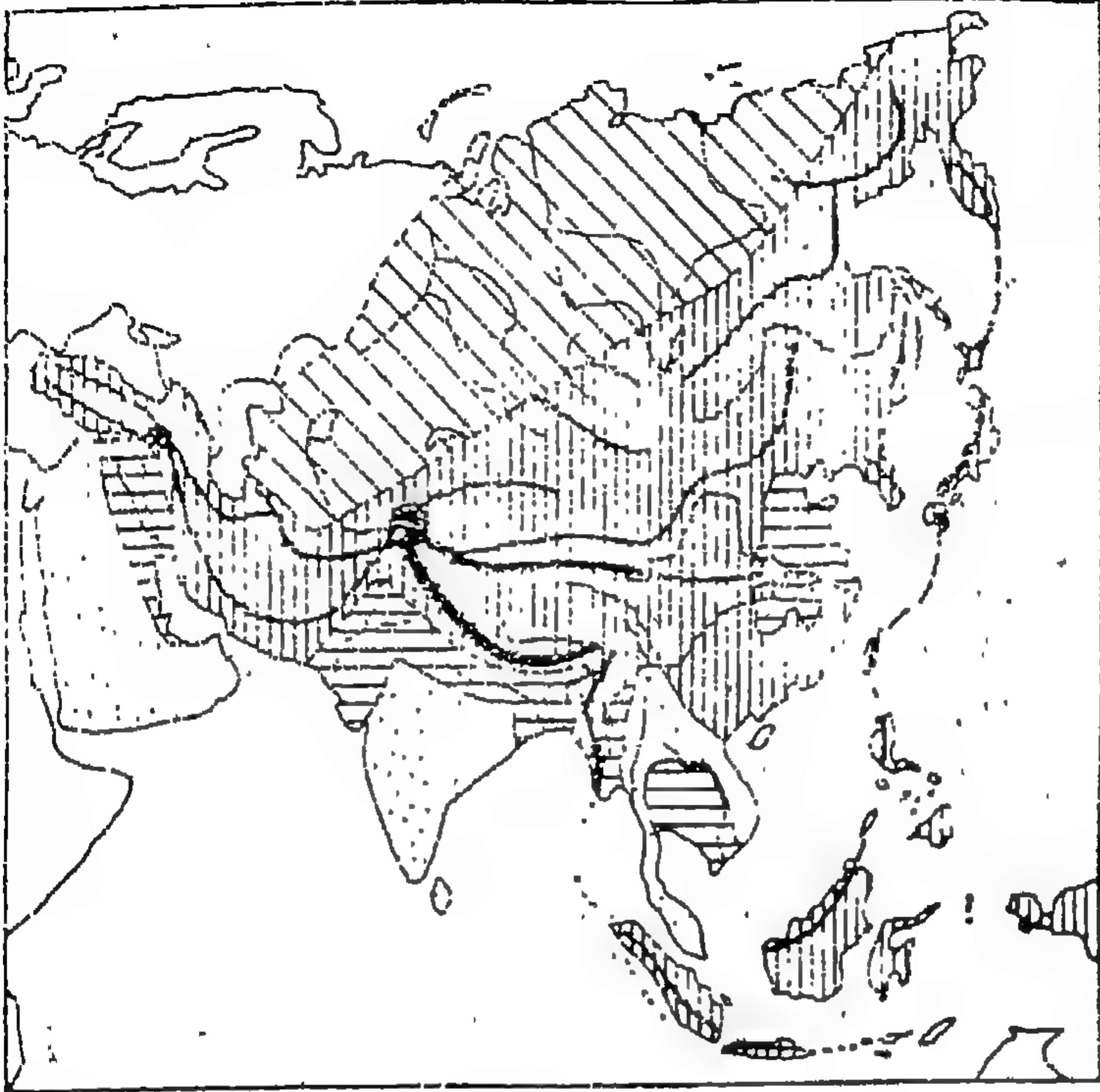
أولا : السهول Plains

السهول هي مناطق ذات سطوح مستوية أو ذات انحدارات لطيفة وتمتاز بتضاريسها المحلية المنخفضة ، ومع ذلك فإنه توجد اختلافات واضحة بين الأنواع الكثيرة من السهول فبعضها يكون السطح فيه أقرب ما يكون إلى الاستواء الذي لا تتخلله أى مرتفعات بينما بعضها الآخر قد يقترب فى بعض ملامحه من التلال المتجاورة وإن كانت الارتفاعات أقل فى تلك السهول ذات الشبه بالتلال ، وبعضها توجد به مستنقعات دائمة أو مؤقتة ، على حين يكون بعضها الآخر جافا وتكون تربته صخرية أو رملية أو حصوية ، كما أن بعضها قد يغطيه الثلج أو الجليد بصورة دائمة وبعض السهول يكون منسوب ارتفاعها مقاربا لمستوى سطح البحر بينما يكون بعضها الآخر مرتفعا لعدة مئات من الأمتار ، ولكن الذي يجمع ذلك

كله هو أنهار ذات انحدارات لطيفة وأن الارتلاقات فى منسوب السطح تكون قليلة جدا فى مختلف أنواع السهول .

ومهما كانت أنواع السهول بدرجات انحدارها فإن أهم خصائصها هى أنه يمكن القول بأنها تشكل أكثر مظاهر السطح اجتذابا لسكنى الإنسان واستقراره وقيام حضارته منذ أقدم العصور ، ولذلك فإنه يوجد ارتباط قوى بين توزيع السهول فى العالم وتوزيع السكان ، وفيما عدا بعض الاستثناءات فى المناطق التى تسودها المستنقعات أو المناطق الصخرية أو الجليدية فإن السهول تغطيها عادة شبكة من طرق النقل وهى غالبا ما تشكل أهم مناطق الإنتاج الزراعى فى العالم .

ويرجع أصل السهول إما إلى أنها قد تأثرت بعوامل طبيعية فى الماضى أدت إلى استواء سطحها وإزالة ما كان يوجد على هذا السطح فى الماضى من مرتفعات أو أنها قد جلبت إليها رواسب غطت المنخفضات وسوتها بالمرتفعات فأصبح السطح متجانسا ، وقد يكون استقرار الأرض وعدم حدوث حركات أرضية عنيفة كالتواءات والانكسارات وحركات هبوط الأرض أو ارتفاعها سببا فى وجود السهول ذات السطح المستوية ، أو أن تكون تلك السهول عبارة عن إرسابات حديثة لم تتأثر بعد بالعوامل التى تؤدي إلى اختلاف المناسيب على السطح .



مظاهر السطح في آسيا

مناطق جبلية مرتفعة	
أنهار ونهريّة	
مخاضات	
سهول جبلية	
مضارب	

شكل رقم (٦)

توزيع السهول على قارات العالم :

١ - السهول الآسيوية :

يوجد في آسيا عدد كبير من السهول ، لعل أعظم هذه السهول اتساعا هو سهل سيبيريا الذى يمكن أن نميز فيه بين قسمين سهل سيبيريا الغربى وسهل سيبيريا الشرقى ويمتد سهل سيبيريا بصفة عامة بين حدود آسيا الغربية ممثلة فى جبال أورال شمالا وأما من الجنوب فإن حدود هذا السهل العظيم توجد عند أقدام المرتفعات التى تمتد فى آسيا الوسطى حتى كل من بحر قزوين وبحر آرال . وفى الشرق تشمل مرتفعات شمال شرق آسيا حدود هذا السهل العظيم .

ويمتد القسم الغربى من سهل سيبيريا إلى الشرق مباشرة من جبال أورال وتجرى فيه بعض الأنهار التى تصب فى المحيط المتجمد الشمالى وهى أنهار أوبد وينسى Ob and Yenisev ويمتاز هذا القسم الغربى بالاستواء وعدم وجود مرتفعات أو تلال تتخلله وإلى الشرق من نهر ينسى يوجد القسم الشرقى من سهل سيبيريا ويمتد ليشمل نهر لينا Lena ، وتوحد فى هذا القسم بعض المرتفعات التى تجعله أقل استواء من القسم الغربى ، ويلاحظ أن جزءا من شمال هذا السهل العظيم الامتداد قد يغطيه الجليد طول العام ، كما أن بعض الأجزاء فى جنوب هذا السهل تشغلها الصحارى القارية الجافة وخاصة فى القسم الشرقى من السهل ، ومع ذلك فإن المناطق الجنوبية من سهل سيبيريا تمثل أهم مناطق الإنتاج الزراعى فى القسم الآسيوى من روسيا ، وبعد أن تم من خط سكة حديد سيبيريا (فى عام ١٩٠٥) أصبحت كثير فى مناطق سهل سيبيريا الغربية ذات أهمية كبيرة فى الإنتاج الاقتصادى ونشأت بها عديد من المدن والمراكز الصناعية .

ومن السهول الآسيوية الهامة السهول الساحلية والنهرية فى الصين وهى تبدأ من نهر أمور Amur شمالا ثم نهر هوانج Hwangho ويانجتسى Yangze وسيكيانج

Si-kiang وتوجد فى الهند سهول كل من نهرى السند Indus الذى يمتد معظمه فى دولة باكستان حاليا كما توجد سهول وسط وشرق القسم الشمالى من شبه القارة الهندية عند اقدام المرتفعات الجبلية وتشغلها انهار الجانج Gange وبراهما يواترا Brahma Putra وتوجد فى أحواض هذه الأنهار كثير من حضارات الصين والهند ، كما أن جزءا كبيرا من الأراضي الزراعية لكل من الصين والهند وباكستان وبنجلاديش يوجد فى السهول النهرية السابقة كما يوجد فى آسيا سهول أخرى فى كل من بورما وتايلاند وقيتنام وكمبروديا وفى بعض أجزاء الجزر الإندونيسية هذا إلى جانب سهول العراق أو أرض الرافدين (دجلة والفرات) وسهول الهلال الخصيب التى تمتد بين كل من العراق وسورية وفلسطين ، وهى أيضا مواطن لحضارات قديمة تركت كثيرا من الآثار الرائعة ولا تزال هذه السهول تمثل أهم مناطق تركيز السكان فى القارة الآسيوية وذلك لأنها أكثر مناطق القارة خصوبة فى التربة ووفرة فى المياه والإنتاج الزراعى .

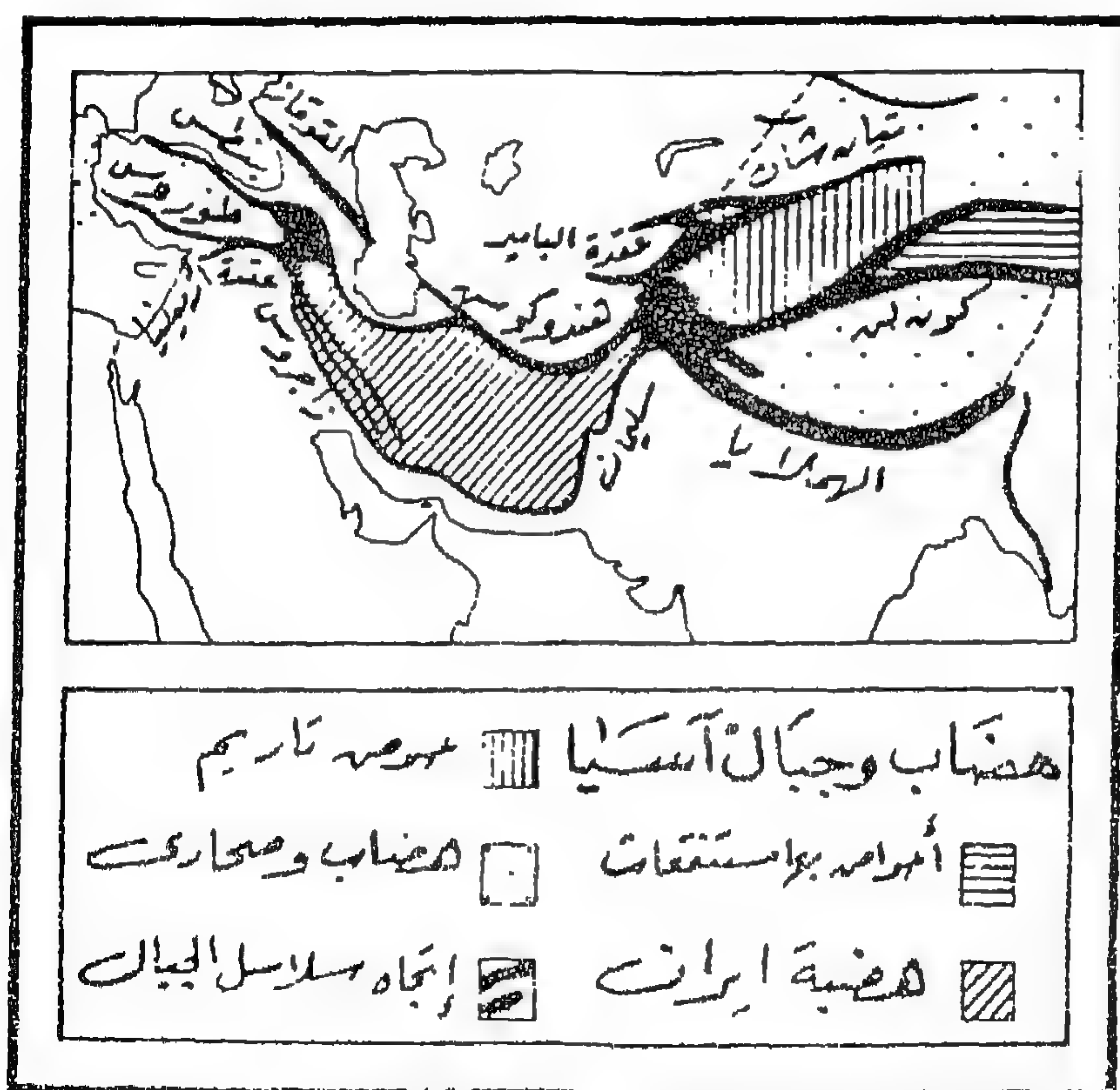
٢ - السهول الافريقية :

إفريقيا من أقل القارات حظا من السهول ، نظرا لأن معظم أجزاء القارة عبارة عن هضاب مرتفعة ، ومع ذلك فإنه يوجد بها سهول حوض الكونغو (زائير) وهو سهل واسع يقسمه خط الاستواء إلى قسمين شمالى وجنوبى وتكثر فيه الأنهار والمجارى المائية التى تعتبر روافد لنهر الكونغو الذى يجرى وسط سهل تحيط به المرتفعات من كل جانب كما توجد بعض السهول فى غرب إفريقيا وخاصة فى موريتانيا والسنغال غير أن سهول موريتانيا صحراوية بينما سهول السنغال تجرى فيها أنهار السنغال وغمبيا مما يجعلها صالحة للزراعة ، كما توجد بعض السهول فى حوض النيجر وخاصة فى مالى ونيجيريا وكذلك سهول نهر الفولتا فى غانا ، ويمثل السهل الفيضى لنهر النيل واحداً من أهم السهول فى إفريقيا حيث نشأت فى مصر واحدة من أقدم حضارات البشرية .

كما توجد بعض السهول الضيقة فى المناطق الساحلية بشرق افريقيا فى كل من الصومال وكينيا وتنزانيا وموزمبيق وكذلك فى شمال افريقيا فى كل من ليبيا وتونس .

٣- سهول امريكا الشمالية :

تعتبر امريكا الشمالية من أغنى القارات بالسهول ، حيث تمتد هذه السهول من خليج المكسيك جنوبا حتى المحيط المتحد الشمالى شمالا ويكاد القسم الشرقى من القارة الذى يشغل



شكل رقم (٧)

أكثر من نصف مساحتها يغطي بالسهول التي تجري فيها الأنهار أو تتخللها البحيرات ولا يقطع ذلك سوى مرتفعات الأبالاش والهضبة اللورنسبة ، وتمتد سهول أمريكا الشمالية بطول يصل إلى حوالي خمسة آلاف كيلو متر في كل من الولايات المتحدة وكندا ، وتجري في هذه السهول أنهار المسيسيبي وسانت لورنس وتشرشل وماكتزي كما توجد البحيرات الخمس العظمى وعدة آلاف أخرى من البحيرات التي تخلفت عن ذوبان الجليد .

وتوجد عدة سهول أخرى ثانوية في أمريكا الشمالية مثل وادي يوكون في ألاسكا أو بعض السهول الساحلية الضيقة في غرب مرتفعات الروكي في أحواض الأنهار مثل كولومبيا وكلورادو .

والسهول العظمى في أمريكا الشمالية هي أكبر مناطق العالم إنتاجا للغلات والمحاصيل الغذائية والزراعية وفيها تصدر كثير من المنتجات الزراعية والحيوانية إلى العالم كله سواء في ذلك القمح أو الذرة أو اللحوم ومنتجات الألبان أو المواد الخاء الزراعية وخاصة القطن ، وتسد هذه السهول جزءا كبيرا من استهلاكنا .

٤ - سهول أمريكا الجنوبية :

توجد سهول واسعة الامتداد في هذه القارة تقارب ما يوجد في أمريكا الشمالية وهي تمتد في نفس الاتجاه من الشمال إلى الجنوب ، ونظرا لشكل القارة فإن السهول تكون أكثر اتساعا في القسم الشمالي حيث توجد بين هضبة البرازيل وهضبة جيانا سهول الأمزون الواسعة . ونهر الأمزون هو أكبر أنهار العالم من حيث كمية المياه التي تجري فيه ، وهو يشق واديه الواسع من مرتفعات الانديز في الغرب حتى مصبه في شمال أمريكا الجنوبية ويتصل في غربه بنهر الأورينوكو حيث يفصلهما مرتفعات جيانا ، ولابد هنا من المقارنة بين سهول أنهار أمريكا

الجنوبية وسهول المسيسيبي في أمريكا الشمالية ، حيث أن المستنقعات وكثافة الغطاء النباتي الطبيعي في أمريكا الجنوبية حولان دون غنى سهول أمريكا الجنوبية كمصادر لإمداد العالم بالطعام والمواد الخام كما هو الحال في سهول أمريكا الشمالية . وفي السنوات الأخيرة أصبحت موارد الغابات في أمريكا الجنوبية مهددة ، نظرا للاستغلال الهدى الذي يؤدي إلى قطع الغابات دون أن تحل مكانها أشجار جديدة ، وقد أدى ذلك بدوره إلى جرف التربة الذي أسفر عن كثير من المشاتل البيئية التي لم يقف أثرها على منطقة صغيرة ، بل شمل التأثير في مناخ العالم ، خاصة بالنسبة لانخفاض كميات الأمطار وتهديد حياة الحيوان البري .

ومن المناطق السهلية الأخرى في أمريكا الجنوبية سهول لابلاتا La Plata التي تجري فيها أنهار بارانا Parana وأوراجواى Uruguay ، ورغم أن هذه السهول أقل امتدادا من سهول نهر الأمازون فإنها أكثر غنى في إنتاجها الزراعي والحيواني نظرا لاختفاء جزء كبير من الغطاء النباتي الطبيعي وانتشار الزراعة كما أنه لا توجد مستنقعات في سهول لابلاتا يمكن مقارنتها بما يوجد في حوض الأمازون .

هـ - السهول الأوروبية :

يعتبر السهل الروسي الأوربي أكبر سهول القارة وهو يمتد بين البحر الأسود وبحر قزوين جنوبا ويمتد شمالا حتى المحيط المتجمد الشمالي وتحدّه من الشرق جبال أورال ولكنه في جنوب هذه الجبال يتصل بسهول التركستان وغرب سيبيريا في آسيا ، وهذا السهل الواسع تغطيه في شماله مستنقعات ومناطق يغطيها الجليد وأما في جنوبه وشرقه فتوجد مناطق شبه صحراوية ، غير أن معظم هذا السهل الأوربي الروسي يعتبر أهم مناطق الزراعة في روسيا .

ويمتد السهل الروسي غربا ليتصل بوسط أوروبا وغربها في سهول ألمانيا

وفرنسا ، كما توجد عدة سهول صغيرة منفصلة عن بعضها البعض فى أوربا مثل سهل ائبر Po فى إيطاليا وحوض الدانوب Danube فى كل من المجر ورومانيا ويوغوسلافيا السابقة وسهل الأندلس فى جنوب اسبانيا . وبعض السهول الأصغر مساحة فى شبه جزيرة البلقان فى كل من بلغاريا وانيونان وقد قامت بعض الحضارات القديمة فى هذه السهول الأوربية وخاصة فى كل من إيطاليا واليونان حيث سادت الحضارات الاغريقية والرومانية التى لعبت دورا هاما فى تطور الحضارات البشرية فى العالم القديم .

٦ - سهل أستراليا :

رغم أن أستراليا هى أصغر القارات إلا أنه توجد بها سهول واسعة نسبيا غير أن بعض هذه السهول ليست سوى صحارى جافة لا توجد بها حياة نباتية ، أو حيوانية وتكاد تخلو من السكان سوى من بعض الجماعات الاسترالية الأصلية قليلة العدد . وأهم سهول أستراليا هى التى توجد فى جنوبها والتى تجرى بها انهار مري ودارلينج Murray and Darling وتضم أهم مناطق الإنتاج الزراعى فى أستراليا .

كما توجد سهول ساحلية فى كل من سواحل أستراليا الشمالية والغربية والجنوبية ولكنها أقل امتداد وأهمية من سهول مري ودارلينج .

وأما بالنسبة للجزر المحيطة بأستراليا فتوجد بها سهول محدودة وخاصة فى جزيرة نيوجينيا وجزر نيوزيلند وجزيرة تسمانيا .

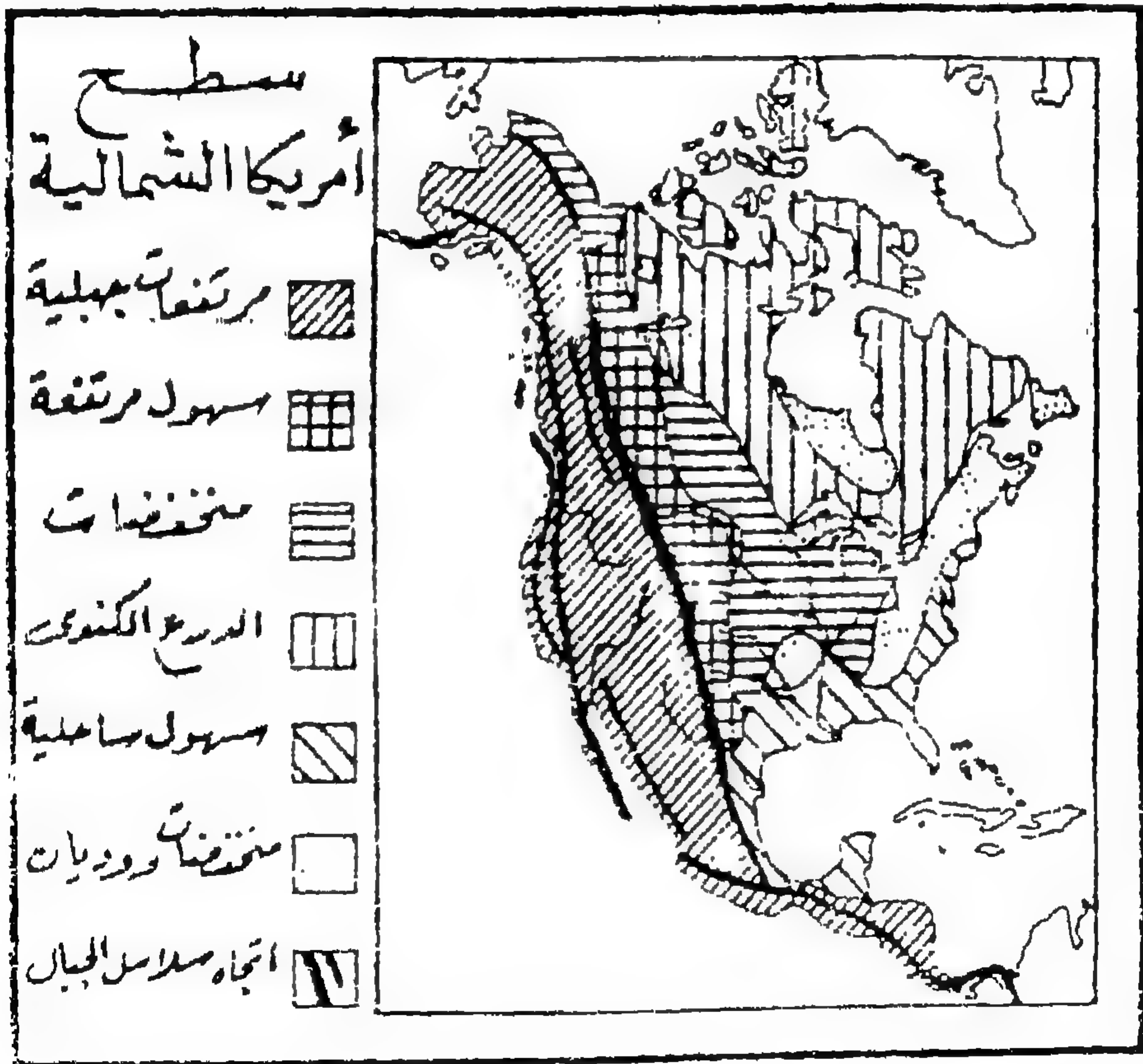
ثانيا : الجبال Mountains

تغطى الجبال العالية جزءا كبيرا من سطح الأرض يقدر بحوالى ١٣ ٪ من مساحة اليابسة ومنها ٥ ٪ من الجبال التى يزيد ارتفاعها عن ثلاثة آلاف متر فوق مستوى سطح البحر ، وتظهر المناطق الجبلية على الخرائط ذات ألوان داكنة من



شكل رقم (٨)

البنى بدرجاته المختلفة ، غير أن قارات العالم تختلف من حيث اتساع الاقاليم الجبلية فى كل منها ، أو ظهور السلاسل الجبلية بوضوح على خرائطها ، فقارة آسيا أو كل من أمريكا الشمالية والجنوبية وأوروبا توجد بها أنظمة جبلية واضحة وتشغل مساحات ظاهرة نظرا لأنها تظهر على شكل مرتفعات تنظمها سلاسل واسعة الامتداد ، بينما كل من افريقيا وأستراليا تخلوان من نظم جبلية واضحة وإن كانت معظم اجزاء القارتين الأخيرتين ترتفع كثيرا عن مستوى سطح البحر ، إلا أن البضاب فيهما أكثر انتشارا من الجبال ، راجع نسب الجبال فى كل قارة من الجدول السابق .



شكل رقم (٩١)

والجبال هي أراض مرتفعة تتعدد فيها القمم التي تفضلها عن بعضها البعض منحدرات ومناطق منخفضة وتفصل بين المرتفعات والمنخفضات آلاف الأمتار أحيانا ، وقد سبقت الإشارة إلى أن ما يقل عن ٥٠ مترا يدخل في التضاريس المحلية أو التلال ، بينما المناطق أو الأقاليم الجبلية الكبرى قد تصل إلى ثلاثة آلاف مترا أو أربعة آلاف متر ، وبصفة عامة فإن الجبال هي المناطق التي يزيد ارتفاعها عن ألف متر .

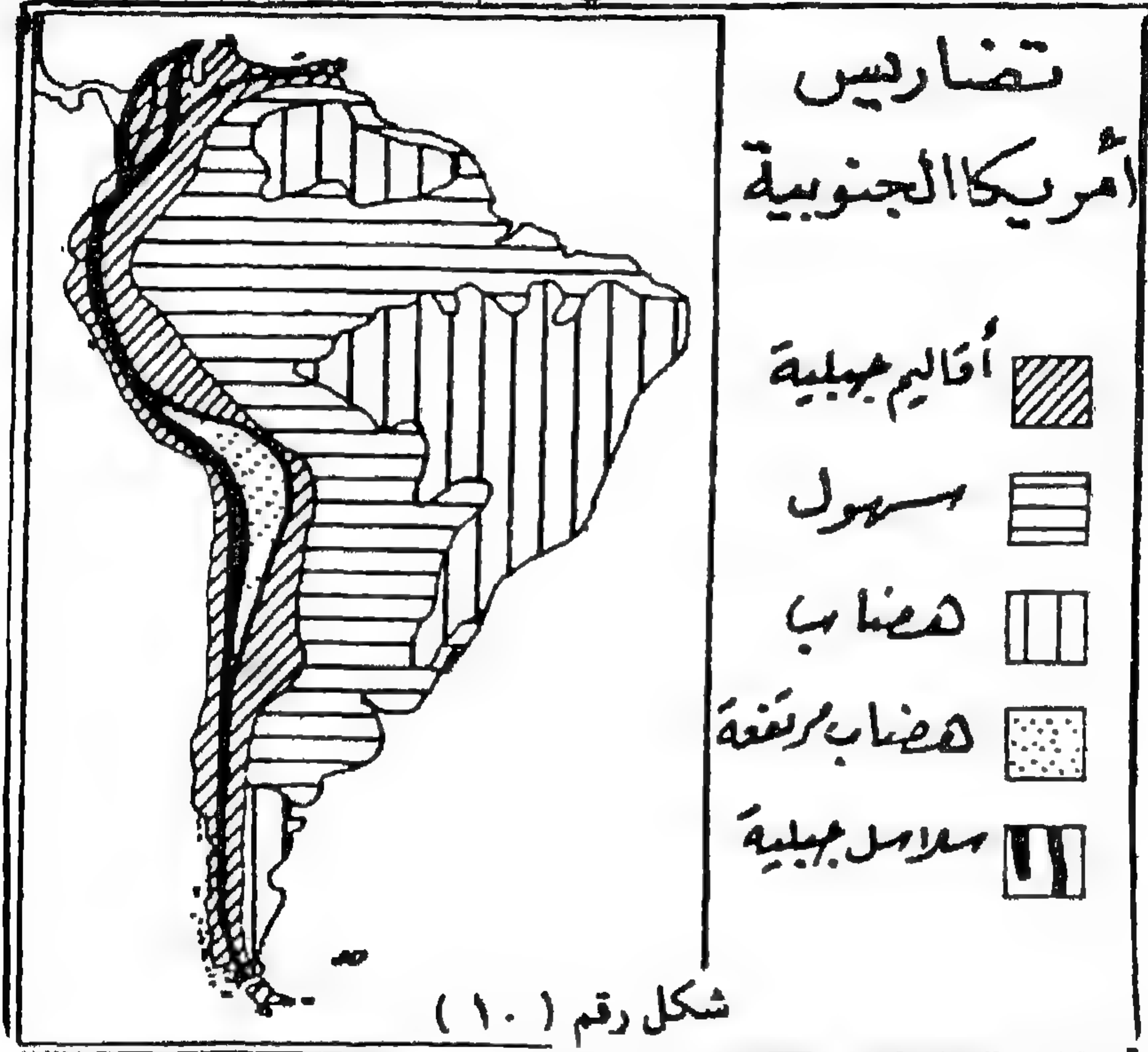
وتمتاز الجبال بارتفاع درجة الانحدار ، وفي بعض الأحيان تكون الانحدارات الجبلية على شكل حواف أو جروف قائمة أو ذات ميل قد تصل إلى ٧٠ درجة . إذا كانت الجبال على شكل امتدادات متوازية تتخللها وديان الأنهار أو المنخفضات فإنها تسمى في ذلك الوقت بالسلاسل الجبلية Ranges وغالبا ما تكون تلك السلاسل الجبلية متماثلة في تكويناتها الصخرية وتنتمي إلى عمر جيولوجي واحد وظروف بنائية متقاربة ، أما إذا كانت السلاسل الجبلية محتدة في عديد من الاتجاهات التي تتفرع من عقدة شبه دائرية فإنها تعرف عندئذ بالنظام الجبلي System ومنها جبال الروكي والأنديز والهيملايا والألب .

أما أهم المجموعات الجبلية العظمى فهي :

١ - المرتفعات الجبلية حول المحيط الهادى .

يوجد حول المحيط الهادى نطاق من المرتفعات تظهر بوضوح في غرب الأمريكتين ، وذلك لأنه يظهر كمجموعة من السلاسل الجبلية التي تأخذ امتدادا عاما من الشمال إلى الجنوب بصفة عامة ممثلة في المرتفعات الروكى Rocky Mts. في أمريكا الشمالية والتي تمتد من الاسكا في الشمال مرورا بكل من كندا والولايات المتحدة والمكسيك ، وهذه السلاسل الجبلية تضيق في كل من الشمال والجنوب ولكنها تتسع في الوسط عند خط ٥٠° شمالا في وسط الولايات المتحدة

الامريكية ، وهذه المرتفعات الجبلية تشكل حاجزا قويا أمام المؤثرات البحرية تحول بينها وبين الوصول إلى وسط القارة وخاصة عندما تتسع أو ترتفع ، وتبلغ أقصى ارتفاعات الروكي في ألاسكا في كل من جبل ماكنلي Mckinley وجبل لوجان Logan وجبل سانت الياس St. Elias ويبلغ ارتفاع كل منها حوالي ستة كيلومترات وأكثر ، ولكن بالاتجاه جنوبا تقل الارتفاعات وإن كان الامتداد الجبلي يتسع في الوسط كما ذكرنا غير أنه لا تتجاوز أعلى القمم أربعة كيلو مترات ونصف في



قمة Elbert Pikes ثم يقل الارتفاع بدرجة أكثر وضوحا في المكسيك ، ومع ذلك فقد تظهر بعض القمم المرتفعة التي يتجاوز ارتفاعها خمسة كيلومترات مثل جبل أوريزابا Orizaba وتستمر السلسلة في أمريكا الوسطى ثم في أمريكا الجنوبية حيث يزداد ارتفاع بعض قمم الأنديز عما وجدنا بالروكي في أمريكا الشمالية وإن كان امتداد الأنديز الأفقى أقل من الروكي ، ومن أعلى قمم الأنديز أو يخوس ديل سالادو Ojos del Salado ويزيد ارتفاعه عن ٦٧٠٠ مترا ويزيد عنه في الارتفاع

جبل أكونكانجوا Aconcagua الذي يتجاوز ارتفاعه ٦٨٠٠ مترا ، غير أن الإرتفاعات في أقصى جنوب أمريكا الجنوبية ما تلبث أن تضيق في امتدادها وتقل في ارتفاعاتها وإن كانت تستمر حتى جزيرة تيرا دلفويجو Tierra del Fuego ، وتقوم جبال الأنديز بنفس الدور الذي تقوم به جبال الروكي في حجز المثرثات البحرية من المحيط الهادى إلى ما يقع شرق هذه الجبال ، كما أن هذه المرتفعات تشكل عقبة ضخمة أمام وسائل النقل والاتصال ، ولولا شق قناة بناما في أمريكا الوسطى وتقدم الطيران لظلت هذه الجبال تمثل مشكلة أمام تلك الوسائل ، ومع ذلك فإن هذه السلاسل الجبلية تتخللها بعض الأحواض المرتفعة والسهول المرتفعة والهضاب .



Pamirs هي مركز هذا النطاق الجبلي المضخم وهي سع في شمال غرب باكستان عند منطقة التقاء الحدود بين كل من باكستان وأفغانستان وروسيا والصين ويتفرع منها مجموعات من السلاسل الجبلية في الشمال الشرقي جبال تيان شان Tien Shan وإلى جنوبها جبال كون لن شان Kun Lun Shan ثم كراكورم Karakoram وفي هذه الجبال توجد قمة إفرست وهي توجد شمال هضبة التبت ، ويوجد فرع جنوبي هو الذي يعرف باسم الهملايا وهو يقع إلى الشمال من النطاق السهلي الشمالي للهند وتمتد هذه السلاسل الشرقية حتى الصين غير أنها تنحرف إلى الجنوب في برما فيصبح اتجاهها من الشمال إلى الجنوب في سلسلة أركان يوما Arkan Yoma وتاليانج شان Taliang Shan .

أما إلى الغرب من عقدة البامير فتوجد مرتفعات هندوكوش وسليمان والبرز وزاجروس وهي تحصر بينها هضبة إيران وتختفي هذه الجبال تحت بحر قزوين لتظهر بعد ذلك جبال القوقاز بين بحر قزوين والبحر الأسود ثم مرتفعات بنطس Pontic وطوروس Taures وتحصران بينهما هضبة الأناضول ، وتعتبر عقدة أرمينيا عقدة ثانوية هامة لتفرع الجبال إلى الغرب من بحر قزوين وبينه وبين البحر الاسود .

أما إلى الغرب من البحر الأسود فتوجد سلاسل الجبال الأوربية وتمثل جبال الألب مركزها الرئيسي وهي توجد في شمال إيطاليا وتمتد في اتجاه عام من الغرب إلى الشرق ثم تتفرع منها جبال الألب الدينارية في كل من ألبانيا ويوغوسلافيا السابقة وجبال البلقان التي توجد في شبه جزيرة البلقان وينحصر سهل المجر بين كل من مرتفعات الكريات التي تحيط به من الشمال والشرق بينما تحصره جبال الألب والألب الدينارية من الغرب والجنوب الغربي كما توجد جبال البرانس بين فرنسا واسبانيا وتمتد في شمال اسبانيا جبال كنتيريان وبينما توجد مرتفعات أبنين Apennine في شبه جزيرة إيطاليا كأنها العمود الفقري لشبه الجزيرة فإن الجبال تختفي تحت مياه البحر المتوسط لتظهر في صقلية وتختفي لتظهر بعد ذلك في

سلسلة مرتفعات أطلس في شمال افريقيا ، وتعتبر مرتفعات سيرانيغادا في جنوب إسبانيا امتدادا لها في شبه جزيرة ايبيريا .



اما النطاقات الجبلية أو السلاسل غير المرتبطة بسلسلة جبال الألب في أوروبا فهي مرتفعات اسكنديناوة في الغرب وجبال أورال التي تتخذ فاصلا بين آسيا ، وأوروبا ويقع إلى غربها سهل شمال أوروبا .

وفي كثير من هذه الجبال الأوربية تنتشر رياضات التزلج على الجليد كما تنتشر في آسيا رياضات تسلق القمم العالية ، وخاصة قمة إفرست ، وفي جبال إفريقيا توجد رحلات السفاري ورياضات الصيد .

٣ - المناطق الجبلية الأخرى :

إلى جانب السلاسل الجبلية العظيمة التي سبقت الإشارة إليها حول المحيط الهادى وفى أوراسيا توجد مجموعة أخرى من المناطق الجبلية التى قد تأخذ شكل



شكل رقم (١٤)

سلاسل ولكنها أقل امتداداً؛ وارتفاعاً من السلاسل السابقة ، ومن هذه المناطق :

- (أ) جبال الأنبلاتش والمرتفعات اللورنسية فى شرق أمريكا الشمالية .
- (ب) مرتفعات جيانا وشرق البرازيل فى أمريكا الجنوبية .
- (ج) مرتفعات النرويج فى أوروبا ومرتفعات جزيرة آيسلندا .
- (د) مرتفعات جنوب شرق استراليا .
- (هـ) مرتفعات فوتاجالون فى غرب إفريقيا وبعض المرتفعات الجبلية فى الصحراء الكبرى .

ثالثاً : الهضاب :

توجد عدة أوجه شبه بين الهضاب وكل من السهول والجبال ، كما توجد أوجه اختلاف ظاهرة بين الهضاب من ناحية والسهول أو الجبال من ناحية أخرى فالهضاب تشبه السهول فى استواء سطحها ولكنها تشبه الجبال فى ارتفاعها ، وهى تختلف عن السهول فى وجود بعض المرتفعات التى تعلو سطحها أحياناً ، إلى جانب وجود انحدارات وميول حادة عند أطراف الهضاب ونهاياتها ، ولكن الهضاب تختلف عن الجبال فى أن تضاريسها المحلية قد تتباين فى ارتفاعاتها بمئات الأمتار بينما ترتفع هذه الفروق فى المناطق الجبلية إلى ما يصل إلى عدة آلاف من الأمتار أحياناً .

وقد يرجع استواء أسطح الهضاب إلى أن الصخور التى تشكلها عبارة عن صخور فى وضع أفقى أو لأن عوامل النحت والتعرية سوت تلك السطوح سواء بواسطة المياه الجارية كالأنهار أو الرياح فى المناطق الجافة .

وأما عن توزيع الهضاب على قارات العالم ففى : كما يلى :

١ - القارة الآسيوية :

توجد ثلاث هضاب كبرى فى القارة الآسيوية هى شبه الجزيرة العربية وهضبة إيران وهضبة الأناضول ، وتحيط بهذه الهضاب سلاسل جبلية إما التوائية حديثة فى معظم الأحيان أو انكسارية قديمة .

كما توجد فى آسيا الوسطى الشرقية مجموعة أخرى من الهضاب المحصورة بين السلاسل الجبلية الالتوائية فى آسيا الوسطى ومنها صحراء جوبى وحوض تاريم وتقع إلى الجنوب منه هضبة التبت وهى أكثر هضاب العالم ارتفاعا ويطلق عليها أحيانا اسم سقف العالم وتتراوح فيها الارتفاعات بين ٣٠٠٠ - ٤٥٠٠ مترا مما يؤدي إلى انخفاض درجات الحرارة فيها حتى أنها لا تختلف كثيرا عن المناخ ودرجات الحرارة فى المناطق القطبية .

كما توجد فى الهند هضبة الدكن وإلى شرقها هضبة يونان فى جنوب غرب الصين .

٢ - الهضاب الإفريقية :

تتعدد الهضاب الإفريقية وتختلف عن بعضها البعض ، حيث توجد هضاب إفريقية تسودها الحرارة والجفاف وتنتشر عليها فرشات وتكوينات الرمال وتلعب التعرية الهوائية فيها دورا بارزا ، ومن أمثلة ذلك هضاب الصحراء الكبرى ، وصحراء كلهارى فى جنوب القارة ، ومن الهضاب الإفريقية ما يسوده ظروف مختلفة حيث يوجد فى عروض استوائية مطرها طول العام وعليها غطاء نباتى كثيف من الغابات الاستوائية . مثل ما يوجد فى كل من كينيا وأوغندا وبعض مناطق الهضبة الإفريقية الجنوبية ، وفى بعض الهضاب الإفريقية يوجد مطر فى فصل الصيف وجفاف فى فصل الشتاء ونجد ذلك فى بعض أجزاء وسط القارة وجنوبها .

ومن أهم الهضاب الإفريقية ذات النشاط السياحي الهام ما يوجد في كل من كينيا وتنزانيا في منطقة هضبة البحيرات حيث الطبيعة الخلابة من بحيرات وغابات وأنهار توجد بها الشلالات وبها حدائق حيوان مفتوحة تنظم لها رحلات سياحية من أوروبا والعالم الجديد وخاصة إلى كينيا ، وتوجد فوق هذه الهضاب بعض المرتفعات والجبال البركانية التي تغطيها الثلوج مما يضفي جمالا فريدا على هذه المناطق الجبلية التي تكسوها الثلوج رغم وجودها على خط الاستواء .

كما توجد في جمهورية جنوب إفريقيا وزامبيا وزيمبابوي وتامبيا بعض الهضاب التي تختلف في غناها النباتي والحيواني ، وإن كانت توجد بها أهم مناطق الثروة المعدنية في جنوب القارة حيث مناجم النحاس والذهب والماس وغير ذلك من المعادن التي تشكل أهم الموارد الاقتصادية في القسم الجنوبي من القارة .

٣ - الهضاب الأوربية :

تقل الهضاب في القارة الأوربية وذلك نظرا لأن الجليد والمياه الجارية في شكل أنهار قد أدت إلى تقطيع سطح القارة في معظم الأحيان إلى مناطق تلال توجد مجاورة لنطاق المرتفعات الجبلية الضخمة التي تشكل العمود الفقري لجنوب القارة الأوربية خاصة ، وأهم الهضاب الأوربية هي هضبة المزيثا في إسبانيا - Mese ta وهي تشغل قلب شبه جزيرة أيبيريا وتقع في وسطها العاصمة مدريد ، وتحيط بها الجبال والتلال من كل ناحية ، ويلاحظ أن المنطقة الوسطى من الهضبة يسودها الجفاف رغم ارتفاعها وذلك لبعدها عن المؤثرات البحرية كما توجد هضبة فرنسا الوسطى و هضبة بوهيميا ولكنهما تعرضتا لكثير من عوامل التعرية التي أدت إلى انقسامها ، منها إلى تلال متجاورة .

٤ - الهضاب الامريكية :

وهي تشغل جزءا كبيرا من قارتي أمريكا الشمالية والجنوبية ، ففي أمريكا الشمالية توجد مجموعة من الهضاب فى كندا والاسكا ، هي هضاب إما مغطاة بالجليد أو تحيط بها مناطق جبلية تعزلها عما حولها ومن أمثلة ذلك منطقة يوكون Yukon فى الاسكا ثم تمتد الهضاب فى الجنوب وتشغلها بعض الاحواض النهرية مثل نهر فريزر Fraser وغيره من الأنهار التى تقطع الهضبة الغربية من كندا .

أما فى شرق كندا فتوجد هضبة لبرادور Lanrador ، والهضاب الكندية مسرح لكثير من العمليات السياحية نظرا لوجود الثلج والحيوانات القطبية التى يمثل فرائدها صيدا ثمينا مرتفع القيمة .

أما هضاب الولايات المتحدة فهى فى معظمها جافة ومحصورة بين المناطق الجبلية وليس لها قيمة كبيرة من الناحية الاقتصادية ومن أهمها هضاب كولومبيا وهضبة كولوراد فى الجنوب وبينهما هضبة الحوض العظيم وهى تقع كلها محصورة بين سلاسل مرتفعات الروكى . ثم توجد إلى الجنوب من ذلك هضبة المكسيك التى نشأت عليها حضارة الأزتك .

وفى أمريكا الجنوبية توجد أهم الهضاب فى كل من البرازيل والارجنتين ، وما يطلق عليه مرتفعات البرازيل هو فى الواقع عدد من الهضاب التى تتصل ببعضها وهى توجد فى شرق البرازيل ، ونظرا للمناخ المدارى فإن هذه الهضاب تمثل مناطق التركيز السكانى فى البرازيل على العكس من مناطق السهول النهرية وخاصة نهر الأمازون الذى تشغله الغابات والمستنقعات التى لا تزال حتى الآن تشكل عقبة تحول دون انتشار السكان .

أما فى الارجنتين فتوجد هضبة بتاجونيا Patagonia التى تمتد من أطراف مرتفعات الأنديز فى الغرب حتى المحيط الأطلنطى شرقا وهى صحراء باردة ذات أهمية اقتصادية محدودة .

والى جانب ذلك توجد بعض المناطق ذات المساحات الصغيرة التى تشغلها الهضاب وسط مرتفعات الأنديز وهذه الهضاب الصغيرة كانت مواطن حضارات أمريكا الجنوبية قبل كشف العالم الجديد ومن أهمها حضارة الإنكا فى بيرو ، وتمثل مناطق هذه الحضارات القديمة ، سواء فى المكسيك أو فى بيرو مناطق جذب سياحى لما يوجد فيها من آثار وتراث حضارى .

٥ - هضاب استراليا :

وهى تشغل معظم قارة استراليا ولكنها هضاب صحراوية جافة محدودة الأهمية من حيث السكان إلا حيث توجد بعض المناجم التى تجتذب إليها أعدادا قليلة من السكان .

رابعا : التلال :

التلال من أكثر أشكال السطح انتشارا على اليابس ، وكما سبق فإن الفارق بين التلال والجبال يتمثل فى درجة الارتفاع ومستواه فالتلال لا تتعدى ألف متر فى الارتفاع بينما تزيد الجبال عن ذلك .

أما من حيث توزيع التلال على القارات فإن ذلك يتمثل بإيجاز فيما يلى :

١ - فى القارة الآسيوية :

توجد مساحات كبيرة تشغلها التلال فى معظم أجزاء شبه القارة الهندية (شبه جزيرة الدكن) وفى كل من بورما والصين وجنوب شرق آسيا وخاصة فى مجموعة جزر إندونيسيا ، ثم تمتد بعد ذلك إلى مجموعة أقواس الجزر التى تصل بين إندونيسيا وقارة أستراليا .

وفى كثير من أجزاء التلال فى القارة الآسيوية يوجد تركيز للسكان ، وخاصة حيث استطاع الإنسان أن يمهّد التلال لزراعة المدرجات نظرا لأن السهول الآسيوية

أدت بسكانها غير أنه فى أقصى شمال القارة الآسيوية توجد تلال يغطيها الجليد
فى أماكن مأهولة بالسكان وإن كانت تمثل بيئة صالحة للحيوان البرى كالدب
ببى وغيره من حيوانات الفراء .

٢ - فى القارة الافريقية :

تلى التلال مساحة كبيرة من القسم الجنوبي للقارة ، وتتصل تلك التلال
بالهضاب الجنوبية فى كل من هضبة البحيرات والهضبة الافريقية الجنوبية ، وتوجد
مناطق التلال فى افريقيا مرتبطة اما بالمناطق الجبلية أو الهضبية ، وهى تظهر فى
بعض الاحيان على شكل أطراف للهضاب الافريقية ، وتوجد الجبال فى شمال
افريقيا على أطراف جبال اطلس ، كما توجد فى الصحراء الكبرى وتمتد شرقا حتى
تظهر على أطراف حوض النيل فى كل من مصر والسودان ، وهى توجد أيضا عند
سفوح مرتفعات البحر الاحمر ، وتظهر بعض التلال فى اقليم القاهرة عند حافة
الهضبة الشرقية حيث تعرف بتلال المقطم .

كما تظهر كثير من التلال فى جنوب القارة الافريقية ، وبخاصة فى الطرف
الجنوبى ، حيث توجد تلال الراند Rand التى توجد بها كثير من المعادن الهامة فى
جنوب افريقيا وخاصة الذهب .

٣ - فى القارة الاوربية :

تشغل التلال مساحات كبيرة من أوربا ، ومعظم التلال الأوربية فى مناطق
دات كثافات سكانية مرتفعة نظرا لاعتدال مناخها ، ومن أمثلة ذلك تلال الجزر
البريتانية فى كل من سكتلندا وإنجلترا وويلز وفى بعض أجزاء أيرلندا فى كل من
أيرلندا وفرنسا ، كما توجد التلال فى كل من إيطاليا وإسبانيا وألمانيا
والبرتغال واليونان وبلغاريا وجمهورية التشيك وسلوفاكيا ، وتوجد
فى السويد والنرويج .

وفى كثير من أجزاء التلال الأوربية توجد أنهار تولد من مساقطها انكهرباء ، هذا إلى جانب وجود المناجم التى قامت عليها الصناعة ولذلك يوجد عدد من المدن الأوربية الكبرى فى مناطق التلال ، كما توجد على بعضها الآخر مناطق للمراعى وفى أحيان أخرى مزارع تشغلها الأراضى الزراعية .

٤ - التلال فى الأمريكتين

توجد التلال فى كل من أمريكا الشمالية والوسطى والجنوبية فى مناطق الهوامش أو أطراف المناطق الجبلية ، وهى ترتبط فى أمريكا الشمالية بحواف مرتفعات الروكى فى الغرب والأبلش فى الشرق ، وقد يغطى الجليد بعض التلال ، كما هو الحال فى ألاسكا ، أما فى أمريكا الوسطى فتوجد التلال فى المكسيك ، وعلى أطراف المناطق الجبلية ، ثم تمتد إلى أمريكا الجنوبية وخاصة شرق جبال الأنديز ، حيث تنتشر محيطة بمرتفعات بتاجونيا فى الأرجنتين وتمتد شمالا إلى شرق البرازيل .

٥ - اما فى قارة استراليا :

فتوجد التلال فى نطاق واسع من الصحراء الاسترالية الكبرى وكذلك فى مجمرعات الجزر المحيطة بالقارة مثل جزر نيوزيلند وتسمانيا ، وبينما تكون التلال فى مناطق الجزر المحيطة باستراليا مناطق للمراعى فإنها فى القارة نفسها تكون مناطق جافة لبعدها عن المؤثرات البحرية .

الغلاف المائى :

يشغل الماء كما سبق ٧١ ٪ من مساحة الكرة الأرضية ، ويتألف الماء من كل من المياه المالحة فى شكل محيطات وبحار وبحيرات ملحة ، ومن الماء العذب فى شكل أنهار وبحيرات عذبة ومجارى مائية ، كما توجد كميات من المياه الباطنية تحت صخور اليابس وتخرج هذه المياه الباطنية أحيانا بصورة طبيعية على شكل ينابيع وأحيانا بصورة صناعية عندما تحفر آبار للحصول عليها .

وقد أفاد الإنسان من كل أشكال المياه منذ أقدم العصور فاستخدم مياه البحار والمحيطات والأنهار في الانتقال عليها بواسطة السفن ، كما استخرج بعض الأملاح من مياه البحار واستخرج الأسماك وبعض المعادن من مياه البحار ومن مياه الأنهار أيضا .

وللبحار والمحيطات أهمية كبرى في حياة السكان وإن كنا لا نحس بها مباشرة ، وذلك لأنها هي السبب في تلطيف درجة حرارة بعض أجزاء اليابسة وهي بذلك تؤدي إلى نشأة المصايف والمنتجعات والمناطق السياحية ، وخاصة حين يتفق المناخ الطيب مع غنى المنطقة وجمال الشواطئ كما أن المياه التي تسقط على اليابسة على شكل أمطار بعد ذلك مصدرها الأساسي هو مياه البحار والمحيطات .

والمحيطات هي مسطحات مائية هائلة أكبرها مساحة المحيط الهادى ثم الأطلنطى والهندي أما البحار فهي في معظمها متصلة بالمحيطات وتختلف في مساحاتها ومن أكبر البحار البحر المتوسط ثم البحر البلطى ، وللبحر المتوسط عدد من البحار الفرعية مثل البحر الأسود والبحر الأدرياتي .

والمحيطات عادة أعمق من البحار ، وتتحرك فيها المياه على شكل تيارات مائية تأخذ اتجاهات خاصة تؤثر في الملاحة وفي مصايد الأسماك ، فمن حيث تأثيرها في الملاحة قد تسهل الملاحة في اتجاهات معينة كما هو الحال بالنسبة للمحيط الهندي أو المحيط الأطلنطى ، كما أن التقاء التيارات البحرية الدفيئة والباردة قد تؤدي إلى حدوث الضباب ويؤثر في حركة الملاحة من ناحية إلا أنه يؤدي إلى غنى الحياة النباتية في المناطق البحرية فتوجد مصايد الأسماك مثل منطقة المحيط الاطلنطى الشمالى أو الجزر اليابانية في المحيط الهادى فهذه المناطق تلتقى فيها تيارات بحرية دفيئة واخرى باردة ، وقد نشأت مشكلات

عديدة بين الدول التى يتوفر أمام شواطئها كميات كبيرة من الأسماك ، وخاصة بين الدول الكبرى صاحبة أساطيل الصيد التى تجوب إسطيلها المياه الإقليمية لدول أخرى .

وتوجد بعض البحيرات المالحة ذات الأحجام الكبيرة على اليابس وهى تحمل اسم البحار مثل بحر قزوين والبحر الميت ، وهذه البحار المقفلة لا تتصل بالبحار المفتوحة ولهذا فإن منسوب مستوى سطح هذه البحار لا يتفق مع مستوى سطح البحر المفتوح (وهو الذى تنسب إليه الارتفاعات ويمثل نقطة الصفر) .

وفى بعض العروض المرتفعة قد تنخفض درجة الحرارة فتتكون على اليابس ثلجات جبلية تمثل كتلا هائلة من الجليد فوق اليابس ، أما على البحر فقد تتجمد مياه البحر وتصبح الملاحه مستحيلة تقريبا ، كما قد توجد جبال جليدية متحركة فى نصف الكرة الشمالى فى منطقة شمال المحيطين الهادى والاطلنطى ، وقد ادت بعض هذه الجبال الجليدية فى عام ١٩١٢ إلى غرق السفينة تيتانيك Titanic ولذلك توجد الآن محطات إنذار فى هذه المناطق لتنبيه السفن إلى أخطار هذه الجبال الجليدية المتحركة ذات الأثر التدميرى والتى قد يصل حجم الواحد منها إلى عدة كيلو مترات فى الطول وترتفع فوق مستوى مياه البحر بما يصل إلى ٤٠ مترا أحيانا ، أما فى نصف الكرة الجنوبى فالجبال الجليدية أكبر حجما وأكثر خطورة وهى تندفع نحو الشمال فى كل من المحيطين الأطلنطى والهادى فى أجزائهما الجنوبية وإفريقيا وأستراليا فى اتجاه الجنوب .

وللبحار والمحيطات والبحيرات اثار سياحية هائلة فى كل الدول التى تطل على هذه المسطحات المائية ، وبعض البحار قد توجد بها رياضات مائية كالغوص والتبص تحت البحر مثل البحر الاحمر وبخاصة فى منطقة خليج العقبة فى ساحل شبة جزيرة سيناء .

الفصل الرابع

السكان

نحتل دراسة السكان مكانة متميزة في الجغرافيا ، وإذا كانت الجغرافيا الطبيعية لا تحتكر دراسة الأرض من الناحية الطبيعية ، حيث تشتركها علوم أخرى مثل الجيولوجيا وعلم النبات وعلم الحيوان وعلم التربة وغيرها من علوم الأرض ، فإن الذي يكسب الجغرافيا أهميتها وتفردا هو أنها العلم الذي يدرس الأرض من الناحية الطبيعية كموطن للإنسان ومسرح لنشاطه ، وتأخذ الجغرافيا في عرضها لمختلف الجزئيات التي تتناولها أثر الجوانب الطبيعية في حياة الإنسان ، كما تأخذ بعين الاعتبار ما أدخله الإنسان من تعديلات على العناصر الطبيعية ، ذلك أن الإنسان منذ ظهوره على سطح الأرض يعدل في بيئته ويجري تغييرا مستمرا على عناصر هذه البيئة ومكوناتها .

والأرض - أو أى جزء منها - لا قيمة لمواردها بدون السكان ، فقيمة الموارد تكتسب طبقا لحاجات الإنسان واستثماره للمصادر الطبيعية التي يحولها إلى موارد ذات قيمة بجهة .

ولما كانت الجغرافيا تعنى بدراسة التباين الأرضي ، أى أوجه الاختلاف أو التشابه بين أجزاء الأرض ، فإن هذا التباين لا يمكن أن يصدق أو ينصرف إلى الجوانب الطبيعية فحسب ، ولكنه يتعدى هذه الجوانب إلى الجوانب البشرية التي ترتبط بالإنسان من حيث تطوره الحضارى ومدى إسهامه في تعمير البيئة وتغييرها ، والدور الذي يلعبه في تطور الحضارة البشرية ككل ، ويدخل في ذلك

توزيع السكان ومدى المهارات والخبرات التي تتوفر لهم ، والمستوى الاجتماعى والاقتصادى والسياسى والتنظيمى الذى وصل إليه ومدى تفاعله مع الموارد محليا وعالميا .

وتشكل الدراسات السكانية ركيزة أساسية فى فهم صورة العالم المعاصر ولكثير من المشكلات جذورها السكانية ، وإن بدت بعيدة نسبيا عن ذلك فى بعض الأحيان ، فمشكلات الحرب والسلام ، ومشكلات الطاقة والتلوث ، والمشكلات الاقتصادية والاجتماعية ، وما يواجهه العالم أو بعض اقاليمه الكبرى من أزمة فى الغذاء وموارد الطعام ، ومشكلات النقل ، والمشكلات المرتبطة بالديموقراطية وحرية الفرد ونظام الحكم ، لكل تلك المشاكل جذور يمكن أن ترتبط على نحو أو آخر بالفهم الواعى العميق للجوانب السكانية ، ولذلك لم يعد غريبا أن أصبحت دراسة السكان تشكل منهجا مشتركا لكثير من المتخصصين فى الدراسات الاجتماعية والاقتصادية وغيرها . وفى هذا الفصل سنتناول السكان من حيث أبعاد ثلاثة هى النمو والتوزيع والخصائص ، وستكون المعالجة على أساس عرض الإطار النظرى لكل بعد من هذه الأبعاد ، ثم عرض الواقع الجغرافى لهذا البعد فى عالمنا المعاصر مع عدم إغفال البعد التاريخى أو النظرة إلى المستقبل .

أولا : نمو السكان :

هذا البعد فى الدراسة السكانية هو عادة أكثرها سهولة على الفهم ، وفى بعض الأحيان يشار إليه على أنه تطور السكان ، أو التغير السكانى ، وذلك حتى لا يكون ثمة إيهاء حتمى بالنمو الموجب ، فقد يتعرض السكان فى مرحلة تطورية ما للنقصان وليس للزيادة ، وإن كان ذلك يشكل فى العادة مرحلة مؤقتة فى الزمان والمكان .

ويؤثر فى نمو السكان وتطورهم مجموعة من العوامل بعضها حيوى أو

بيولوجى ، وهى المواليد والوفيات ، وبعضها اجتماعى كالزواج والطلاق ، وبعضها يضم خليطا من العناصر الاجتماعية والاقتصادية وغيرها ويشمل ذلك حركة السكان فى المكان أو الهجرة بنوعيتها : الداخلية والخارجية .

١ - المواليد Births

يشكل عدد المواليد فى مجتمع ما اضافة لعدد السكان فى لحظة ولادتهم ولما كان حجم المجتمعات مختلفا من دولة لأخرى ، فان المقارنة بين عدد المواليد فى مختلف الدول لا تعطى دلالة كبيرة عن مدى سرعة النمو أو التجدد فى تلك الدول ، ولذلك يحسب التغير السكانى لكل من المواليد والوفيات والزيادة الطبيعية اعتمادا على معدلات النمو وهى تأخذ فى اعتبارها ما يزيد كل ألف من السكان خلال عام ، وبذلك تحسب معدلات المواليد كما يلى :

$$\text{معدل المواليد} = \frac{\text{عدد المواليد فى سنة ما}}{\text{جملة عدد السكان فى نفس السنة}} \times 1000$$

ولما كان عدد سكان مصر فى عام ١٩٩٠ يقدر بحوالى ٥٥,٥٨٦,٠٠٠ نسمة وبلغ عدد المواليد فى السنة نفسها ١,٧١٧,٠٠٠ مولود فإن هذا يعنى أن معدل المواليد فى مصر فى تلك السنة بلغ ٣٠,٩ فى الألف ، ويقدر أن هذا المعدل وصل فى عام ١٩٩١ إلى ٣١ فى الألف ثم فى ١٩٩٢ إلى ٢٨,٢ فى الألف وفى ١٩٩٣ إلى ٢٨,٢ فى الألف .

ويعرف المعدل السابق بمعدل المواليد الخام Crude Birth Rate لأننا ننسب عدد المواليد إلى جملة السكان على الرغم من أن إنجاب المواليد لا يرتبط بالسكان جميعا ولكن بالنساء فى سن الإنجاب فقط ، ومن التعديلات التى تعطى دلالة أكبر ما يعرف بمعدل الخصوبة العام General Fertility Rate أو معدل الإنجاب

أحيانا وفيه ينسب المواليد إلى عدد النساء في سن الحمل وهي التي تمتد ما بين الخامسة عشرة والتاسعة والأربعين ، ومعادلته أذن هي :

$$\text{معدل الخصوبة العام (معدل الانجاب)} = \frac{\text{عدد المواليد}}{\text{عدد النساء في سن الحمل}} \times 1000$$

(٤٩-١٥ عاما)

وطبقا لتعداد السكان في عام ١٩٨٦ فإن جملة عدد النساء في فئات العمر بين ١٥ - ٤٩ عاما كانت ٨,٥٨١,٩٣٦ وبذلك فإن معدل الخصوبة العام يصل إلى ٢٢٤,٦ أى أن كل ألف من النساء في ذلك العام أنجب ٢٢٥ مولودا تقريبا وهو من المعدلات المرتفعة جدا بالمقياس العالمى ، ويمكن أيضا حساب معدل الخصوبة الكلى Total Fertility Rate وهو ينسب عدد الأطفال المولودين أحياء للمرأة خلال سنوات حملها المكتملة ، ويصل معدل الخصوبة الكلى في جمهورية كوريا خلال الفترة ١٩٦٠ - ١٩٧٠ إلى ما بين ٦,٣ طفلا إلى ٤,٥ طفلا واستمر هذا الاتجاه نحو تناقص الخصوبة في كوريا حتى وصل إلى ٢,٨ طفلا لكل امرأة اكتمل الانجاب لديها في عام ١٩٧٥ ، وفي الهند كان هذا المتوسط يتراوح بين ٣,٥ طفلا و ٧,٥ طفلا في الفترة بين اعوام ١٩٦٨ إلى ١٩٧٢ .

ومن المعدلات الأخرى في الخصوبة أن ينسب عدد المواليد إلى عدد النساء المتزوجات فعلا ويسمى معدل الخصوبة العام للمتزوجات General Marital Fertiliy Rate على اعتبار أنهم يمثلن الأمهات الفعليات للمواليد ، وإن كان ذلك لا يعنى دقة مطلقة في الحساب نظرا لأن جزءا من النساء المتزوجات قد يكن عقيمات لا ينجبن أو انهن يمارسن وسائل لمنع الحمل .

ويؤثر في الخصوبة عديد من العوامل ، منها القيم المرتبطة بالزواج ونظرة المجتمع إلى الأسرة وعملية الانجاب ، وكذلك موقف الدين من الزواج والطلاق والانجاب وعمليات تنظيم الأسرة ومدى انتشارها في المجتمع وقبوله لها ، وتؤثر

كثير من المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية فى حجم الأسرة ، مثل سكن الريف أو المدن والحرفة أو المهنة التى يمارسها الزوج وسدى انتشار التعليم وخاصة فوق المتوسط بين الزوجين والأغماط الغذائية السائدة فى المجتمع ولوحظ أيضا أن للإرضاع الطبيعى للأطفال أثره فى خفض الخصوبة لدى المرأة .

٢ - الوفيات Mortality :

تشكل الوفيات متغيرا هاما فى التغير السكانى ، وذلك لأنها تخفض عدد السكان ولولا الإضافة عن طريق المواليد لتناقض عدد السكان نتيجة للوفيات ، ودراسة الوفيات يمكن أن تتم أيضا عن طريق الأرقام المطلقة لعدد الوفيات أو عن طريق دراسة معدلات الوفيات بنفس الطريقة التى درست معدلات المواليد الخام أى بنسبة عدد الوفيات فى سنة ما إلى جملة عدد السكان فى منتصف العام نفسه ، وفى عام ١٩٩٠ بلغ عدد الوفيات فى مصر ٣٩٥,٠٠٠ حالة بما يعنى أن المعدل ٧,١ فى الألف ، وقد ارتفع المعدل قليلا فى عام ١٩٩١ إلى ٧,٦ فى الألف ثم عاود الانخفاض فى عام ١٩٩٢ إلى ٧,٣ فى الألف وفى عام ١٩٩٣ إلى ٦,٩ فى الألف .

ومن المعدلات الهامة فى حساب الوفيات أن ندرس معدلات الوفيات تبعا للفئات العمرية ، ومن أهم تلك المعدلات معدل وفيات الأطفال الرضع وفيه ننسب عدد الوفيات من الأطفال الرضع (أى الأطفال الذين يتوفون إما بعد ولادتهم مباشرة أو قبل أن يجتازوا سنة كاملة من العمر) إلى جملة عدد المواليد فى السنة ذاتها ، ويعتبر معدل وفيات الأطفال الرضع واحدا من أهم المؤشرات لقياس المستوى الاجتماعى والاقتصادى والصحى فى المجتمع وخاصة ما يتصل برعاية الطفولة والأمومة ، ومن الطبيعى أن يكون ثمة قدر كبير من التوافق بين معدل الوفيات العامة ومعدل وفيات الاطفال الرضع فى المجتمع الواحد ، كما أن

انخفاض معدلات وفيات الأطفال الرضع فى مجتمع ما يعنى اتجاه هذا المجتمع إلى التقدم والرعاية الصحية وفى عام ١٩٢٠ كان معدل الوفيات للأطفال الرضع فى كل من بريطانيا واليابان وسيلان على التوالى هو ٦٧,٢ فى الألف و ١٥٢,٧ فى الألف و ١٨٣,١ فى الألف ، ولكن فى عام ١٩٥٠ أصبحت هذه المعدلات ٢٦,٤ و ٤٥,٢ و ٧١,٢ فى الألف وفى الفترة بين ١٩٨١ - ١٩٨٥ أصبحت ١٠,٢ ، ٦,٢ و ٣٤,٤ فى الألف ولعل ذلك يعنى اتجاه معدلات وفيات الأطفال الرضع فى الدول الثلاث نحو الانخفاض ولكن بدرجات متفاوتة ، أما فى مصر فبعد ان كان معدل وفيات الأطفال الرضع فى حدود ١١٦ الألف فى عام ١٩٧٠ انخفض إلى ٧٤ فى الألف فى عام ١٩٨٥ ثم إلى ٥٧ فى الألف فى الفترة ١٩٩٠ - ١٩٩٥ .

وللمقارنة فإن الفترة ١٩٩٠ - ١٩٩٥ شهدت انخفاض معدلات وفيات الأطفال الرضع على مستوى العالم إلى ٦٢ فى الألف وفى الدول المتقدمة ١٢ فى الألف فقط فى مقابل ٦٩ فى الألف للدول النامية ، وعلى مستوى أقاليم العالم وقاراته بلغ المعدل فى إفريقيا ٩٥ وفى آسيا ٦٢ وفى أوروبا ١٠ وفى أمريكا اللاتينية ٤٧ وفى أمريكا الوسطى ٣٩ وفى أمريكا الجنوبية ٥١ وفى أمريكا الشمالية ٨ وفى الاقليات ٢٢ فى الألف .

٣ - الزيادة الطبيعية Natural Increase :

وهى الفارق بين المواليد والوفيات ، والقاعدة هى أن تكون أعداد المواليد ومعدلاتهم أكبر من أعداد الوفيات ومعدلاتهم ، وبذلك يكون ثمة زيادة طبيعية موجبة فى كل من الأعداد المطلقة والمعدلات ، غير أنه يحدث فى بعض الاحيان (فى بعض المجتمعات ولفترات محدودة غالبا) أن يزيد عدد الوفيات ومعدلها عن عدد المواليد ومعدلها ، وهنا يحدث تناقص للسكان Depopulation ومن أسباب ذلك أحيانا الحروب التى تزيد فيها أعداد الوفيات بصورة غير عادية ،

وكذلك حالات الأوبئة التى تزيد فى أعداد الوفيات بصورة واضحة ، ولكن استمرار ذلك لفترة طويلة أمر نادر الحدوث .

وثمة بعض النظريات التى ترى أن المجتمعات البشرية فى تطورها السكانى تمر بعدد من المراحل ، ومن أهم هذه النظريات ما يعرف بالنموذج الانتقالى أو النظرية الديموجرافية الانتقالية وترى هذه النظرية أن المجتمعات البشرية تمر فى تطورها السكانى بمراحل ثلاث على النحو التالى :

(أ) المرحلة البدائية :

وهى التى مرت بها المجتمعات الأولية ذات الاقتصاديات الهشة واستمرت إلى مرحلة ما قبل الصناعة ، وفى هذه المرحلة ترتفع كل من معدلات المواليد والوفيات معا مما يؤدى إلى انخفاض معدلات الزيادة الطبيعية ، ولا توجد مجتمعات كاملة تمر الآن بهذه المرحلة سوى بعض المجموعات البدائية كالاستراليين الأصليين وبعض الجماعات المنعزلة فى افريقيا أو أمريكا الجنوبية وهى جماعات تعيش فى الغابات الكثيفة أو الصحارى الجافة .

(ب) المرحلة الانتقالية :

وفىها تظل معدلات المواليد مرتفعة ، بينما يؤدى التقدم فى الخدمات الصحية والرعاية الطبية وخاصة بالنسبة لظهور الأمصال والطعوم التى تقدم للأطفال الرضع مما يؤدى إلى تقليل الوفيات بصورة واضحة وتكون نتيجة ذلك هى ارتفاع معدلات الزيادة الطبيعية ، وتمر بهذه المرحلة حاليا معظم شعوب الدول النامية فى قارات آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية ، ومن تلك الدول بطبيعة الحال دول العالم العربى .

(ج) المرحلة الاستقرارية :

وهى التى تنخفض فيها معدلات المواليد إلى جانب انخفاض معدلات

الوفيات التى تكون قد تحققت فى المرحلة السابقة ، والدول التى تمر بهذه المرحلة هى الدول المتقدمة فى كل من أمريكا الشمالية وأوربا واليابان ، وهى شعوب متقدمة أخذت منذ فترة تعمل على خفض معدلات المواليد والإقبال على تنظيم الأسرة .

الانماط العامة للزيادة الطبيعية فى العالم :

يمكن تقسيم العالم إلى ثلاثة أنماط تتفق مع النظرية الديموجرافية الانتقالية وذلك على النحو التالى :

(أ) نمط الاقطار البدائية :

وترتفع فيها معدلات وفيات الأطفال الرضع إلى ٢٠٠ فى الألف وربما أكثر ، كما ترتفع بها معدلات الوفيات العامة وترتفع بها أيضا معدلات المواليد إلى ٤٠ فى الألف أو أكثر بينما تنخفض فيها معدلات الزيادة الطبيعية إلى ١٠ فى الألف أو أقل ولا تشمل اقطار هذا النمط سوى ما يقرب من ١٠٠ مليون نسمة فقط من سكان العالم حاليا فى بعض أجزاء من شبه جزيرة الملايو حيث جماعات السيمانج Semang أو بعض أجزاء البرازيل حيث تعيش جماعات الزيتا Xeta أو البوشمن والهوتنتوت فى ناميبيا وجنوب افريقية .

(ب) نمط الاقطار الشابة :

وهى تشمل ما يقرب من ٧٥ ٪ من جملة سكان العالم ومن هذه الدول الصين والهند وجنوب شرق اسيا بدوله المختلفة وأمريكا الوسطى والجنوبية ومعظم أجزاء القارة الافريقية وتتراوح الزيادة الطبيعية فى هذه الاقطار بين ١٥ إلى ٢٥ فى الألف وقد تزيد عن ذلك فى عدد محدود من الاقطار التى قد يتضاعف السكان فيها خلال ربع قرن ، وسكان هذه المجموعة تمثل مشكلة فى كثير من الأحيان وذلك لأن معظم هذه الدول من الدول النامية التى حققت تقدما صحيا وخدميا أدى إلى

انحسار الوفيات بينما لا تزال معدلات المواليد بها مرتفعة مما يلقي عبثا ثقيلا على اقتصاديات تلك الدول .

(ح) نمط الاقطار الناضجة :

وهي لا تضم سوى ٢٥ ٪ أو أقل من جملة سكان العالم وتضم الدول الاوربية والولايات المتحدة وكندا ودول الكمنولث الروسى واستراليا ونيوزيلندا واليابان ، وفى هذه الاقطار تنخفض معدلات الزيادة الطبيعية إلى ما يتراوح بين ٥ فى الألف و ١٠ فى الألف وهى تقل أحيانا عن ذلك بحيث لا يتضاعف السكان أحيانا إلا بعد أكثر من قرن كامل أو أكثر كما هو الحال فى كل من السويد والمانيا وفرنسا والنمسا .

٤ - الهجرة :

نعنى بالهجرة انتقال السكان من منطقة جغرافية إلى منطقة أخرى بما يعنى تغييرا فى محل الإقامة ولو لفترة قصيرة ، وفى دراسة الهجرة لابد من التعرف على بعض الأنواع والتقسيمات ومن حيث اتجاه الهجرة يمكن التفرقة بين الهجرة الداخلية Internal Migration وهى التى تحدث داخل حدود الدولة من إقليم بها إلى إقليم آخر ، وأما الهجرة الخارجية أو الهجرة الدولية International Migration فهى التى يعبر فيها المهاجر خط الحدود السياسية لدولة أو أكثر .

وفى الهجرة الداخلية نفرق بين الهجرة الداخلة إلى إقليم ما ويسمى فيها المهاجر قادما In - migrant والهجرة التى تخرج من الإقليم ويطلق فيها على المهاجر مغادراً Out -migrant وأما فى الهجرة الدولية فيطلق على المهاجر القادم من دولة أخرى وافداً Immigrant وعلى الخارج المتجه لدولة أجنبية نازحاً Emigrant .

كما يمكن التفرقة بين الهجرة المؤقتة أو الموسمية والهجرة الدائمة فالهجرة المؤقتة Temporary أو الموسمية Seasonal هي التي تمتد لفترة قصيرة قد تصل إلى أقل من عام ثم يعود المهاجر إلى محل إقامته المعتاد مثل هجرات العمل المؤقت ، وأما الهجرة الدائمة Permanent فهي التي يترك فيها المهاجر وطنه الأصلي أو محل إقامته ليستقر في مكان آخر بصفة دائمة .

وفي حساب عمليات الهجرة نفرق بين الهجرة الكلية أو الإجمالية وهي التي نجتمع فيها القادمين والمغادرين لمكان ما ويطلق عليها عندئذ الهجرة الإجمالية Gross Migration أما إذا حسب الفرق بين الهجرة الداخلة إلى مكان ما والمغادرة له فنحصل على الهجرة الصافية Net - Migration وهي قد تكون موجبة إذا كسب المكان أو سالبة إذا اتضح أن المكان قد فقد سكانا أكثر من أولئك الذين دخلوه .

ويمكن للهجرة أن تكون اختيارية Voluntary أى باختيار الأفراد وإرادتهم الحرة وقد تكون إجبارية Compulsory وهنا قد تسمى تهجيراً وذلك إذا تمت طبقاً لعمليات التنمية والتخطيط في إقليم ما مما يؤدي إلى ضرورة إجلاء سكانه كما حدث لسكان النوبة عند إنشاء السد العالي في مصر ، وذلك لأن أوطانهم ستعرض للغرق بعد اكتمال المشروع وهو ما حدث عندما ظهرت بحيرة ناصر . أما إذا فر السكان من قطر ما نظراً لخشيتهم على حياتهم من الخطر سواء بسبب الاضطهاد أو الحرب فعندئذ يسمى أولئك اللاجئين Refugees مثل فرار السكان في أوروبا من ممارسات الجيش النازي أو فرار العرب من فلسطين إزاء الإرهاب الصهيوني أو كما حدث في كل من الهند وباكستان وفيتنام نتيجة للحروب ، وكما يحدث في أفغانستان ، وفي يوغوسلافيا السابقة وخاصة في البوسنة والهرسك ، حيث يفر المسلمون من الإرهاب والمذابح التي يقوم بها الصرب ضدهم .

أسباب الهجرة ونتائجها :

ترجع معظم الهجرات سواء كانت داخلية أو دولية إلى تفاوت بين عناصر الجذب Pull Factors وعناصر الطرد أو الدفع Push Factors ، فعناصر الجذب تعنى أن مكانا ما يتصف ببعض المزايا التى تؤدى إلى اتجاه السكان إليه على العكس من عناصر الطرد التى تجعل بعض السكان ينفرون من المكان ويتركونه إلى غيره .

وأما أسباب الهجرات البشرية فهى متعددة ، ومن النادر أن يكون ثمة سبب واحد يؤدى للهجرة ، حيث القاعدة أن عددا من العوامل تتفاعل مسببة قرار الهجرة ، ويمكن بصفة عامة أن نميز بين ثلاثة متغيرات تشكل أسباب الهجرة : الأسباب الاجتماعية الاقتصادية وفيها يسعى الفرد إما إلى تحسين أحواله ومستوى معيشته وإما إلى استقرار أحواله الاجتماعية ، والمجموعة الثانية هى الأسباب المرتبطة بالتغيير فى الحال مثل الدراسة العليا أو الجامعية والزواج والعمل وأحيانا الكوارث الطبيعية ، والمجموعة الثالثة هى التكلفة الاقتصادية والاجتماعية للهجرة أو اختيار المقر الجديد Destination ويدخل فى ذلك تكلفة الانتقال والمسافة ووجود معارف أو أقارب أو فرص جديدة للعمل أو الترقى .

أما نتائج الهجرة فهى كثيرة ويهتم بها عادة الباحثون فى العلوم الاجتماعية والسياسية وصانعو القرار بالنسبة للأماكن المتأثرة بالهجرة ، وذلك لأن الهجرة يكون لها أثر على كل من المكان الذى يتركه المهاجرون وإلى غيره من الأماكن التى يتجه إليها المهاجرون كما أنها تؤثر فى المهاجرين أنفسهم ويمكن أن يكون هذا الأثر اقتصاديا أو اجتماعيا أو ثقافيا وحضاريا أو سياسيا أو سكانيا أو هذه الأسباب مجتمعة .

وعلى الباحث أن يسعى للتنبؤ باكبر قدر من الحيطه والحيدة بالنتائج

المحتملة للهجرة ليفيد منها رجال السياسة والمخططون فى اتخاذ قرارات مناسبة ، ومن أهم النتائج المترتبة على الهجرة أنها تعمل على إعادة توزيع السكان بصفة دائمة ^(١) . ويمكن الاستفادة من ذلك جدا فى عمليات نشر السكان والحد من تركيزهم فى بعض الأقطار مثل مصر التى يعيش معظم سكانها فى مساحة محدودة .

وقد أدت الهجرات الدولية إلى إعادة توزيع سكان العالم ، فقد انتقل عدة ملايين من العالم القديم إلى العالم الجديد بتأثير الفرص الواعدة التى توجد به ، وترجع أصول معظم سكان الأمريكتين وأستراليا إلى أصول أوروبية ، بالإضافة إلى بعض المهاجرين من كل من آسيا وإفريقيا ، وفى قطر مثل كندا يعيش حاليا ٢٥,٧ ٪ من السكان من ذوى الأصول التى هاجرت من فرنسا ويشكلون الكنديين المتحدثين بالفرنسية ، فى مقابل ٣٤,٤ ٪ من السكان ذوى الأصول البريطانية ، ويوجد ٣,٦ ٪ من السكان الكنديين ذوى الأصول الألمانية و ٢,٨ ٪ من ذوى الأصل الإيطالى ، و ١,٧ ٪ من السكان من أكرانيا إلى جانب ١,٤ ٪ من الصين و ١,٤ ٪ من هولندا بينما يشكل السكان من ذوى الأصول الهندية الأمريكية ١,٥ ٪ فقط من سكان كندا .

وعلى مستوى الهجرة الداخلية فإن الهجرات من الريف إلى المدن تمثل أهم تيارات الهجرات الداخلية فى العالم ، وهى تعمل بصفة مستمرة على إعادة توزيع سكان الاقطار التى تحدث فيها تلك الهجرة ، ويقدر أن ٢٠ ٪ من سكان الولايات المتحدة يغيرون محل إقامتهم سنويا ، كما أن المدن الكبرى فى الدول النامية تجتذب باستمرار سكانا من المدن الصغيرة ومن الريف مما يؤدى إلى زيادة الحجم السكانى لتلك المدن الكبرى مثل القاهرة التى يقدر أن نصف الزيادة السكانية

(1) Kosinski, L.A. and Prothero, R.M. , eds. , People on The Move , Studies on Internal Migration , Methuen , London , 1975 , PP. 12 - 14 .

فيها تحدث نتيجة للهجرة الداخلية نظرا لعنصر الجذب القوي الذي يتمثل في فرص العمل ومستوى الخدمات بها وهي صورة متكررة في الدول النامية التي تزداد حركة الهجرة الداخلية فيها إلى المدن الكبرى على حين أصبحت الهجرة في عدد كبير من الدول المتقدمة في اتجاه الضواحي والمدن الصغيرة .

التغير السكاني والتنمية:

يشكل السكان المحرك الرئيسي لكل من عمليتي الإنتاج والاستهلاك وتمثل التنمية هدفا أساسيا لمختلف المجتمعات البشرية التي تسعى لرفع مستوى السكان بحيث تتناسب برامج التنمية مع معدلات التغير السكاني ، وفي بعض المجتمعات يمكن تحقيق مستوى أفضل من التنمية الاقتصادية والاجتماعية بحيث يتوالى ارتفاع مستوى معيشة السكان ، أما اذا أخفقت بعض المجتمعات في تحقيق توازن بين نمو السكان وتنمية الموارد الاقتصادية فإن ذلك قد يؤدي إلى انخفاض مستوى المعيشة ، ولفهم العلاقة المتشابكة لكل من السكان والموارد الاقتصادية وتنميتها ظهرت ثلاثة مصطلحات هي الافتقار السكاني والاكتظاظ السكاني وأنسب السكان ، وإن لم يكن ، وصف مجتمع ما بأحد هذه المصطلحات يمثل علاقة أبدية فقد تنتقل المجتمعات المختلفة من طور لآخر تبعا لما يحدث بها من متغيرات .

أنسب السكان Optimum Population

ويقصد به أن العلاقة بين السكان والموارد متناسبة ، بمعنى أن عدد السكان في المجتمع كاف لعملية التنمية واستثمار الموارد بما يحقق للأفراد أعلى مستوى ممكن وما يحقق للموارد أفضل استخدام ، وأن أي زيادة في عدد السكان تقابلها زيادة في فرص العمل ومحاولات استثمار الموارد والمثال الذي نضربه هنا هو عدد سكان بريطانيا فهم في حدود ٥٥ مليون نسمة وهو عدد مناسب للظروف الحالية ،

ولو تصورنا مثلاً أن هذا العدد انخفض إلى عشرة ملايين أو ارتفع إلى مائة مليون لحدثت مشكلات ، ففي الحالة الأولى يتعطل الإنتاج وتنخفض مستويات الحياة ولا يكون لبريطانيا قوتها الاقتصادية والعسكرية الحالية ، وأما إذا ارتفع السكان فإن هذا يعنى أيضاً مشكلات إذ أن الموارد لن تكون كافية ليعيش السكان فى مستوى حياتهم الحالى .

ويؤدى التقدم التكنولوجى واكتشاف موارد جديدة وأساليب عمل جديدة إلى أن يصبح أنسب السكان متغيراً بنفس القدر ، وعلى سبيل المثال فإن الدول البترولية مثل ليبيا أو الامارات العربية المتحدة أو المملكة العربية السعودية كانت تعيش فى مستويات اقتصادية ومعيشية منخفضة قبل تدفق البترول وبعد استغلاله ارتفع مستوى السكان ورغم أن هذه الدول أصبحت هدفا لهجرات كثيرة تدفقت عليها .

الافتقار السكانى Under Poplation

وفيه يكون عدد السكان قليلاً بحيث لا يمكن استثمار الموارد الاقتصادية بكامل طاقتها فيبقى جزء منها معطلاً عن الإنتاج وبذلك تكون فرص العمل ومستويات المعيشة أقل من الامكانيات التى تسمح بها الموارد ، وفى بعض الأقطار يمكن التغلب على ذلك بفتح باب الهجرة الدولية لاستثمار الموارد ورفع مستوى المعيشة أما فى المجتمعات البدائية المنعزلة فقد تظل الموارد دون استثمار لعدم تناسب السكان مع الموارد ويؤدى ذلك إلى خفض مستويات المعيشة كما هو الحال فى مناطق الزراعة البدائية فى جنوب شرق آسيا أو فى بعض أجزاء إفريقيا المدارية أو حوض الأمازون فى أمريكا الجنوبية .

وقد يوجد الافتقار السكانى فى بعض الاقاليم داخل الدولة مما يعطل فرص

تطورها الاقتصادي إلا بالاعتماد على الهجرة الداخلية للعمال ففي مرحلة بناء
الدولة العالي في أسوان تطلب الأمر هجرة عشرات الآلاف من العمال إلى أسوان
لإنجاز المشروع حيث كان الإقليم يعاني مؤقتا من الافتقار السكاني ، والأمر نفسه
يصدق على بعض أقاليم غرب الولايات المتحدة التي اتجهت إليها الهجرات من
الشرق لتعميرها واستثمار مواردها .

الاكتظاظ السكاني Over Population

ويحدث حين يكون التغير السكاني نحو الزيادة بمعدلات أسرع كثيرا من
التنمية الاقتصادية وقد يحدث ذلك نتيجة لعدم التوازن بين نمو كل من السكان
والموارد وفي معظم مجتمعات الدول النامية قد تكون الفجوة كبيرة بين نمو السكان
ونمو الغذاء مما يؤدي إلى مشكلات متفاقمة ، وكثير من هذه المجتمعات تتفشى
فيها البطالة نظرا لعدم وجود فرص عمل كافية لقطاعات كبيرة من السكان وفي
هذه المجتمعات قد تستثمر الموارد بالكامل ومع ذلك تبقى مستويات المعيشة
منخفضة .

وقد تؤدي بعض التطورات في وسائل الإنتاج إلى البطالة ، فإدخال الآلة في
عمليات الانتاج الزراعي أدى إلى وجود فائض من عمال الزراعة الذين أصبحوا
متعطلين ، وإذا رغب بعضهم في التحول إلى الصناعة فيألى جانب ضرورة وجود
فرصة العمل بها فان من الضروري توفر التدريب المناسب لنجاح عملية التحول
وبلاحظ بصفة عامة بأن تغير المستوى التكنولوجي يكون ذا أثر حاسم في التغلب
على كثير من مشكلات عدم التوازن بين السكان والموارد ، ونجد أمثلة على ذلك
في كل من سويسرا واليابان ، فبرغم أن الموارد الاقتصادية فيهما غير غنية إلا أن
التقدم التكنولوجي وفر للسكان فيهما مستوى اقتصاديا واجتماعيا مرتفعا .

هذا وقد أصبح من أهداف التنمية لكل من الموارد والسكان أن تكون تنمية شاملة ، أى أن يكون لها بعدا اجتماعى إلى جانب البعد الاقتصادى كما أصبح من الضرورى أن تكون التنمية مستمرة أو متواصلة ، ويطلق عليها أحيانا التنمية المستدامة Sustainable Development بمعنى أنها لا تنقطع وترتبط بالنمو السكانى وتحقيق مستويات أفضل دائما وتأخذ فى اعتبارها عدم تهديد الموارد بالنسبة للأجيال المقبلة .

موسكان العالم :

منذ عام ١٩٧٥ أصبح السكان فى العالم يحدث بمعدل ١,٧ ٪ سنويا ، وقد لوحظ أن معدلات الخصوبة أخذت فى الانخفاض تدريجيا بنسبة ضئيلة بحيث أصبحت ٣,٣ فى الفترة ١٩٩٠ - ١٩٩٥ . بعد أن كانت ٣,٨ فى الفترة من ١٩٧٥ - ١٩٨٠ ، ومع ذلك فإن الأعداد التى تضاف للسكان سنويا فى تزايد ، وفى عام ١٩٧٥ كان يضاف للنمو السكانى سنويا ٧٢ مليون نسمة ، وفى عام ١٩٩٢ أصبحت الإضافة ٩٣ مليون نسمة ، ويقدر أنه خلال الفترة بين عامى ١٩٩٥ ، ٢٠٠٠ سوف تزداد إلى نحو ٩٨ مليون نسمة يضاقون سنويا .

وبمعنى ذلك أن الزيادة السكانية السريعة لا تزال تشكل معلما واضحا للنمو السكانى على مستوى العالم ، ويستظر أن يستمر الحال كذلك خلال العقود الثلاثة القادمة . وفى عام ١٩٩٣ كانت جملة سكان العالم ٥,٥٧ بليون نسمة وارتفع العدد فى سبتمبر ١٩٩٥ إلى ٥,٧٨ بليون نسمة ، وتوضح عمليات الاسقاط السكانى المستقبلى أن السكان فى عام ٢٠٢٥ سيصلون إلى ٦,٢٥ بليون نسمة ويرتفع عدد سكان العالم إلى ٨,٥ بليون نسمة فى عام ٢٠٢٥ ثم إلى عشرة

بلايين فى عام ٢٠٥٠ ، وأن النمو السكانى قد يصل بعدد السكان فى العالم عام ٢١٥٠ إلى حوالى ١١,٦ بليون نسمة .

والجدول التالى يوضح نمو السكان خلال الفترة ١٩٥٠ حتى ١٩٩٠ ثم اسقاطات السكان المتوقعة حتى عام ٢٠٢٥ على مستوى العالم وأقاليمه وقاراته .

جدول النمو السكانى الفعلى والمتوقع ١٩٥٠ - ٢٠٢٥

عدد السكان بالملايين ونسبتهم المئوية فى السنوات										الاقليم
٢٠٢٥		٢٠٠٠		١٩٩٠		١٩٧٠		١٩٥٠		
%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	
١٠٠	٨٥٠٤	١٠٠	٦٢٦١	١٠٠	٥٢٩٢	١٠٠	٣٦٩٨	١٠٠	٢٥١٦	العالم
١٥,٩	١٣٥٤	٢٠,٢	١٢٦٤	٢٢,٨	١٢٠٧	٢٨,٤	١٠٤٩	٣٣,١	٨٣٢	الدول الصناعية
٨٤,١	٧١٥٠	٧٩,٨	٤٩٩٧	٧٧,٢	٤٠٨٦	٧١,٦	٢٦٤٩	٦٦,٩	١٦٨٤	الدول النامية
٥٧,٨	٤٩١٢	٥٩,٣	٣٧١٣	٥٨,٨	٣١١٣	٥٦,٨	٢١٠٢	٥٤,٧	١٣٧٧	آسيا
١٨,٨	١٥٩٧	١٣,٨	٨٦٧	١٢,١	٦٤٢	٩,٨	٣٦٢	٨,٨	٢٢٢	افريقيا
٣,٩	٣٣٢	٤,٧	٢٩٥	٥,٢	٢٧٦	٦,١	٢٢٦	٦,٦	١٦٦	أمريكا الشمالية
٨,٩	٧٥٧	٨,٦	٥٣٨	٨,٥	٤٤٨	٧,٧	٢٨٦	٦,٦	١٦٦	أمريكا اللاتينية
٦,١	٥١٥	٨,١	٥١٠	٩,٤	٤٩٨	١٢,٤	٤٦٠	١٥,٦	٣٩٣	أوربا
,٤	٣٨	,٥	٣٠	,٥	٢٦	,٥	١٩	,٥	١٣	الإفنيانوسية
٤,١	٣٥٢	٤,٩	٣٠٨	٥,٥	٢٨٩	٦,٦	٢٤٣	٧,٢	١٨٠	الاتحاد الروسى

مصدر الجدول : UNFPA , The State of World Population 1993 , U.N. , 1993 , p.1.

وبلاحظ من الجدول أن تباين النمو السكاني بين قارات العالم ، أو بمعنى أدق بين الدول الصناعية المتقدمة والدول النامية والفقيرة ، ينعكس أثره في أن معظم نمو سكان العالم يحدث نتيجة لسرعة النمو في الدول النامية والتي تتزايد نسبة سكانها إلى جملة سكان العالم على حين تتناقص نسبة سكان الدول الصناعية المتقدمة من جملة سكان العالم ، وفي عام ١٩٥٠ كانت الدول النامية تسهم بنسبة ٧٧ ٪ من نمو السكان على مستوى العالم ولكن النسبة ارتفعت إلى ٩٣ ٪ في عام ١٩٩٠ ، وينتظر حتى نهاية القرن العشرين أن يكون إسهام الدول النامية في نمو سكان العالم بنسبة ٩٥ ٪ في مقابل ٥ ٪ فقط تسهم به الدول الصناعية المتقدمة ، وأما على مستوى الأقاليم فإن كلا من القارة الأفريقية وجنوب القارة الآسيوية سيسهمان معا بنسبة ٥٣ ٪ من هذا النمو السكاني .

وفي منتصف عام ١٩٩٣ كان عدد سكان القارة الآسيوية ٣,٣ بليون نسمة وسوف يرتفع هذا العدد في عام ٢٠٢٥ إلى ٤,٩ بليون نسمة أي بما يساوي جملة عدد سكان العالم في عام ١٩٨٦ ، أما إفريقيا فكان عدد سكانها عام ١٩٩٣ في حدود ٧٠٠ مليون نسمة وسيصبحون في حدود ١,٦ بليون نسمة في عام ٢٠٢٥ ، وفي مقابل هذه الزيادة السكانية السريعة فإن سكان أمريكا الشمالية الذين كانوا في عام ١٩٩٠ يشكلون ٥,٢ ٪ من سكان العالم ستتناقص نسبتهم إلى ٣,٩ ٪ فقط من جملة سكان العالم برغم أنهم سيزيدون من ٢٧٦ مليون نسمة إلى ٣٣٢ مليون نسمة ، وكذلك الحال بالنسبة لقارة أوروبا التي ستخفض نسبة سكانها إلى جملة سكان العالم من ٩,٤ ٪ في عام ١٩٩٠ إلى ٦,١ ٪ فقط في عام ٢٠٢٥ وينطبق الأمر نفسه على كل من الإقيانوسية والدول التي كانت تشكل الاتحاد السوفيتي سابقا ، وذلك كله ناتج عن اختلاف معدلات النمو السكاني .

وبلاحظ أنه خلال الفترة ١٩٩٠ - ١٩٩٥ كانت معدلات النمو السكاني في إفريقيا ٣ ٪ بينما انخفضت النسبة في آسيا إلى ١,٩ ٪ وهذا ناتج في معظمه عن تطبيق برامج سكانية تهدف إلى خفض معدلات النمو السكاني في كل من الصين

والهند وهما أكبر أقطار آسيا وإسبانيا سكانا ، هذا بالإضافة إلى دول آسيوية أخرى تطبق برامج لتنظيم الأسرة وتحد من معدلات النمو السكاني ، أما أمريكا اللاتينية فإن معدلات النمو السكاني السنوى بها تصل إلى ٢,١ ٪ ، وبصفه عامة فإن أكثر دول العالم فقرا هى أكثرها سرعة فى معدلات النمو السكاني ، ويقابل ذلك أن أكثر دول العالم تقدما - وغنى نتيجة التقدم - هى أقلها من حيث معدلات النمو السكاني ، وطبقا لتصنيف الأمم المتحدة فإن الدول الأقل تطورا « least developed » وعددها ٤٧ دولة كانت تسهم بنسبة ٧ ٪ من نمو سكان العالم فى عام ١٩٥٠ ولكن نسبتها ارتفعت إلى ١٣ ٪ فى عام ١٩٩٠ وهذا ناتج عن ارتفاع الرعاية الصحية بها مما قلل من معدلات الوفيات وخاصة وفيات الأطفال الرضع على حين لا تزال معدلات المواليد مرتفعة بها ، كما أن معدلات وفيات الأمومة قد انخفضت إلى النصف فى شرق آسيا وإن كانت لا تزال دون تغير فى جنوب آسيا وفى القارة الإفريقية .

ويوجد أكبر قدر من التباين فى النمو السكاني بين كل من الدول الصناعية فى أوروبا وأمريكا الشمالية من ناحية وبقية العالم من ناحية ثانية ، فقد أصبح النمو بطيئا وربما توقف تقريبا ، وأصبحت الخصوبة أقل من معدلات التعويض أو الإحلال فى المجموعة الأولى التى حدثت زيادة سكانية بنسبة ٤٣ ٪ لسكانها بين أعوام ١٩٥٠ و ١٩٩٠ ، على حين كانت الزيادة السكانية خلال نفس الفترة بنسبة ١٦٢ ٪ فى الدول الأقل تطورا و ١٤٠ ٪ فى بقية الدول النامية ، وينتظر أن يرتفع هذا الفارق ويتزايد ، فقد كان سكان القارة الأوربية وإفريقيا جنوب الصحراء متقاربين أو متساويين فى عام ١٩٨٥ وفى حدود ٤٨٠ مليون نسمة لكل منهما ، غير أنه فى عام ٢٠٢٥ سيصل سكان أوروبا إلى ٥٠٠ مليون فقط بينما سيصل سكان إفريقيا جنوب الصحراء إلى ١٥٠٠ مليون أى ثلاثة أمثال ما سيصل إليه عدد سكان القارة الأوربية .

وسوف تؤدي بعض البرامج السكانية إلى تباين فى عدد سكان الاقطار

الكبرى أيضا ، فنسبة عدد سكان القارة الآسيوية حاليا فى حدود ٣٧ ٪ وسوف تنخفض هذه النسبة إلى ٣١ ٪ فى عام ٢٠٢٥ ، أما الهند فيقدر أن سكانها سوف ترتفع نسبتهم من ٢٧ ٪ من سكان آسيا حاليا إلى ٢٩ ٪ فى عام ٢٠٢٥ .

ثانيا : توزيع السكان وكثافتهم :

ترتبط أقطاب توزيع السكان وكثافتهم بعدد من المتغيرات التى تختلف من قارة إلى أخرى ، ورغم أن التوزيع السكانى ليس ثابتا ، فإن حركة هذا التوزيع تبقى محكومة فى معظم تاريخ تعمير الإنسان للأرض بما يتوفر فيها من وسائل الحياة ، ويمكن التفرقة بين المناطق التى يسكنها الإنسان على سطح الأرض وهى التى تعرف بالمعمور Ecumene ، بينما يشكل غيرها مناطق مهجورة أو شبه خالية من السكان وهى مناطق اللامعمور أو الأجزاء السالبة من حيث العمران ، ويشغل المعمور مساحة محدودة من سطح الكرة الأرضية ، بما يؤدي إلى أن سكان العالم يتركزون على مساحة صغيرة من اليابسة ، ويقدر أن حوالى نصف سكان العالم يعيشون على ٥ ٪ فقط من مساحة الأرض .

والجدول التالى يبين توزيع السكان على مناطق العالم فى عام ١٩٩٢ .

جدول توزيع السكان وكثافتهم فى العالم (١٩٩٢) .

الاقليم	المساحة كم ^٢	السكان بالمليون	الكثافة نسمة / كم ^٢
العالم	١٣٥.٨٣٩,٤٢٠	٥,٤٣٦	٤٠,٠
إفريقيا	٣٠,٢٤٤,٣٨٠	٦٥٦	٢٧,١
أمريكا الشمالية	٢١,٦٧٥,٥٦٠	٢٨٣	١٣,١
أمريكا اللاتينية	٢٠,٥٣٣,١١٠	٤٥١	٢٢,٠
آسيا بدون روسيا	٣١,٩١٢,٣٥٠	٣,٢٩١	١٠٣,١
أوروبا وروسيا	٢٢,٩٦٨,٩٢٠	٧٢٧	٣١,٧
روسيا	١٧,٠٧٥,٤٠٠	١٤٩	٨,٨
الافيانوسية	٨,٥٠٥,١٠٠	٢٧	٣,٢

ويتضح من الجدول أن أقاليم العالم السكانية الكبرى وهى التى يتركز فيها السكان بأعداد كبيرة ونسب مرتفعة لا تزال مركزة فى العالم القديم وخاصة فى قارتى آسيا وأوربا ، مع وجود مناطق ثانوية فى كل من إفريقيا والعالم الجديد .

أما بالنسبة للقارة الآسيوية بدون روسيا فهى تضم ٦٠,٥ ٪ من جملة سكان العالم ، وتضم الصين وحدها ٢١,٤ ٪ من جملة سكان العالم والهند ١٦,٤ ٪ منهم كما يوجد فى اندونيسيا ١٨٥ مليون نسمة وفى اليابان ١٢٤ مليون نسمة وفى باكستان ١٣٠ مليون نسمة وفى بنجلاديش ١١١ مليون نسمة ، وبذلك فإن جملة سكان هذه الدول الآسيوية الست ٢٦٠,٥ مليون نسمة يشكلون ٤٧,٩ ٪ من جملة سكان العالم ، بينما مساحة هذه الأقطار حوالى ١٦ مليون كيلو متر مربع فقط تمثل ١١,٨ ٪ من مساحة العالم .

فإذا أضفنا إلى تلك المجموعة من الأقطار الآسيوية دولا أخرى فى شرق وجنوب شرق آسيا مثل كوريا والفلبين وتايلند ولاوس وكامبوديا ، وهى دول ذات حضارات زراعية قديمة واستقرارات سكانية كثيفة ، فإن هذا يوضح مدى تركيز السكان فى كل من شرق آسيا وجنوبها وجنوبها الشرقى ، حيث يعيش فى هذه الأقاليم الجغرافية الثلاثة حوالى ٣٠,٢٥ مليون نسمة يمثلون ٥٥,٧ ٪ من جملة سكان العالم بينما يعيش فى جنوب غرب آسيا الذى يشمل شبه الجزيرة العربية وكلا من تركيا وإيران ودول شرقى البحر المتوسط العربية والجمهوريات الإسلامية الروسية وبلغ سكانها مجتمعهم ٢٦٥ مليون نسمة يمثلون أقل من ٥ ٪ من جملة سكان العالم .

وكما يتضح من الجدول فإن القارة الآسيوية تمثل أعلى قارات العالم من حيث كثافة السكان حيث ترتفع كثافتها عن كثافة العالم بما تزيد نسبته عن ٢٥٠ ٪ وتصل الكثافة فى آسيا أربعة أمثالها فى إفريقيا تقريبا .

أما القارة الأوروبية وتضم روسيا فإنها تأتي في المرتبة الثانية من حيث عدد السكان بعد قارة آسيا ، وتضم دول أوروبا الغربية ٣٧٩ مليون نسمة وترتفع فيها الكثافة إلى ١٠٢,٣ نسمة في الكيلو متر المربع بينما تضم دول أوروبا الشرقية ٣٤٨ مليون نسمة وتنخفض فيها الكثافة إلى ١٨,١ نسمة / كم ٢ ، وأما روسيا فهي أكبر دول العالم مساحة ، حيث تصل مساحتها إلى أكثر من ١٧ مليون كيلو متر مربع ويعيش بها حوالي ١٥٠ مليون نسمة يمثلون ٢,٧ ٪ من جملة سكان العالم بينما تشغل أكثر من ١٢,٥ ٪ من مساحة العالم ، وهذا هو الذي يؤدي إلى انخفاض الكثافة السكانية فيها إلى أقل من ٩ نسمة لكل كيلو متر مربع ، ومن الطبيعي أن القسم الآسيوي الضخم في مساحته والأقل في سكانه هو سبب انخفاض الكثافة العامة في روسيا ، أما القسم الأوربي من روسيا فهو أعلى كثافة .

أما القارة الإفريقية ، فقد ظلت حتى مطلع القرن العشرين ذات وزن نسبي منخفض من الناحية السكانية ، حيث كانت تنتشر بها الأمراض التي تفتك بسكانها وتؤدي إلى انخفاض كل من النمو السكاني والكثافة السكانية معا ، إلا أن تقدم العلوم الطبية أدى إلى نمو سكاني سريع في إفريقيا وترتب على ذلك ارتفاع الكثافة السكانية في الأقطار التي تزايد سكانها بسرعة كبيرة ، ويحتل شرق إفريقيا أعلى مناطق القارة في كثافته السكانية ، حيث يتركز في هذا الإقليم ٢٠٣ مليون نسمة وكثافة تصل إلى ٣٢ نسمة / كم ٢ تقريبا ، ويأتي غرب إفريقيا في المرتبة الثانية ، حيث يعيش فيه حوالي ١٨٠ مليون نسمة وكثافة سكانية تصل إلى ٣٠ نسمة / كم ٢ تقريبا ثم شمال إفريقيا وتضم دول العالم العربي كلها فيما عدا الصومال وجيبوتي (ويدخلان في شرق إفريقيا) ، وعدد سكان شمال إفريقيا حوالي ١٥٢ مليون نسمة وكثافتهم حوالي ١٨ نسمة / كم ٢ ، أما دول وسط إفريقيا وتضم تشاد وإفريقيا الوسطى والكونغو وزائير والكميرون

وانجولا فيعيش بها حوالى ٧٨ مليون نسمة وتصل الكثافة فيها إلى ١٢ نسمة / كم^٢ ، وأخيراً جنوب إفريقيا ويشمل ناميبيا وبوتسوانا وجمهورية جنوب إفريقيا وبعض الدول الصغيرة الأخرى فإنه يضم ٤٤ مليون نسمة وتصل الكثافة فيه إلى ١٦ نسمة / كم^٢ .

أما العالم الجديد فإن السكان يتركزون فيه فى بعض المناطق الغنية بمواردها فى كل من الأمريكتين وأستراليا ، ويتركز السكان فى المناطق الساحلية فى شرقى الولايات المتحدة وكندا فى أمريكا الشمالية ، ثم فى كل من المكسيك والبرازيل فى أمريكا اللاتينية ، وأكبر الدول سكانا فى هذا النطاق هى الولايات المتحدة وسكانها فى حدود ٢٦٠ مليون نسمة وتليها البرازيل وسكانها أكثر من ١٥٠ مليون نسمة ، أما كل من كندا والاقيانوسية فسكان كل واحدة منهما فى حدود ٣٠ مليون نسمة فقط ، غير أن هذا الجزء من العالم لا يزال فى معظمه مفتوحا أمام الهجرات الدولية وبالتالي يستقبل أعداداً متزايدة من المهاجرين .

العوامل المؤثرة فى توزيع السكان

يؤثر فى توزيع السكان وكثافتهم عديد من العوامل الجغرافية والاقتصادية والاجتماعية والديموجرافية وذلك على النحو التالى :

١- العوامل الجغرافية وأهمها :

(أ) المناخ : حيث يرى الكثيرون أنه من أهم العوامل الجغرافيا الطبيعية المؤثرة فى توزيع السكان ، ومعظم سكان العالم يتركزون فى المناطق ذات الحرارة المعتدلة أما الصحارى الحارة والمناطق الجليدية فهى ذات أعداد وكثافات سكانية منخفضة ، كما تلعب الأمطار دورا بالغ الأهمية فى توزيع السكان وثمة كثير من التطابق بين خريطة كثافة السكان ومتوسطات الأمطار السنوية المرتفعة ومن الطبيعى أن لذلك أثره فى الزراعة والرعى .

(ب) التربة : ويلاحظ أن مناطق الحضارات القديمة ومناطق التركيز السكاني والكثافات العالية ترتبط بخصوبة التربة وخاصة إذا اتفق ذلك مع وفرة مياه الأمطار أو وجود الأنهار كما هو الحال في أودية النيل ودجلة والفرات والسند وهوانجھو في قارتی إفريقيا وآسيا فوديان هذه الانهار ذات تربة خصبة ، وتوفر الأنهار والأمطار مصادر للماء ولذلك قامت الحضارات المصرية والبابلية والسومرية والهندية والصينية في تلك المناطق .

(ج) السطح : وهو يلعب دورا هاما في توزيع السكان ، حيث يتركز معظم سكان العالم في المناطق السهلية بينما ينفرون من المناطق الصخرية والجبلية أو ذات الارتفاعات العالية ، إلا حيث يكون الارتفاع مرتبطا بمناخ أفضل كما هو الحال في المناطق الاستوائية ، ويقدر أن ٩٠ ٪ من سكان العالم يعيشون في مناطق يقل ارتفاعها عن ٤٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر في مناطق السهول في قارات آسيا وإفريقيا والأمريكتين وأستراليا ، ولا يقبل السكان على سكنى المرتفعات إلا إذا توفرت بها خامات ورواسب معدنية ذات قيمة أو إذا كانت المناطق المنخفضة ذات مناخ حار ورطبة مرتفعة ، أو إذا توفرت مناطق الجذب السياحي في مناطق الارتفاعات العالية .

(د) وفرة الموارد المعدنية والطاقة : ويرتبط ذلك على نحو خاص بالعوامل الجيولوجية حيث توجد رواسب وخامات الفحم والحديد والبتروك وغيرها من المعادن ومصادر الطاقة ، ويمكن ملاحظة أثر هذا العامل في المقارنة بين توزيع السكان وكثافتهم في منطقة شمال إفريقيا وشبه الجزيرة العربية قبيل ظهور البترول ثم بعد ظهوره واستغلاله ، فقد كانت هذه المناطق في معظمها صحراوية خالية من السكان ولكن سرعان ما شقت بها الطرق ونشأت فيها المدن بعد اكتشاف البترول كما يرتبط بوجود الفحم والبتروك في كل من غرب أوربا وشمال شرق الولايات

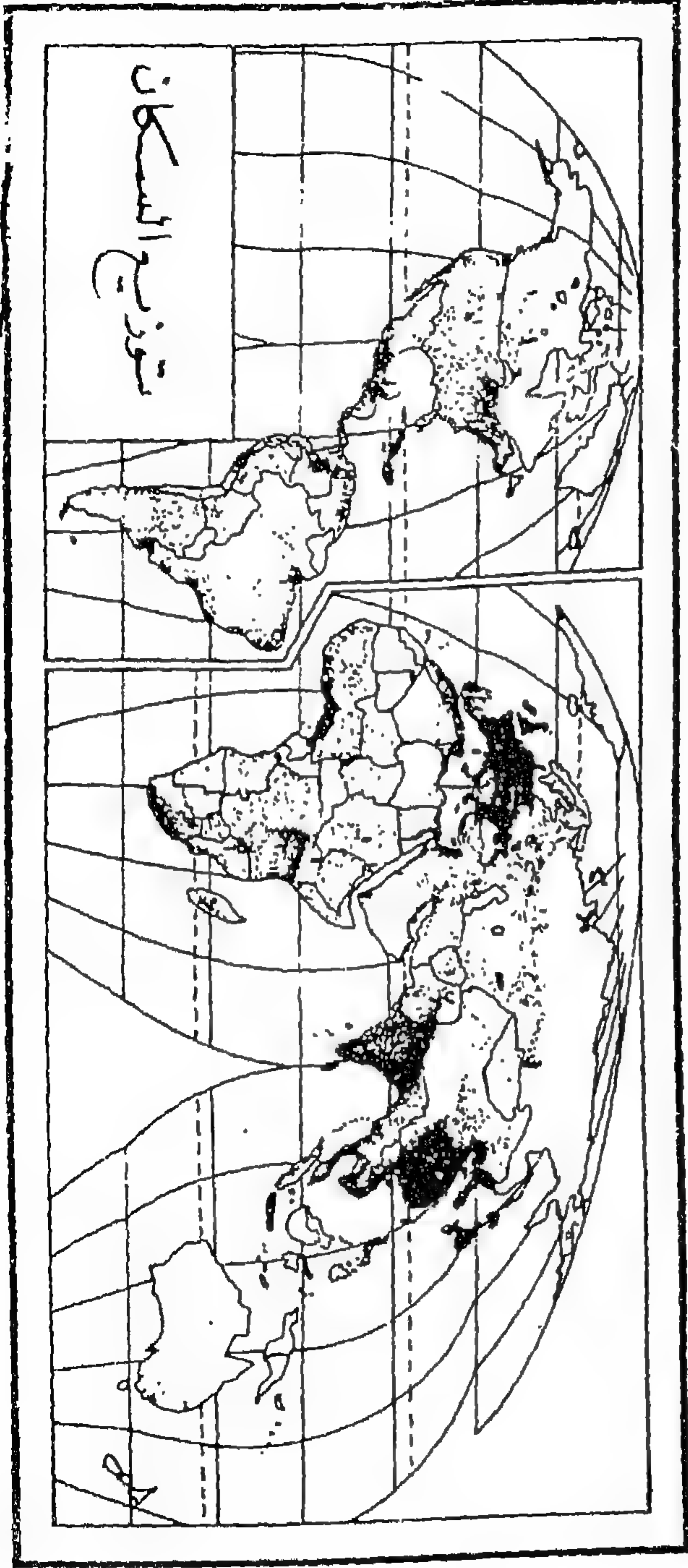
المتحدة ، وجود عدد من المدن الصناعية والمراكز العمرانية الكبرى فى كل من المانيا وبريطانيا ونولايات المتحدة .

٢-العوامل الاجتماعية والاقتصادية:

لعب التقدم الذى حققه الإنسان فى مجال النقل والتجارة الدولية أثره فى تطور الصناعة والخدمات وبالتالي فى انتشار السكان وتوزيعهم خلال القرنين الماضيين ، ويظهر أثر ذلك واضحا فى ظهور عديد من المدن الكبيرة التى تضم الواحدة منها عدة ملايين من السكان ، وقد ارتبط ذلك بتعدد الأنشطة الاقتصادية فى المجتمعات الحديثة وتقدم التقنية مما حرر الانسان من أثر العوامل الطبيعية التى كان لها الدور الأكبر فى انتشار الانسان وتوزيعه على سطح الأرض قبل ذلك

ولعل تحول المجتمعات إلى الصناعة قد أدى إلى تركيز واضح فى المناطق الحضرية التى تقوم بها الصناعات الضخمة التى تحررت كثيرا من أثر البيئة الطبيعية ، وكان للتقدم فى التقنية أثره الواضح فى ذلك وخاصة بالنسبة لكل من الرى الذى تحولت بعض الصحارى نتيجة لتكنولوجيات جديدة فيه إلى مناطق زراعية واجتذبت سكانا ومدت إليها طرق النقل بحيث لم تعد معزولة عن مناطق العالم الأخرى ، ويدخل فى تلك التكنولوجيات وسائل الحصول على الماء الجوفى وأسلوب الرى نفسه ومعالجة تربة الصحارى والتقدم فى الهندسة الوراثية للنبات كما أن التنظيم الاجتماعى والسياسى والأخذ بأسلوب التنسية والتخطيط أدى إلى نشأة مجتمعات جديدة غيرت إلى حد ما فى نمط توزيع السكان .

أما عن كثافة السكان فهى العلاقة بين عدد السكان والمساحة التى يعيشون عليها ، وتوجد أنواع مختلفة من الكثافة فإذا نسب جملة السكان إلى جملة المساحة نحصل على الكثافة الحسائية أو العامة ، وفى مصر تبلغ هذه الكثافة ٥٨ نسمة / كم^٢ تقريبا « جملة السكان ٥٨ مليون والمساحة مليون كيلو متر مربع » أما إذا نسب عدد السكان إلى جملة المساحة المنتجة أو المعمورة فقط فإن هذا يعرف بالكثافة الصافية أو الكثافة الفيزيولوجية Physiological Density



شكل رقم (١٥)

وهى ترتفع فى حالة مصر إلى ١٤٥٠ نسمة / كم^٢ تقريبا تقريبا (حيث تنسب جملة السكان إلى المساحة المأهولة فقط حوالى ٤٠,٠٠٠ كيلو متر مربع فقط) .

أما الكثافة الزراعية Agricultural Density فهى التى تنسب السكان الذين يعلمون فى أنشطة ترتبط بالزراعة إلى مساحة الأراضى الزراعية من ناحية ونسبة العاملين بها من ناحية أخرى ، ففي بريطانيا يعمل حوالى ٥ ٪ فقط من السكان بالزراعة بينما تصل النسبة إلى ٥٠ ٪ تقريبا فى مصر ، ولذلك فإن الكثافة الزراعية فى بريطانيا حوالى ٣٥ نسمة / كم^٢ بينما هى فى مصر حوالى ٣٠٠ نسمة / كم^٢ .

ومن المقاييس الأخرى المستخدمة فى الكثافة درجة التزاحم أى نسبة عدد السكان إلى عدد الغرف ، وهو مقياس يعطى كثيرا من المؤشرات الاقتصادية والاجتماعية ، وطبقا لتعداد السكان فى مصر عام ١٩٨٦ كان متوسط عدد الأفراد للغرفة فى مصر عامة ١,٥ نسمة / الغرفة ، ولكن هذا المقياس يرتفع فى بور سعيد إلى ٢,١ نسمة / الغرفة وينخفض فى الوادى الجديد إلى ١,٢ نسمة / الغرفة ، ودراسة درجة التزاحم فى الأحياء المختلفة داخل المدينة الواحدة تفسر كثيرا من أوجه التباين الاجتماعى والاقتصادى فى هذه الأحياء .

سكان المدن وسكان الريف :

إذا كان الإنسان قد بدأ حياته على الأرض متجولا وباحثا عن الغذاء من مصادره الطبيعية ، بمعنى أنه عاش حياة البداوة والانتقال ، فإنه ما لبث أن استأنس النبات والحيوان وعاش حياة مستقرة فى مجتمعات راقية ، ارتبط فيها بالأرض والزراعة ، ثم تطورت حيلته وحرفته فعرف الصناعة والتجارة ، ومن ذلك كله نشأت القرى فى البداية ثم نشأت المدن بعد ذلك .

وطبقا لتطور الانسان وتقدمه فإنه يتجه أكثر إلى سكن المدن ، وفى عام ١٩٥٠ كان ٨٣ ٪ من سكان الدول النامية يعيشون فى مناطق ريفية ، ولكن فى عام ١٩٧٥ انخفضت هذه النسبة إلى ٧٥ ٪ ويقدر أنه مع نهاية القرن العشرين فإنه سكان الريف فى الدول النامية سيشكلون ٦٠ ٪ فقط من سكانها بينما سترتفع نسبة سكان المدن فى تلك الدول حتى أنه المتوقع أن يصبح نصف سكان الدول النامية خلال العقود الأولى من القرن القادم من ساكنى المدن . ولعله من المظاهر التى شهدتها عمران الأرض ، تزايد سكان المدن فى النسبة ، وتزايد المدن فى الضخامة ، وقد بدأ هذا الاتجاه فى الدول الصناعية المتقدمة ، وذلك لأن الصناعة التى تقوم على الإنتاج الواسع نشأت فى المدن وارتبطت بها ، ولكن الدول النامية سرعان ما نمت مدنها هى الأخرى نتيجة لوجود الخدمات فى مدنها بما يفوق كثيرا تلك الخدمات فى الريف ، ومن هنا فقد شهدت المدن نموا سكانيا هائلا نتيجة اجتذاب تيارات الهجرة الداخلية من الريف إلى المدن .

ويوجد فى الدول النامية حاليا ١٢٥ مدينة مليونية ولكنها ستزيد إلى حوالى ٣٠٠ مدينة مع نهاية القرن العشرين ، وبينما لم يكن فى قارة إفريقيا من المدن المليونية فى عام ١٩٥٠ سوى مدينتين ، وكانت أقل قارات العالم من حيث نسبة سكان الحضر بها إلى جملة السكان ، إلا أن سرعة النمو فى المدن الإفريقية حيث تصل إلى ٦ ٪ سنويا ، تؤدى إلى أن يتضاعف عدد سكان هذه المدن كل ١٢ عاما تقريبا ، وقد ارتفع عدد المدن المليونية فى قارة إفريقيا إلى ١١ مدينة فى عام ١٩٨٥ وارتفع العدد إلى ٣٧ مدينة فى عام ١٩٩٥ ، ويضاف لذلك عشرات المدن التى يصل عدد سكان كل منها إلى أكثر من ٥٠٠,٠٠٠ نسمة وحتى نصف مليون نسمة وهى التى تعرف بالمدن المتوسطة ، أما المدن الصغيرة التى يقل سكان كل منها عن ٥٠,٠٠٠ نسمة فهى تضم مئات المدن .

وتعتبر مدينة القاهرة أكبر المدن الإفريقية ، وكان عدد سكانها أقل من ستة

ملايين نسمة فى عام ١٩٧٠ ، ولكن فى عام ١٩٩٠ وصل عدد سكانها إلى ما يزيد عن تسعة ملايين ، ويقدر أن عدد سكانها فى نهاية القرن العشرين سيصل إلى ما يقرب من ١٢ مليون نسمة ، أما إذا أضيفت مكونات ما يعرف بـ "قاهرة الكبرى" وخاصة مدينة الجيزة ومدينة شبرا الخيمة ، فإن عدد سكان القاهرة الكبرى سيصل فى نهاية القرن إلى ما يزيد عن ١٥ مليون نسمة .

وخلال عقد التسعينات من القرن العشرين ، يقدر أن ٨٣ ٪ من نمو سكان العالم سيحدث فى المدن بما يصل إلى أكثر من ٨٠ مليون نسمة سنويا ، ويقدر أن حوالى ثلث سكان المدن فى العالم يسكنون فى مدن مليونية كبرى ، وهى التى يطلق عليها أحيانا المدن العملاقة أو فوق المليونية ، وتتزايد أعداد هذه المدن فى الدول النامية ، وفى عام ١٩٥٠ كانت سبع من المدن العشر الكبرى فى العالم توجد فى الدول الصناعية المتقدمة ، ولم تكن أى مدينة فى العالم تصل فى عدد سكانها إلى ١٥ مليون نسمة ، ولكن مع نهاية هذا القرن فإن كثيرا من هذه المدن ستكون فى الدول النامية ، فمن بين أكبر عشرين مدينة فى العالم فى عام ٢٠٠٠ ستوجد مدينتان فى الولايات المتحدة وهما نيويورك ولوس انجيلوس ومدينة فى اليابان وهى طوكيو فى مقابل ثلاث مدن فى الصين وثلاث مدن فى الهند ، وأربع مدن فى أمريكا اللاتينية .

وفى كثير من المدن الكبرى فى الدول النامية لم تعد الخدمات والفرص الاقتصادية كافية أو متناسبة مع السرعة الكبيرة فى النمو السكانى ، واجتذاب المهاجرين من الريف والمدن الصغيرة ، وقد عمدت كثير من دول العالم إلى تبنى سياسات تهدف إلى التخطيط الإقليمى ، وخاصة لتنمية أقاليم المدن المتوسطة والصغيرة وكذلك إلى تنمية الريف من أجل وقف تيارات الهجرة إلى المدن الكبرى أو الحد منها .

ويرتبط بتوزيع السكان على كل من الريف والمدن ، مدى ونسبة الاشتغال بالزراعة وإسهامها فى الناتج القومى العام ، ويؤدى تطور الصناعة فى الدول النامية إلى انخفاض ملحوظ فى حصة الزراعة من الناتج القومى العام وإن ظلت أهم مصادر كسب العيش والحياة وخاصة فى أكثر الدول فقرا ، وفى عام ١٩٦٥ شكلت الزراعة نسبة ٤١ ٪ من الناتج القومى الإجمالى فى دول الدخل المنخفض ومثلت ٧٧ ٪ من القوى العاملة ، ولكن فى عام ١٩٨٥ انخفضت حصة الزراعة من الناتج القومى الإجمالى إلى ٣٢ ٪ على حين ظلت حصتها فى العمالة فى حدود ٧٢ ٪ . وفى الدول ذات الدخل المتوسط المنخفض لا تزال الزراعة تقدم ٥٥ ٪ من فرص العمل للسكان .

ورغم انخفاض إسهام الزراعة فى الناتج القومى العام ، فإن أعداد الذين يعتمدون عليها فى كسب معيشتهم تتزايد فى الدول النامية ، وفى الفترة بين ١٩٦٥ و ١٩٨٥ ارتفعت هذه الأعداد فى إفريقيا جنوب الصحراء من ٢٢٠ مليون نسمة إلى ٣١٠ مليون نسمة وفى آسيا من ١٣٥٠ مليون نسمة إلى ١٦٧٥ مليون نسمة ، وإذا كانت هذه العملية آخذة فى الانحسار فى آسيا فإنها لا تزال تتزايد فى إفريقيا .

وخلال الفترة ١٩٨٥ - ١٩٩٠ كانت الزراعة تستوعب عمالة بنسبة ٧٩ ٪ فى الكمبيرون و ٨٧ ٪ فى مالاوى و ٧١ ٪ فى زيمبابوى ، وأما بين دول أمريكا الوسطى فكانت الزراعة تستوعب ما يزيد على ٥٠ ٪ فى كل من هايتى وهندوراس وجامايكا ، وفى القارة الآسيوية كانت نفس هذه النسب قائمة فى كل من بنجلاديش وباكستان وسريلانكا ، وربما كانت فى هذه الحدود فى كل من الهند والصين .

ويؤدى الفقر فى المناطق الريفية ، خاصة إذا ارتبط بارتفاع الخصوبة وتدهور

أحوال البيئة إلى وجود طوفان يتدفق فى حركة هجرة داخلية من الريف إلى المدن ، ويقدر أن ما بين ٢٠ إلى ٣٠ مليون نسمة من فقراء العالم يتركون قراهم سنويا متجهين إلى المدن القريبة من مواطنهم ، ويقدر أنه مع نهاية القرن العشرين سيكون ٩٠ ٪ من فقراء أمريكا اللاتينية من سكان المدن وتصل النسبة إلى ٤٠ ٪ فى إفريقيا وإلى ٤٥ ٪ فى آسيا ، ولكن أولئك الفقراء سيمثلون أفقر سكان المدن فى العالم كله بينما يوجد إلى جانبهم سكان آخرون يتمتعون بدخول عالية ومستويات راقية من الرفاهية ، وسيكون لذلك أثره فى موجات العنف والجريمة فى المدن ، وكذلك فى زيادة الأحياء العشوائية المتدهورة على أطراف المدن وبعض أجزائها الوسطى .

ثالثا : تركيب السكان Population Structure

يتضمن تركيب السكان عدیدا من الصور التى يأخذها هذا التركيب ، والتى تدخل فى خصائص السكان وتؤدى إلى كثير من التباين من مجتمع لآخر أو من دولة لأخرى ، وسوف نتناول أهم جوانب تركيب السكان بإيجاز فيما يلى :

١ - التركيب النوعى للسكان Sex Structure

ويقسم فيه السكان إلى ذكور Males وإناث Females وعادة ما يقاس أحد النوعين إلى الآخر أو إلى جملة السكان ، ومن أكثر المقاييس المستخدمة شيوعا أن تنسب ما يقابل كل مائة من أحد النوعين إلى النوع الآخر أو إلى ألف منهم ويعرف ذلك بالنسبة النوعية وتحسب كما يلى :

$$\text{النسبة النوعية} = \frac{\text{عدد الذكور}}{\text{عدد الإناث}} \times 100$$

فاذا حسبت لكل ألف قلل ذلك من الكسور وإن كان الحساب أكثر شيوعا بالنسبة لكل مائة وبصفة عامة فإن المجتمعات الطبيعية المستقرة تتقارب فيها

أعداد الذكور والإناث بحيث تتراوح النسبة النوعية بين ٩٠ , ١١٠ أنثى لكل مائة من الذكور غير أن التفاوت فى الخصوبة والنوفيات والهجرة تؤدي إلى حدوث اختلافات فى النسبة النوعية كما أن الحروب تؤدي إلى تباين واضح فى ذلك أيضا حيث كثيرا ما ترتبط بارتفاع نسبة الذكور فى المناطق المتأثرة بها بينما تهاجر النساء إلى مناطق أخرى أكثر أمنا .

ويوجد مؤشر آخر فى دراسة التركيب وهو نسبة أحد النوعين إلى جملة السكان ، فإذا نسب عدد الذكور إلى جملة السكان نحصل على نسبة الذكور Masculinity Ratio ، أما إذا نسب عدد الإناث إلى جملة السكان فنحصل على معدل الانوثة Feminity Ratio ، وتحسب نسبة الذكور كما يلي اذن :

$$\text{نسبة الذكور} = \frac{\text{عدد الذكور}}{\text{جملة عدد السكان}} \times 100$$

وبالمقارنة بين كل من النسبة النوعية وأى من نسبة الذكور أو نسبة الأنوثة يلاحظ أن النسبة النوعية تكون فى حدود ١٠٠ (أو كما سبق بين ٩٠ و ١١٠) فى المجتمعات الطبيعية المستقرة ، أما نسبة الذكورة أو الأنوثة فتكون فى حدود ٥٠ فى تلك المجتمعات ، وذلك لأننا فى الحالة الأولى ننتسب جزءا من السكان إلى الجزء الآخر أما فى الحالة الثانية فنحن ننسب جزءا من السكان إلى جملة السكان من النوعين معا ، أما انخفاض تلك النسب أو ارتفاعها عن المتوسطات السابقة فلا بد أن نسعى إلى تفسيره وتوضيح أسبابه ، ففي مدن التعدين أو مدن الحاميات العسكرية ترتفع نسبة الذكورة كثيرا جدا ، وفى المجتمعات التى يقبل الذكور فيها على الهجرة للعمل تنخفض النسبة النوعية نظرا لبقاء الإناث بينما يقبل الذكور على الهجرة فى تلك المجتمعات ، والمناطق المتأثرة بتهديد الحرب أو الأعمال العسكرية ، أو التى تتنابها الكوارث الطبيعية ، تقل فيها أعداد النساء لاتباهن للهجرة إلى مناطق آمنة .

٤ - التركيب العمري للسكان Age Structure

وفيه يتم تقسيم كل من الذكور والإناث إلى فئات عمرية قد تكون تفصيلية أى أن يشهر عدد كل من النوعين في فئات عمرية طول كل منها سنة ، سنة ، غير أن الأكثر شيوعا هو الفئات العمرية الخمسية أو العشرية .

ومن ناحية أخرى يوجد التقسيم إلى الفئات العمرية الأساسية أى الصغار والبالغون النشطون والمسنون ، والفئة الأولى تعرف أحيانا بالاطفال والمراهقين وهى تشمل السكان في فئات العمر التى تمتد بين الميلاد حتى أقل من ١٥ عاما ، أما الفئة الثانية فتتضمن السكان بين فئات العمر ١٥ - ٦٤ عاما (وفى أحيان قليلة حتى ٥٩ عاما فقط) وأما الفئة الثالثة فتتضمن السكان في فئات العمر ٦٥ عاما فأكثر (أو ٦٠ عاما فأكثر في حالة انتهاء الفئة الوسطى عند ٥٩ عاما) (١)

ولما كان السكان في فئة العمر ١٥ - ٦٤ عاما يشكلون السكان المنتجين ومن هم في سن العمل وبذل النشاط ، فإن السكان في الفئة الأصغر عمرا (أى الأقل من ١٥ عاما) يطلق عليهم المعالون الصغار ، ويطلق على السكان في فئة العمر ٦٥ عاما فأكثر ، المعالون الكبار ، ومن الناحية النظرية فإن السكان في فئات العمر ١٥ - ٦٤ عاما يمثلون العائلين الذين يكفلون الفئتين الأصغر سنا والأكبر سنا .

ويمكن حساب بعض المعدلات كما يلي :

$$\text{معدل الاعالة : } \frac{\text{السكان المعالون (صفر - ١٤ عاما + ٦٥ فأكثر)}}{\text{السكان العائلون (١٥ - ٦٤ عاما)}} \times ١٠٠$$

(١) يرتبط ذلك غالبا بسن الاحالة إلى المعاش وهى تختلف من قطر لآخر .

كما يمكن حساب النسبة بين كل من المعالين الصغار والمعالين الكبار فيما يعرف بمعدل التعمر^(١) . أو مؤشر التعمر Index of Aging وهو يحسب كما يلي :

$$\text{معدل التعمر} = \frac{\text{السكان ٦٥ عاما فأكثر}}{\text{السكان ١٤ عاما فأقل}} \times ١٠٠$$

ويمكن الخروج بكثير من التحليلات السكانية عن المجتمعات باختلاف المعدلات السابقة ففي الدول النامية عموما يرتفع معدل الإعاقة عن المجتمعات المتقدمة ، كما أن معدل التعمر يرتفع في الدول المتقدمة عنه في الدول النامية وذلك نتيجة لارتفاع ما يعرف بأمد الحياة أو توقع الحياة عند الميلاد في المجتمعات المتقدمة لوجود أحوال صحية واقتصادية أفضل مما يتوفر في مجتمعات الدول النامية .

٣ - أهram السكان Population Pyramids

يمكن عمل أشكال بيانية توضح كلا من التركيب النوعي والعمرى معا وهي التي تعرف بأهram السكان ، ويمكن أن توضح أهram السكان إما الأعداد المطلقة أو الفعلية للسكان أو أن تعتمد على النسب المئوية للسكان في الفئات العمرية المختلفة ، والأرقام النسبية أفضل نظرا لسهولة مقارنة الأهram السكانية لمجتمعات مختلفة من حيث الحجم السكاني إذا اتبعت هذه الطريقة .

ويرتكز هرم السكان على قاعدة يوضح عليها غالبا مقياس الهرم سواء بالأرقام المطلقة أو النسب ، وتمثل هذه القاعدة أدنى الفئات العمرية المستخدمة ثم تعلوها مختلف الفئات التي قد تكون الفواصل بينهما خمسة أعوام أو عشرة

(١) ويعرف أحيانا بمعدل الشيوخ .

اعوام، وإن كان ثمة أهرام تكون الفئة فيها مفصلة وطولها عام واحد وتعرف بأهرام آحاد السن .

وتقسم قاعدة الهرم في منتصفها حيث يوجد صفر التدرج إلى قسمين وعادة ما يكون الذكور في يمين الهرم والإناث في يساره وذلك لتسهيل المقارنات بين الأهرام المختلفة .

ويمكن أن يوضع الهرم السكاني كثيرا من الأحداث التي مرت بالمجتمع الذي يمثله ، وعلى الباحث أن يجد تفسيراً لذلك من خلال ما حدث في المجتمع من تطور تاريخي سواء في النواحي الاجتماعية أو الاقتصادية أو العسكرية ، وبصفة عامة فإن التغيرات في الهرم السكاني تكون محصلة لما يلي :

(أ) تغيرات ناتجة عن عوامل حيوية أو اجتماعية كالمواليد والوفيات والهجرة ، فحدوث ارتفاع مفاجيء سواء بالنسبة لمعدلات المواليد أو الوفيات وكذلك حدوث هجرة مفاجئة لفئة عمرية معينة أو ارتفاع لمعدلات الوفيات في تلك الفئة ، يظهر أثره في الهرم السكاني .

(ب) تغيرات طارئة وفجائية كالحروب والكوارث الطبيعية كالجفاف أو انتشار الأوبئة والمجاعات .

(ج) الأخطاء الناتجة عن عدم الدقة في إعطاء بيانات العمر أو عدم التبليغ وشمول العد لأفراد في فئة عمرية معينة .

هذا ويمكن في بعض الأحيان عمل أهرام مقارنة من أنواع مختلفة حيث يمكن عمل هرمين متداخلين لمجتمع واحد في تاريخين مختلفين لمعرفة ما طرأ من تطور على التركيب العمري والنوعي لسكان هذا المجتمع خلال الفترة بين التاريخين ، كما يمكن عمل أهرام مركبة أو متداخلة للمقارنة بين مجتمعين في تاريخ واحد .

وتمثل الأهرام السكانية للدول النامية اتساعا فى القاعدة نظرا لارتفاع معدلات المواليد ثم تأخذ درجات الهرم فى التقلص كلما اتجهنا إلى الأعمار الكبيرة حتى تصبح قمة الهرم مدببة فى أعلاه ، أما الدول التى تنخفض فيها معدلات المواليد وترتفع فيها نسبة المسنين فإنها تمتاز بقاعدة ضيقة نوعا وبقمة عريضة نسبيا وغير مدببة .

٤ - حجم الأسرة Family Size

لحجم الأسرة الذى يقصد به عدد أفرادها أثر كبير فى فهم الجوانب الاجتماعية للسكان ، وكلما كان حجم الأسرة كبيرا كان معنى ذلك ارتفاع عبء الإعالة ويقدر عدد أفراد الأسرة على أساس الآباء والأبناء الذين يعيشون تحت سقف واحد ، وعندما يتزوج الأبناء وينفصلون عن آبائهم أو أسرهم فإنهم يشكلون أسرة جديدة .

وتوجد فرق بين الأسرة الممتدة وهى التى تضم الآباء والأبناء والأحفاد جميعا ، وبين الأسرة النووية أو الصغيرة التى تضم الزوجين والأبناء فقط . ومن التعبيرات المستخدمة أيضا الأسرة المكتملة Completed Family التى أُنشئت فيها الأم كل أطفالها ولم تعد قادرة على مزيد من الإنجاب أما الأسرة المفتوحة فما زالت الأم فيها فى سن الإنجاب ويمكن لها أن تلد أطفالا آخرين .

ولحجم الأسرة كثير من الدلالات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، وعادة ما تكون المجتمعات التى تعمل بالحرف الأولية كالزراعة والصيد مكونة من أسر ذات أحجام كبيرة ويصدق ذلك خاصة على مجتمعات الزراعة الكثيفة التى يكون لليد العاملة فيها أهمية فى الزراعة والإنتاج ، بينما قد تكون الأسرة فى المجتمعات المتطورة التى تشكل الصناعة ركيزة أساسية بها ويعيش جزء كبير من سكانها فى المدن من نوع الأسر ذات الأحجام الصغيرة وفى التعداد العام للسكان

فى مصر عام ١٩٨٦ كان متوسط حجم الأسرة فى مصر عموما ٤,٩ فردا ولكنها قد تنخفض إلى ٤,٤ فردا فى محافظة القاهرة أو ترتفع إلى ٥,٥ فردا فى محافظات كفر الشيخ والبحيرة وإلى ٦,٣ فرد فى محافظة الوادى الجديد (١).

٥- الحالة الاجتماعية

ويقصد بها بيانات السكان من حيث الزواج أو الطلاق ، وأحيانا يشار إليها على أنها الحالة الزوجية Nuptiality or Marital Status وفيها يقسم السكان إلى الفئات التالية :

- المتزوجون

- المطلقون

- العزاب

- الأراامل

ومن الطبيعى أن يقتصر هذا التقسيم على السكان فى سن الزواج أى السكان فوق ١٥ أو ٢٠ عاما حسب سن الزواج فى المجتمع محل الدراسة (سن الزواج القانونى فى مصر ١٦ عاما للإناث و١٨ عاما للذكور) .

وثمة كثير من المقاييس التى تمكن من تصور المجتمع ومن هذه المقاييس معدلات الزواج الخام ومعدلات الطلاق الخام ، وهى مؤشرات تدل على كثير من القيم السائدة فى المجتمعات ، وتحسب هذه المعدلات كما يلى :

(١) الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء ، الكتاب الإحصائى السنوى ١٩٥٢ -

١٩٨٨ - القاهرة يونية ١٩٨٩ ، ص ص ٢٤ - ٢٥ .

$$\text{معدل الزواج الخام} = \frac{\text{عدد حالات الزواج خلال سنة ما}}{\text{عدد السكان في منتصف السنة نفسها}} \times 1000$$

$$\text{معدل الطلاق الخام} = \frac{\text{عدد حالات الطلاق في سنة ما}}{\text{عدد السكان في منتصف العام}} \times 1000$$

ويلاحظ ان هذه المعدلات يمكن تعديلها اذا حسبت المعدلات المصححة وهى التى نأخذ فيها بالاعتبار عدد السكان فى سن الزواج فعلا وننسب إليها معدلات الزواج أو أن ننسب معدلات الطلاق بحساب عدد السكان المتزوجين فعلا .

وطبقا للتعداد العام للسكان فى مصر عام ١٩٨٦ كانت بيانات الحالة الزوجية كما يلى :

لم يتزوج ابدا	٣٢,١ ٪ ذكور	و ٢٠ ٪ إناث
متزوج	٦٤,٨ ٪ ذكور	و ٦٤,٨ إناث
عقد قران	١,١ ٪ ذكور	و ١,٢ ٪ إناث
مطلق / ارمل	٢,٠ ٪ ذكور	و ١٤ ٪ إناث

أما معدل الزواج الخام فى مصر عام ١٩٨٦ فقد بلغ ٩,١ كما بلغ معدل الطلاق الخام ١,٧ فى الألف ، أما معدل الزواج المصحح فيصل إلى ١٦ فى الألف .

هذا وتختلف المجتمعات فى بعض الجوانب المتعلقة بالزواج من حيث التعدد فمعظم المجتمعات يكون فيها الزواج مقصورا على زوجة واحدة للرجل Monogamy ولكن يوجد تعدد للزوجات Polygyny فى بعض المجتمعات ، كما يوجد تعدد للأزواج Polyandry فى قلة من المجتمعات التى تجمع فيها المرأة بين أكثر من

زوج ، وفى كثير من المجتمعات يزيد عدد الأراامل من النساء عن المترملين من الرجال نظراً لارتشاح أمد الحياة لدى الإناث عنه لدى الذكور .

٦ - التركيب الاقتصادى للسكان

توجد كثير من المصطلحات المستخدمة فى وصف التركيب الاقتصادى للسكان ومن هذه المصطلحات « القوى العاملة » Labour Force ومنها القوى البشرية Manpower ومنها أيضا « السكان المتكسبون » و « السكان العاملون » وفى أحيان أخرى « السكان ذوى النشاط الاقتصادى » وهم يعرفون بصفة عامة بأنهم الأفراد الذين يشتركون فى تقديم العمل لإنتاج السلع الاقتصادية والخدمات ، ولا يقتصر ذلك على السكان الذين يعملون فعلا وقت إجراء جمع البيانات ولكنه يضم أيضا السكان المتعطلين الذين هم قادرون على العمل وبحثون عنه (١) .

وحسب التعريف السابق فإن القوة البشرية تضم السكان الذين يعملون فعلا وأولئك الذين يمكن لهم أن يعملوا إذا وجدت فرصة لذلك ، وأما الأطفال والشيخوخة المسنون غير القادرين على العمل أو الراغبين فيه فيعرفون بخارج القوة البشرية ، وبذلك فإن السكان فى القوة البشرية ينقسمون إلى مجموعتين :

(أ) قوة العمل وهم السكان فى فئات العمر ١٥ - ٦٤ عاما (وفى أحيان أخرى حتى ٥٩ عاما فقط) سواء كانوا يعملون فعلا أو أنهم يرغبون فى العمل وبحثون عنه ، وتجدر الإشارة إلى أن بعض الدول تأخذ فى بياناتها بنحو أقل من العمر قد يكون العاشرة أو السادسة من العمر ولكن منظمات الأمم المتحدة تحظر

(١) المركز الديموجرافى لشمال إفريقيا بالقاهرة ، والعوامل الديموجرافية والقوة البشرية ، التقرير الأول ، ترجمة مدحت محمد على جاد ، القاهرة ، ١٩٦٧ . ص ٥ - ٦ .

تشغيل الصبية ، أما الاختلاف فى الحد الأعلى فيرتبط بسن التقاعد عن العمل رسميا .

(ب) قوة خارج العمل وهم الذين يدخلون من حيث السن فى القوة البشرية غير أنهم لا يعملون فى مهن منتجة مثل طلاب المدارس والجامعات والمرضى ونزلاء السجون ، أو الذين يعيشون اعتمادا على دخول غير ناتجة من العمل وأحيانا تضم هذه الفئة ربات البيوت .

وثمة تقسيمات للسكان ذوى النشاط الاقتصادى منها :

- الذين يعملون لدى الأسرة بدون أجر أو فى مشروعات خاصة بهم .

- أفراد القوات المسلحة والعاملون فيها من المدنيين .

- الذين يبحثون عن العمل لأول مرة

- الذين يعملون لبعض الوقت .

- الخدم

أما من حيث التصنيفات الدولية التى تبنتها الأمم المتحدة لأوجه الأنشطة الاقتصادية للسكان فهى كما يلى :

١ - الزراعة وأعمال الغابات والصيد والقنص

٢ - التعدين وأعمال المناجم والمهاجر .

٣ - الصناعة

٤ - البناء والتشييد .

٥ - الكهرباء والغاز والمياه والخدمات الصحية .

٦ - التجارة

٧ - النقل والمواصلات والتخزين

٨ - الخدمات

٩ - أى أعمال أخرى غير واردة فى التصنيف السابق

ولكن ثمة تقسيما أبسط وأكثر سهولة وهو الذى يقوم على تقسيم الأنشطة الاقتصادية للسكان إلى الأنشطة الأولية Primary وهى تضم ما يستثمر فيه الإنسان الموارد الطبيعية مباشرة كالزراعة وأعمال الغابات والصيد والقنص والمجموعة الثانية هى الأنشطة الثانوية Secondary وتشغل التعدين وأعمال المحاجر والصناعة وإنتاج الغاز والكهرباء والبناء وأما المجموعة الثالثة من الأنشطة الاقتصادية فهى الأنشطة الثلاثية Tertiary وهى تشمل أعمال التجارة والنقل والمواصلات والخدمات بأنواعها المختلفة .

والواقع أن أى تصنيف لوظائف السكان أو انشطتهم الاقتصادية لا يخلو من مشكلات ، وذلك نظرا لأن بعض الأنشطة تدخل تحت فئة واحدة رغم تباينها فمثلا تضم الخدمات كلا من الخدمات العامة التى تشمل كبار العاملين فى أجهزة الدولة الإدارية والخدمية والبنوك ولكنها قد تضم أيضا الخدمات الشخصية مثل خدم المنازل ورغم الفارق الكبير فى المستوى والأداء والنتاج ، كما أن الزراعة تضم الزراعة الراقية المتقدمة والزراعة البدائية ، وكذلك الصناعة تضم كبار رجال الصناعة من فئة المديرين أو ما يطلق عليهم أحيانا ذوى الياقات البيضاء White Collars وإلى جانبهم العمال أو ذوى الياقات الزرقاء Blue Collars وللمقارنة بين بعض الدول فى تركيب القوى العاملة انظر الجدول ،

جدول تركيب القوى العاملة لبعض دول العالم

الدولة	النسبة المئوية للتوة للسكان فى قوة العمل (١٥ - ٦٤) عاما	النسب المئوية للعاملين فى أنشطة		
		الزراعة	الصناعة	الخدمات
الهند	٥٧	٧١	١٣	١٦
الصين	٦٣	٦٩	١٩	١٢
مصر	٥٧	٥٠	٣٠	٢٠
المغرب	٥١	٥٢	٢١	٢٧
جنوب افريقيا	٥٥	٣٠	٢٩	٤١
المملكة المتحدة	٦٤	٢	٤٢	٥٦
فرنسا	٦٤	٨	٣٩	٥٣
الولايات المتحدة	٦٦	٢	٢٢	٦٦
اليابان	٦٨	١٢	٣٩	٤٩

مصدر الجدول : البنك الدولى تقرير عن التنمية فى العالم ١٩٨٤ الترجمة العربية ، مؤسسة الأهرام ، القاهرة ١٩٨٤ ، ص ص ٢٩٦ - ٢٩٧ .

ويمكن من الجدول الخروج بكثير من المقارنات بين هذه الدول التى تنتمى إلى مجموعات مختلفة من الدول النامية والمتقدمة والتى يظهر فيها بوضوح التباين بين نسبة قوة العمل إلى جملة السكان من ناحية ودور كل من الصناعة والزراعة والخدمات فى قوة العمل من ناحية ثانية .

٧ - صور أخرى من تركيب السكان

(أ) التركيب الدينى للسكان

وهو يقوم على تحديد أعداد ونسب أتباع كل ديانة من الديانات التى يتبعها السكان فى قطر ما أو فى إقليم ما ، ويكون لهذا التركيب أثره الهام أحيانا فى

تفسير بعض المشكلات التى تتعرض لها بعض المجتمعات التى تتعدد فيها الديانات مثل الهند فى آسيا أو نيجريا فى افريقيا وأحيانا لا يكون للدين فقط أثره بل قد يكون للمذهب الدينى أثره كما هو الحال فى لبنان حيث يكون للمذاهب الدينية فى كل من المسيحية أو الإسلام أثرهما فى فهم بعض المشكلات ، وكذلك الحال بالنسبة لأيرلندا الشمالية حيث توجد مشكلات بين كل من البروتستانت والكاثوليك ، وللتكوين الدينى أثره فى المشكلات التى ظهرت بعد تفكك الاتحاد السوفيتى السابق أو يوغوسلافيا .

أما فى الأقطار التى يميزها التجانس الدينى ، أو يسودها التسامح فإن أثر الدين فى المشكلات قد يكون محدودا ومن ثمة لا يكون هناك داع لدراسة التركيب الدينى دراسة مفصلة .

(ب) التركيب العرقى (السلالى) للسكان

وهو يقوم على أساس تصنيف السكان إلى السلالات الرئيسية ، ورغم أن وجود سلالات بشرية نقية لم تختلط بغيرها أمر نادر الحدوث فى العالم المعاصر ، إلا أن بعض المشكلات العرقية قد تفسر التطور التاريخى للمجتمعات البشرية ، كما تفسر بعض مشكلات الصراع القائم على اللون والسلالة كما كان عليه الأمر فى الولايات المتحدة قبل الغاء الرق أو فى جنوب افريقية حيث كان نظام التفرقة العنصرية أو الأبارتهايد Apartheid سببا فى كثير من المشكلات ، حتى انتهى الأمر بتولى الأغلبية الإفريقية للحكم بعد مفاوضات شاقة مع البيض .

كما أن الصهيونية تحاول أن تصور اليهود كسلالة رغم أن ذلك ليس صحيحا حيث يوجد بينهم يهود الخزر من المغول واليهود السود (الفلاشا) فى اليمن وأثيوبيا واليهود الهنود الذين يطلقون على أنفسهم لقب بنى إسرائيل ، وإلى جانب ذلك كله يوجد اليهود الغربيون من القوقازيين ومع ذلك كله تستخدم

إسرائيل مصطلح العداء للسامية كما لو أنهم هم وحدهم الذين يتكلمون لغة سامية مع أن العربية لغة سامية أيضا مثل اللغة العبرية التي كانت ميتة قبل قيام إسرائيل وتفرق إسرائيل في المعاملة بين السكان العرب واليهود الذين يعيشون فيها على أساس ديني .

ويرتبط بالسلالة أحيانا التركيب اللغوي للسكان ففي بعض المجتمعات توجد لغة واحدة كوسيلة للتفاهم ، وفي مجتمعات أخرى قد تتعدد اللغات بدرجة تحدث كثيرا من المشكلات ، ففي كل من الهند ونيجيريا توجد عدة مئات من اللغات مما أدى إلى أن أصبحت اللغة الانجليزية هي وسيلة التفاهم بين أبناء البلدين ، كما أن وجود اقلية تتحدث الفرنسية في اقليم كويك في كندا له أثره في بعض المشكلات السياسية التي تهدد وحدة كندا أحيانا .

(ب) المواطنة أو الرهوية Nationality

ويعرف ذلك أحيانا بالجنسية ، ويكون لذلك التركيب أهميته في التمييز بين المجتمعات ، فبعض المجتمعات مفتوحة للهجرة الخارجية وتشجع عليها ، ومن ثمة تكون هذه المجتمعات من التي تتعدد بها الجنسيات وتوصف بأنها مجتمعات عالمية Cosmopolitan وهو ما نجده في الأقطار التي تحتاج إلى سكان لتعميرها كالولايات المتحدة في فترة الهجرات الكبرى إليها ، وكذلك الحال في كثير من الموانئ التي تضم جنسيات متعددة .

وفي بعض المجتمعات قد تتعدد الجنسيات الوافدة بحيث يصبح المواطنون اقلية فيها مثل مجتمعات إمارات الخليج العربي وهي قطر والإمارات العربية المتحدة والكويت ، حيث يشكل الوافدون أكثر من ٥٠ ٪ من جملة سكان تلك الاقطار ، حيث تصل النسب في عام ١٩٨٠ إلى ٥٨,٦ ٪ من سكان الكويت و ٦٤,٧ ٪ من سكان قطر و ٧٥ ٪ من سكان الإمارات ، ويشكل المهاجرون

الآسيويون من كل الهند وباكستان وبنجلاديش نسبة كبيرة من أولئك النوافدين إلى تلك الاقطار العربية التي أصبح العرب يشكلون في بعضها اقلية .

(د) الحالة التعليمية

وفيه يدرس السكان على أساس موقفهم من التعليم ، ويقسمون أولا إلى متعلمين وأمينين ، ثم يقسم المتعلمون طبقا لدرجة ، أو مستوى التعليم فنفرق بين من يعرفون القراءة والكتابة فقط وأولئك الذين تلقوا تعليما ابتدائيا أو ثانويا أو جامعا أو ما فوق ذلك .

ويمكن دراسة التركيب التعليمي من الوقوف على مستوى الدولة محل الدراسة من حيث تعليم السكان وما يتوفر لديهم من خبرات ومهارات ، كما يمكن التوصل إلى المؤشرات الاقتصادية والاجتماعية المرتبطة بالتعليم والإفادة من ذلك كله في التخطيط للتعليم أو لجوانب أخرى في المجتمع بهدف التنمية والتخطيط القومي أو الشامل ، كما يمكن ربط المستوى التعليمي بعدد آخر من المتغيرات مثل الدخل وحجم الأسرة والخصوبة والقوى العاملة والزواج والهجرة وغير ذلك من المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية .

الفصل الخامس

العناصر الجغرافية للدولة

يوجد فى عالمنا المعاصر أكثر من ١٨٠ دولة ، لكن هذه الدول تختلف فى درجة قوتها السياسية والعسكرية والاقتصادية ، كما تختلف أوزان هذه الدول من حيث الموارد والمساحة وعدد السكان ، ومع ذلك فإن هذه الدول متساوية ، كلها من حيث مشروعية الوجود أمام القانون الدولى ، وهى متساوية من حيث الحقوق والمسؤوليات برغم اختلاف مراتبها من حيث القوة .

مقومات الدولة:

شهدت عصور التاريخ المختلفة قيام كثير من الدول وانهيار دول أخرى أو تمزقها وسقوطها ، فإذا كانت القوى الدولية ، أو القوى الكبرى أو الدول التى يتعدى تأثيرها مجال حدودها الوطنية ، قد ظلت قليلة العدد بالقياس إلى جملة أعداد الدول فى كل العصر ، فإن الدول الصغيرة والمتوسطة تلك التى تعيش داخل حدودها ، ولا تشترك فى صياغة الأحداث الدولية ، هى التى تشكل العدد الأكبر ، ومع ذلك فإنه يمكن القول بوجود عدد من المراتب بين الدول فئمة القوى الكبرى التى يكون لسياستها أثر ونفوذ فى السياسة الدولية ، والدول التى تعتبر قوى ألمية إقليمية تقارس دورا سياسيا فى قارة أو فى إقليم كبير دون أن تصل إلى مرتبة القوة الكبرى والدول الصغيرة هى التى تقنع بتطوير الحياة داخل حدودها الوطنية هذا إلى جانب المستعمرات وهى دول لم تكن لها السيادة على أراضيها ، وعاشت شعوبها مستضعفة خاضعة للقوة المستعمرة حتى قامت بها حركات استقلالية أدت إلى تحريرها السياسى من نفوذ الامبريالية ، وإن كان الاستقلال

الاقتصادى أصعب تحقّقا من الاستقلال السياسى لتلك الدول نظرا لطول ارتباطها باقتصاديات الاستعمار .

وعلى الرغم من الحروب الكثيرة التى عرفتها البشرية ، لأسباب عديدة ، فإن القاعدة فى العلاقات الدولية كانت هى الرغبة الدائمة فى الحياة فى سلام ، وحسن الجوار والتعايش ، ولكن ذلك لم يمنع الدول فى كل عصر ، من التزود بأسباب القوة التى تحمى استقلالها وترد أى اعتداء على أراضيها ، وفى هذا المجال تتباين إمكانات الدول ، نظرا للاختلاف الكبير فى الخصائص الجغرافية ، ونصيب كل منها من عناصر القوة ، سواء كانت هذه العناصر متعلقة بالموارد الطبيعية ، وخصائص الموقع أو مرتبطة بمدى استخدام هذه الموارد واستثمارها ويدخل فى ذلك العوامل البشرية من سكان وتقدم اقتصادى وتطور علمى نتيجة لاختلاف المراحل الحضارية والتكنولوجية التى تمر بها المجتمعات فى مختلف العصور وهذا التباين فى العناصر والمقومات هو الذى يؤدى إلى تفاوت الدور الذى تقوم به الدول محليا وإقليميا وعالميا .

ويمكن أن نلخص مجموعة العوامل الأساسية التى تؤثر فى أقدار الدول من حيث القوة فى كل من عوامل المكان التى تشمل الموقع والحجم والشكل ويدخل فى ذلك المناخ والطبيعة الجغرافية وعوامل السكان فيما يتعلق بالعدد الكلى والتركيب السكانى بأبعاده المختلفة من حيث النوع والمهارات العلمية والفنية ومن حيث السلالة والدين واللغة ، وعامل الموارد الاقتصادية المتاحة من زراعية وتعدينية بالإضافة إلى كل من النشاط التجارى والصناعة ثم عامل التركيب الاجتماعى والتنظيم السياسى لسكان الدولة .

ومن العوامل الهامة فى تحليل مقومات القوة فى الدولة ما يتصل بالحدود السياسية طبيعتها ومشكلاتها وما إذا كانت علاقات الجوار بين الدولة وغيرها

طبيقة أو سيئة . ويمكن فهم كثير من جوانب قوة الدول على ضوء إنجازات سكانها وتنظيمهم ، في موقع معين من مكان معين ، والمكان هو عنصر التكامل في الجغرافيا تماما مثل عنصر الزمن في التاريخ .

ويظهر من الدراسات الاقتصادية للأمم القوية ميزة وأهمية العلاقات المكانية ودراسة الدول الكبرى سواء ما كان قائما منها في الماضي أم ما كان معاصرا يظهر أن كثيرا منها تتبوأ مركزا قياديا مهيمن يجمع في جزء كبير منه إلى الموقع الممتاز والحجم والشكل المناسبين والموارد الاقتصادية الوفيرة والنشاط البشري المتقدم والانسجام بين عناصر السكان .

والواقع أنه يصعب تماما معالجة أحد عناصر القوة في الدولة بمجزل عن العوامل الأخرى لأن العوامل كلها متشابكة ونشاعلية ولا نستطيع أن ننزل أستاذنا تحت ناقوس زجاجي لأن ارتباطات العوامل ببعضها هي التي تؤدي إلى قوة الدول واختلاف أقدارها ولا يمكن لعامل واحد منها منحا بلغت حصة الدولة ونصيبها منه أن يؤدي إلى القوة ولكن تضافر هذه العوامل مجتمعة هو الذي يؤدي إلى وجود القوة العالمية .

أولا : عوامل المكان :

١ - الموقع Location :

لعل أول سؤال يتبادر إلى الذهن لدى ذكر مكان ما هو أين يقع ؟ والواقع أن الإجابة على مثل ذلك السؤال لا تكون واحدة في جميع الأحوال وذلك لأن لكل مكان أكثر من موقع وتعدد المواقع يأتي نتيجة لوجود أكثر من نوع من الموقع فهناك الموقع الفلكي والموقع البحري أو القاري ثم الموقع النسبي ، ولكل مكان في العالم هذه المواقع مجتمعة .

(أ) الموقع الفلكي : وهو الذي يحدد موقع الدولة بالنسبة لكروية الأرض ،

أى موقعها بالنسبة لكل من خط الطول الرئيسى (جرينتش) وخط العرض الرئيسى (خط الاستواء) ، وإذا كانت خطوط الطول أقل أهمية من خطوط العرض فيما يتعلق بثروة الأمم من حيث الزراعة ، وذلك لأن امتداد الرقعة المكانية لاية دولة على عدد كبير من دوائر أو خطوط العرض يعنى تعددا فى الأقاليم المناخية ويؤثر ذلك بدوره على غنى الحياة الطبيعية (الغابات) والحياة الزراعية أيضا إلا أن خطوط الطول أكثر أهمية من مجرد اختلاف التوقيت بين كل خط وآخر بأربعة دقائق وذلك لأن تعدد خطوط الطول فى الدولة يعنى بصورة أخرى امتدادا مكانيا أكبر ، وقد يحمل ذلك فى حد ذاته غنى فى بعض مصادر الثروة المعدنية كما أن وجود دولة فى منطقة معتدلة المناخ وتمتد طوليا على رقعة كبيرة قد يكفل لها إنتاجا زراعيا وفيرا أيضا ، وإذا كانت مراكز القوة الدولية فى عالم اليوم ترتبط بالمنطقة المعتدلة الباردة وإلى حد ما بالمنطقة المعتدلة الدفيئة ، فإن مراكز القوة فى العالم كانت فى الماضى أكثر ارتباطا بالمناخات الدفيئة والمدارية ، ولعل ارتباط حضارات العالم القديم بأودية الأنهار فى كل من مصر والعراق والهند والصين يبين لنا أن الانسان كان فى حاجة إلى بيئة توفر له كلا من الحماية الطبيعية التى تقترب بالعزلة النسبية ، والمناخ الذى يكفل قدرا أكبر من الدفء ، وذلك لأن حيلة الانسان لم تكن قد تقدمت بعد ، ولم يكن قد تقدم فى مجال التكنولوجيا بما يكفل له التحرر النسبى من المناخ ، وقد وفرت له البيئات السابق ذكرها فى مصر والعراق والسند والصين مناخا طيبا طول العام بالإضافة إلى أن الصحارى قدمت سياجا طبيعيا يحمى الحضارات الوليدة .

وإذا كان التقدم التكنولوجى قد جعل الإنسان يتحرر نسبيا من المناخ ، فإن من سمات المجتمع العالمى أن كلا من المنطقة الاستوائية الحارة والمنطقة القطبية الشديدة البرودة لا توجد فى أى منهما دول قوية ، ولا توجد فيهما مجتمعات متقدمة ويرتبط ذلك فى جزء كبير بصعوبة ظروف العمل لقسوة المناخ ، وتطرفه

إما بالحرارة الشديدة المجهدة أو بالبرودة المعوقة للنشاط والجهد البشرى ، وتشترك كل من المنطقة الاستوائية والمنطقة القطبية فى أن الدول التى تسيطر على الحياة الاقتصادية والمشروعات الصناعية واستغلال الموارد الطبيعية فيهما تعتمد إلى حد كبير على رؤوس أموال وإدارة من العروض الوسطى ، وقد يرتبط ذلك بالاستعمار ؛ كما أنه قد يرتبط فى حالة المنطقة القطبية بأن الدول التى تسيطر على هذه الأجزاء التى تصعب فيها الحياة تمتد رقعتها حتى العروض الوسطى ، والمناطق التى تطل على المحيط المتجمد الشمالى فى كل من أوراسيا وأمريكا الشمالية تقسمها دول لها جهة على هذا المحيط ولكنها تمتد إلى الجنوب حتى المناطق المعتدلة .

وعادة ما يعبر عن الموقع الفلكى بذكر خطوط ودوائر العرض التى تحد أقصى امتداد مكائى للدولة فى الاتجاهات الأربعة وبذلك فإن موقع مصر الفلكى يتحدد بأنها تقع بين خطى طول ٢٥° و ٣٦° شرقا وخطى عرض ٢٢° و ٣٠° ٣١° شمالا ، وإيران تقع بين خطى طول ٤٤° و ٦٣° شرقا وخطى عرض ٢٥° و ٤٠° شمالا ، ولكن فى أحيان أخرى يكتفى بذكر خط الطول وخط العرض لمركز الدولة الجغرافى ، وبذلك يصبح المركز الجغرافى لمصر هو خط طول ٣٠° شرقا وخط عرض ٢٧° شمالا وإن لم تكن هناك قيمة لهذا المركز الجغرافى فهو يقع فى منطقة صحراوية غير مأهولة بالسكان بعيدا عن المعمور المصرى ، وبالنسبة لإيران يصبح مركزها الجغرافى خط طول ٥٣° شرقا وخط عرض ٣٣° شمالا ، أما فى حالة الدويلات الصغيرة مثل الفاتيكان فإن موقعها يحدد بأرقام مفردة هى ٤٣° ٤١° شمالا ، ١٢° شرقا .

(ب) الموقع بالنسبة للبحار أو القارات : وهو يتعلق بقارية الدول أو بحريتها والدول البحرية هى التى يوجد لها اتصال مباشر بالبحر ، أما الدول القارية فهى التى لا توجد لها منافذ تؤدى إلى البحر ، وفى معظم فترات التاريخ كانت القوى

الكبرى بحرية بدرجة أو أخرى منذ أن أستغل الانسان قوة الرياح فى دفع الشراع حتى أصبحت السفن تستخدم الوقود الذرى فى حركتها على البحار والمحيطات ، ومن بين قوى العالم المعاصر الكبرى فإن روسيا - تمثل قوة برية أكثر منها قوة بحرية ، وإن كانت السنوات الاخيرة قد شهدت نموا كبيرا فى البحرية الروسية ، وربما يرجع عدم إطلاق صفة « دولة بحرية » على الاتحاد السوفيتى السابق إلى انه على الرغم من أنه يطل بسواحل طويلة أكثر من معظم اقطار العالم فإن السواحل والبحار التى يطل عليها تتجمد فى فترة طويلة من السنة وقد حاول الاتحاد السوفيتى السابق كما حاولت روسيا من قبل كثيرا - الوصول إلى البحار الدافئة ليتحرر من القارية التى يعانى منها .

وتختلف درجة القارية أو البحرية من دولة إلى أخرى ، فإن الدول التى الجزر تتكون من مجموعة من الجزر دول بحرية من الدرجة الأولى لأن البحار تحيط بها ، ويكون ذلك عنصرا رئيسيا من عناصر اهتمامها بالبحر وقد تشترك معها فى هذه الميزة بعض الدول التى تتكون من أشباه جزر ومن القسم الأول كل من بريطانيا واليابان حيث تتكون كل منهما من عدة جزر وتهتمان بالأساطيل التجارية والبحرية كما أن كلا منهما تقع على محيط واسع تطل عليه كثير من الدول الهامة ، وإن كانت أهمية المحيط الأطلنطى تفوق الآن أى مسطح مائى آخر وذلك لأن ٨٠ ٪ من تجارة العالم التى تنقل على الماء تتم على مياه هذا المحيط ، أما المحيط الهادى فعلى الرغم من أنه أكبر المسطحات المائية فى العالم فإنه لا ينتقل عليه سوى ١٠ ٪ من التجارة العالمية التى تستخدم السفن فى نقلها ، ولكن قد يتغير ذلك فى يوم ما إذا ازدادت أهمية الدول التى تقع على المحيط الهادى عما هى عليه الآن ، وإذا قدر لها ان تشارك بقدر أكبر فى السياسة والتجارة العالمية ، وهو أمر قد يحدث فى القرن المقبل .

وأما الدول التى تتكون من أشباه جزر فمن أمثلتها اليونان وإيطاليا وقد

لعبتا دورا هاما فى فترات سابقة من التاريخ - كقوى عالمية - وكل من الدول المكونة من جزر وأشباه جزر تكون عادة أكثر حظا من الدول التى تطل على بحر واحد أو على بحرين خاصة إذا كانت تطل على بحار دفيئة . ومن الأمور الهامة أن الحدود البحرية تكون عادة حدودا من الدرجة الأولى نظرا لعدم وجود جيران يمكن أن يحتكوا احتكاكا مباشرا ، وحتى النزاع على المياه الإقليمية فى البحر يكون أقل حدة من النزاع على المناطق البرية فى حالة الحدود المشتركة ، ولا شك فى أن من الأمور الهامة أيضا فيما يتعلق بالدول التى تطل على البحار ، أن البحر يمثل مصدر ثروة كبيرة من حيث استغلال الموارد المائية من أسماك وأملاح ومواد كيميائية مختلفة ، وبعض الدول البحرية تشكل هذه المصادر الطبيعية أكبر قدر من دخلها القومى .

والدول البرية هى الدول التى تقع كلها فى مناطق قارية دون أن تكون لها سواحل أو أن تطل على بحار وتسمى فى هذه الحالة دولا داخلية ومن امثلتها كل من دولتى التشيك والسلوفاك وسويسرا فى أوربا وكل من جمهورية مالى وبركينافاسو فى إفريقيا وبوليفيا فى أمريكا الجنوبية وأفغانستان فى آسيا ، وهذه الدول تضطر إلى أن تمر تجارتها عبر دول أخرى مجاورة ويوجد ذلك كثيرا من المشكلات أحيانا ، كما أن أمثال تلك الدول الداخلية كثيرا ما تعاني من قلة فرص التطور الاقتصادى وهى مضطرة إلى مسايسة جيرانها أو الاحتفاظ بقوة عسكرية كبيرة تحرس حدودها من كل ناحية .

والدول المكونة من أشباه جزر أو من مناطق قارية كبيرة داخلية تكون لها حدود مشتركة مع غيرها من الدول وكثيرا ما تكون الحدود البرية مناطق للنزاع وإن كانت الحدود الطويلة لا تعنى مشكلات دائمة فى كل الأحوال فالحدود بين كل من كندا والولايات المتحدة من أطول الحدود البرية ، ومع ذلك فهى أكثر الحدود استقرارا ، ولا تكاد توجد حراسة على أى جانب من جانبي الحد السياسى ، ولكن ذلك المثال لا يتكرر كثيرا .

وتوجد أكثر من وسيلة لقياس مدى قارية الدولة أو بحريتها فمن هذه الوسائل إيجاد نسبة بين طول الحدود السياسية البرية والحدود البحرية ، وإن كانت هذه الوسيلة لا تأخذ في حسابها طبيعة الحدود فحدود روسيا مثلا طولها أكثر من ٦٠.٠٠٠ كيلو متر وتؤلف الحدود البحرية أكثر من ٦٥ ٪ من طول هذه الحدود ومع ذلك فإن قيمة تلك الحدود البحرية محدودة ، بينما كل من النرويج واليونان يظهران غمطا آخر يتمثل في الاتجاه البحرى ، فبالنسبة للنرويج كان الساحل والبحر أكثر اجتذابا للنشاط البشرى من الجبال التى تمثل الظهير البحرى ، وأما فى اليونان فقد لعبت البيئة الجبلية الطاردة دورا حاسما فى التوجيه البحرى منذ العصور الكلاسيكية التى كونت فيها دويلات مدن بحرية بالدرجة الأولى ، وعلى العكس من ذلك نجد أن دولة مثل فرنسا ليست دولة بحرية بنفس الدرجة التى تتناسب مع طول سواحلها ووجودها على أكثر من جبهة بحرية (البحر المتوسط والمحيط الاطلنطى) ، ويرجع سبب ذلك إلى أن البيئة القارية فى فرنسا ، كانت معطاءة ولعل ذلك يبين أن درجة الأجتذاب للنشاط القارى كانت أكثر من درجة اجتذاب البحر ، ورغم ذلك فقد نافست فرنسا بريطانيا فى المجال البحرى ،

ومن الوسائل الأخرى لقياس مدى القارية عدد الدول المجاورة فالدول الجزرية ليس لها جيران يشتركون معها فى الحدود إلا إذا كانت إحدى الجزر مقسمة إلى أكثر من دولة ، ومن هذه الدول أندونيسيا وماليزيا والفلبين مثلا بينما يجاور الاتحاد السوفيتى السابق اثنا عشر جارا يشاركونه فى الحدود السياسية (وهى كوريا الشمالية ، الصين الشعبية ، منغوليا ، أفغانستان ، إيران ، تركيا فى آسيا ، فنلندا ، النرويج ، بولندا وتشيكوسلوفاكيا السابقة ، رومانيا والمجر فى أوروبا ، ومن المفروض أن زيادة عدد الدول المجاورة تعنى - نظريا على الأقل - احتمالات أكبر للمشكلات وقابلية أكثر للاختراق فى حالة الحرب نظرا لتعدد الجبهات ، وفى الحرب العالمية الثانية كان لألمانيا أحد عشر جارا ، وكانت حدودها

السياسية مع هذه الدول غير ثابتة أو مرضية ، وبالإضافة لذلك فقد كان جزء منها وهو بروسيا الشرقية منفصلا عن بقية الكتلة الرئيسية لألمانيا ، وذلك لوجود الممر البولندى .

ويدخل فى أهمية المواقع البحرية المناطق ذات الأهمية الاستراتيجية التى تمثل أعناق الزجاجات فى المسطحات المائية ، وهى المضائق والقنوات والقواعد والجزر التى تمثل محطات تتوسط المسطحات المائية والبحرية ، ومن أشهر هذه المواقع الاستراتيجية وأكثرها أهمية مداخل البحر المتوسط والطريق البحرى عبر قناة السويس ، وهى جبل طارق ومالطة ، كريت ، قبرص ، قناة السويس ، باب المندب ، ومنطقة المضائق التركية التى تمثل همزة الوصل بين الاتحاد السوفيتى السابق ، والبحر المتوسط وغيره من البحار الدقيئة ، وبالنسبة لجبل طارق فإنه يمثل قاعدة بحرية ذات ميناء عميق ولا يبعد الطرف الجنوبى منها وهو رأس أوربا عن أقرب نقطة من الساحل الإفريقى سوى ٢٥ كيلو مترا ، أما مضيق باب المندب فإنه يمثل عنق الزجاجاة الجنوبى لطريق الملاحة بين المحيطين الهندى والأطلسى ، وأقرب نقطتين فى باب المندب بين القارتين الآسيوية والإفريقية عرضها ٣٢ كيلو مترا ، وهى المسافة بين رأس المنهال على الساحل الآسيوى ورأس سيان على الساحل الإفريقى ، أما البسفور فهو مضيق صغير يربط بين البحر الأسود وبحر مرمرة وطوله ٣٢ كيلو مترا ويتراوح عرضه ما بين ٨٠٠ مترا و ٤,٤ كيلو مترا ، أما الدردنيل فطوله ٦٤ كيلو مترا وعرضه يتراوح بين ١,٢ كيلو مترا و ٦,٤ كيلو مترا وهو يربط بحر مرمرة ببحر إيجه ولو افترضنا أن قوة ما سيطرت على هذه الممرات الحيوية كلها لتحول البحر المتوسط إلى بحيرة مغلقة ، ولعل تتبع كثير من أوجه النشاط البحرى لأساطيل الدول الكبرى فى هذا البحر يبين مدى قيمة الوجود الفعلى فيه ، وخاصة فى فترة الحرب الباردة التى امتدت بعد انتهاء الحرب

العالمية الثانية واستمرت حتى تفكك الاتحاد السوفيتى ، وقد أضاف قيام اسرائيل مشكلات أخرى باعتبارها ركيزة للغرب ضد العالم العربى ، وكثيرا ما هددت سفنها الحربية لبنان على نحو خاص .

ومع أن وجود جبهة بحرية أمر هام جدا لتجارة الدولة وقوتها وفرصة ليكون لديها أسطول تجارى أو حربى إلا أن ذلك لا ينطبق على كل الأحوال ، ففي بعض الدول توجد سواحل قليلة الأهمية وهى ما يسمى بالسواحل الطاردة ، والسواحل الطاردة هى التى لا يوجد لها ظهير غنى يمكنها الاعتماد عليه فى مصادر حياتها ومن الطبيعى أن يكون لكل ميناء ظهير يخدمه ويزوده بالتموين اللازم والسلع والمنتجات التى يمكن تصديرها منه فإذا لم يتوفر ذلك ضعفت قيمة الميناء كما أن وجود ساحل فقير من حيث الحياة البشرية والزراعية والمعدنية لا يقل عنه ان يكون الساحل متضررا تشرف عليه الصحراء مباشرة أو ترتفع إلى جانبه الجبال المرتفعة ، فمثلا تملك إيران وبيوجوسلافيا السابقة سواحل ولكنها طاردة فقيرة للغاية وبطل الاتحاد السوفيتى السابق فى شماله على محيط ولكنه متجمد كما أن حالة البحر تحدد صلاحية قيام الموانى التى تعتبر وسيط نقل التجارة من الداخل أو إليه ، ونجد أمثلة فى غرب افريقية حيث الساحل طارد لا تتوفر فيه الأماكن الصالحة لرسو السفن وإقامة الموانى ، ولهذا فإن معظم الموانى الهامة التى توجد على هذا الساحل موانى صناعية تحتاج إلى حواجز للأمواج وتطهير دائم حتى تحتفظ بأعماق صالحة لاستقبال السفن ذات الغاطس الكبير ، وهذا على العكس تماما من بعض المناطق الغنية بموانئها الطبيعية مثل القارة الأوربية عموما ، التى تمتاز بأكبر نسبة من السواحل بالقياس إلى مساحتها ، وذلك لطول سواحلها تبعا لتعدد البحار الداخلية وأشباه الجزر بها ، بل إنها تعتبر كلها شبه جزيرة للقارة الآسيوية .

ولبعض الدول سواحل قصيرة للغاية إذا قورنت بمساحتها أو طول حدودها ، فطول الجبهة البحرية للأردن ٣٢ كيلو مترا على حين يسغ طول الحدود الأردنية ٢٢٠٠ كيلو مترا أى أنه يوجد كيلو متر من الساحل فى مقابل كل ٦٩ كيلو مترا من الحدود البرية ، فإذا كانت مساحة الأردن ٩٧,٧٤٠ كيلو مترا مربعا ، وتبلغ مساحة المعمر الأردنى ٢٢,٠٠٠ كيلو مترا مربعا (الباقي تشغله الصحارى والسبخات والمستنقعات فى غور الاردن) ، فإن كل كيلو متر من الحدود البحرية يقابل ٢٠٥٣ كيلو مترا مربعا من المساحة الكلية أو ٦٨٨ كيلو مترا مربعا من مساحة المعمر الأردنى .

وليست العراق بأفضل حالا من الأردن فإن طول سواحلها لا يزيد عن بضع عشرات من الكيلو مترات ، مع أن مساحتها تقترب من نصف مليون كيلو متر مربع ، ولكن هذه المساحة الكبيرة ليس لها سوى عنق زجاجة ضيق تتصرف منه تجارة العراق البحرية ، وبعض أسباب التوتر بين العراق والكويت ترجع إلى الرغبة فى توسعة الجبهة البحرية للعراق مما أدى إلى غزوها للكويت فى أغسطس عام ١٩٩٠ واحتلال أرضها حتى ٢٦ فبراير ١٩٩١ .

ولعل حالة العراق تشبه كثيرا حالة زائير فى إفريقية ، وإن كانت ثمة بعض الفروق وزائير هى ثلاثة الأقطار الإفريقية من حيث المساحة بعد السودان والجزائر حيث تصل مساحتها إلى ما يقرب من ٢,٤ مليون كيلو متر مربع ، ولكن طول الساحل لا يتعدى ٣٥ كيلو مترا ، وفى عام ١٩٢٧ حدث تبادل أرضى بين زائير (الكونجو البلجيكي فى ذلك الوقت) وأنجولا (التى كانت مستعمرة برتغالية فى ذلك الوقت) ويمقتضى هذا التبادل تنازلت الكونجو عن مساحة ٣٥٠٠ كيلو متر مربع إلى إنجولا فى مقابل ثلاثة كيلو مترات مربعة فقط تمل ظهير مدينة متادى ، وأدى ذلك إلى توسعة الظهير فى منطقة الميناء والسكك الحديدية ، ومن الطريف أن معظم إنتاج أنجولا من الماس ، وهو يحتل المرتبة الثانية فى صادرات انجولا ، ينتج من الأرض التى تنازلت عنها « الكونجو » .

وأراضى زائير تمتد على الضفة اليسرى من المصب الخليجى لنهر الكونغو أسفل متادى ، أما فى شمال المصب (الضفة اليمنى) فهى أراضى كابندا ، وهى تابعة لأنجولا وإن كان يمر زائير إلى البحر يفصل كابندا عن بقية أنجولا .

أما الدول كاملة القارية أى الدول الداخلية التى ليست لها سواحل فإنها تكون غالبا تحت رحمة جيرانها من الدول ذات السواحل ، فيما يتعلق بنقل السلع والمتاجر والأشخاص ، وطالما كانت العلاقات بين الدول المتجاورة طيبة ، فإن الأمور تسير دون مشكلات ، ولكن أى توتر قد ينعكس أثره على توقف النقل عبر أراضى الدولة الساحلية إلى الدولة الداخلية ، ومن أمثلة الدول الداخلية فى إفريقيا كل من مالى ، وبركينافاسو ، النيجر ، تشاد ، افريقية الوسطى ، أوغندا ، راواندا ، بورندى ، مالاوى ، زامبيا ، زيمبابوى ، بوتسوانا ، سوازيلاند ، ليسوتو وفى بعض الأحيان تتوتر العلاقات بين أوغندا وكينيا أو بين تنزانيا وزامبيا فىكون لذلك أثره على تجارة الدول الداخلية ووصول الإمدادات من التموين والوقود إليها .

أما فى أوربا فإن من الدول الداخلية بها لكسمبورج ، سويسرا ، وجمهورية التشيك وجمهورية سلوفاكيا ، النمسا ، المجر ، وبعض الدويلات الصغيرة مثل أندورا ، وفى بعض الحالات لا يكون الموقع الداخلى بالغ السوء فسويسرا علاقاتها طيبة مع كل جيرانها وهى تتحكم فى عدد من الممرات الجبلية التى تصل بين شمال أوربا وجنوبها وينتقل عبرها الناس والسلع ، ولكن مثال سويسرا لا يتكرر كثيرا .

أما فى القارة الآسيوية فإن من الدول الداخلية بها أفغانستان والجمهوريات الإسلامية الروسية ومنغوليا ونيبال وبوتان ولاوس وفى العالم الجديد توجد دولتان داخليتان فى أمريكا الجنوبية وهما باراجواى وبوليفيا ، وتوجد بعض المحاولات من أجل إيجاد مخرج على البحر لبوليفيا إما عبر أراضى شيلى أو بيرو ، وكانت شيلى

قد استولت على أراضى من كل من بوليفيا وبيرو فى عام ١٨٨٠ ، ويوجد اقتراح تقدمت به بيرو فى عام ١٩٧٧ تحصل بموجبه بوليفيا على ممر يبلغ اتساعه ٨,٥ ميلا (١٣,٦ كيلو مترا) يبدأ على بعد ٢ ميل إلى الشمال من الخط الحديدى الذى يربط لاباز عاصمة بوليفيا بميناء أريكا على المحيط الهادى ، على أن يتم إنشاء منطقة دولية تشرف عليها كل من شيلى وبوليفيا وتتولى إدارة ميناء أريكا، من الجدير بالذكر أن بوليفيا كانت فى الماضى تتصل بالبحر، إلى أن استولت شيلى على جزء من أراضيتها وأرأى بوليفيا فى « حرب الباسفيك » التى امتدت بين عامى ١٨٧٩ ، ١٨٨٤ ، ولم يعد ثمة اتصال بين بوليفيا والبحر إلا من خلال الخط الحديدى الذى يصل العاصمة بميناء أريكا والذى افتتح فى عام ١٩١٣ ، ولا تزال حكومة بوليفيا ترى أن حقها الشرعى يتمثل فى الوصول إلى البحر .

وفى عام ١٩٧٦ اقترحت حكومة شيلى أن تحصل من بوليفيا على قطعة من الأرض البوليفية التى تمتاز بغنى مواردها المعدنية فى مقابل إعادة المنفذ البحرى إلى بوليفيا ، كما ظهر اقتراح آخر بأن تشتري بوليفيا الأراضى التى يمر بها الخط الحديدى من لاباز إلى أريكا فى الأجزاء الواقعة فى شيلى حاليا ، وعلى أى حال فإن ثمة كثيرا من الجهود لحل مشكلة بوليفيا الخاصة برغبتها فى العودة إلى منفذ صغير على ساحل المحيط الهادى .

(ج) الموقع النسبى : ويعبر عنه أحيانا بالموقع الفعال أو الموقع بمعناه الصحيح ، وهو يتعلق بوقوع دولة أو مكان بالنسبة لخطوط المواصلات العالمية ومدى أهميته فى الحركة التجارية أو حركة الجيوش المتحاربة ، وعلى سبيل المثال فإن دولة مثل بريطانيا ثابتة فى موقعها الفلكى منذ بدء الحياة وهى لا زالت كذلك أيضا تقع من حيث الموقع بالنسبة لليابس والماء (البحرى والقارى) فى مقابل القارة الأوربية وتطل على كل من بحر الشمال والقنال الانجليزى كما أنها تطل أيضا على المحيط الأطلنطى ، ولكن الموقع النسبى لبريطانيا تغير كثيرا بعد

حركة الكشف الجغرافية وكشف العالم الجديد عما كان تنبئ قبيل ذلك ، فقبل كشف العالم الجديد كان الموقع النسبي لبريطانيا متطرفا لأنها كانت تقع على هامش العالم المعمور الذى كان يتكون فى ذلك الوقت من كل من قارات آسيا وأوروبا وإفريقيا وكان المحيط الأطلنطى يسمى « بحر الظلمات » حيث كان محيطا مجهولا لا تجسر السفن على الإبحار فيه ، وكان البحر المتوسط - الذى يتوسط العالم القديم المعروف حينئذ يمثل محور النشاط والحركة وعليه تقوم مراكز الثقل الحضارى والتجارى ولكن بعد حركة الكشف الجغرافى والهجرة العظيمة إلى العالم الجديد وتعمير قاراته بالسكان وتطور فن الملاحة وتحول المحيط الأطلنطى إلى محيط متوسط بين قارة أوروبا وأمريكا الشمالية وبعد أن أصبح معظم تجارة العالم البحرية ينقل عبر ذلك المحيط تغير الموقع النسبى لبريطانيا وأصبحت فى مركز متوسط بالنسبة لمراكز القوة ، وفى موقع مسيطر على طريق من أهم طرق التجارة العالمية .

ومن المواقع الهامة جدا من حيث الموقع الفعال - موقع الوطن العربى الذى كان بالغ الأهمية على مر العصور لأهميته فى ظل سيادة البحر المتوسط على النشاط التجارى لأنه يمثل السواحل الشرقية والجنوبية لهذا البحر وقد تمكنت قوى الوطن العربى فى بعض فترات التاريخ من السيطرة على بعض الأجزاء المطلة على السواحل الشمالية لهذا البحر حين قامت الأندلس فى شبه جزيرة أيبيريا وحين سيطرت القوى العربية والإسلامية على جزر شرقى البحر المتوسط وبعض أجزائه البرية فى شرق أوروبا ، ثم اضافت قناة السويس أهمية أخرى لموقع الوطن العربى الفعال وذلك لأنها قصرت المسافة كثيرا بين أوروبا وجنوب شرق آسيا وجعلت نقل المواد الخام من آسيا والمواد المصنوعة من أوروبا أرخص تكلفة من الدوران حول رأس الرجاء الصالح ، كما أضاف تدفق البترول العربى بكميات كبيرة أصبحت تزيد

على ٤٠ ٪ من إنتاج العالم حاليا ، هذا بالإضافة إلى أكثر من نصف الاحتياطي العالمي منه ، وموقع الوطن العربي في منطقة خطوط الحركة والمواصلات العالمية في الحرب والسلام ، وكل ذلك أدى إلى تزايد الأهمية النسبية للوطن العربي حتى أن بعض المعارك الحاسمة في الحرب العالمية الثانية - العلمين - دارت رحاها على الأرض العربية وهذا يبين بصورة واضحة لماذا يتزايد الصراع على الوطن العربي منذ الحملات الصليبية حتى اغتصاب فلسطين وكل من حرب السويس عام ١٩٥٦ وما عرف بحرب الشرق الأوسط في يونيو ١٩٦٧ وبعض الحركات الاستعمارية الأخرى مثل انزال القوات الأمريكية في لبنان عام ١٩٥٨ ومحاربة النظام الجمهوري في اليمن ، والتدخل الأمريكي في حرب الخليج وفي ليبيا ، ووجود الأساطيل الأمريكية في كل من البحر المتوسط والخليج العربي ، كل ذلك يرتبط بأهمية الموقع النسبي للوطن العربي .

ومن الأمور الهامة التي ترتبط بالموقع النسبي ما يرتبط بتقدم المواصلات وفنون الحرب وتغير الاستراتيجية والمثال الذي نضربه لذلك هو ألاسكا ، فقد كانت تابعة لروسيا ولكنها كانت قليلة الأهمية من حيث الثروة والموقع وقد دعا ذلك روسيا إلى بيعها في عام ١٨٦٧ للولايات المتحدة الأمريكية بمبلغ سبعة ملايين دولار تقريبا وربما كان ذلك يعتبر صفقة رابحة في تلك الأيام حين لم تكن ألاسكا سوى منطقة ذات مناخ شديد البرودة وموارد فقيرة للغاية ، ثم ما لبثت أهميتها أن زدادت لا بسبب اكتشاف الذهب في وادي نهر يوكون أو البترول فيما بعد ولكن لأسباب استراتيجية تتعلق بالموقع النسبي الذي أصبح مؤثرا نظرا لتقدم وسائل المواصلات وخاصة الطيران ، ولما كانت ألاسكا تقابل السواحل الروسية حيث لا يفصل بينها وبين روسيا سوى مضيق برنج الضيق فقد أصبحت ألاسكا ذات قيمة حربية كبيرة كقاعدة متقدمة للولايات المتحدة ، ولا شك في أنه لو أن روسيا كانت

تدرى فى تلك الأيام ما يمكن أن يصيب العلاقات المكانية من تغير نتيجة لشورة المواصلات وما كان ما يمكن أن يقوم بينها وبين الولايات المتحدة من تنافس على القوة والسيطرة حتى أن كلا منهما تزعمت أحد المعسكرات الدولية ، لو أن روسيا كانت تدرى ذلك - بمعنى آخر لو أنها أدركت أهمية الموقع النسبى لألسكا لفكرت كثيرا قبل بيعها ، بل لما باعتها ، ولعل ذلك كان يحدث آثارا استراتيجية مختلفة تماما ، وعلى الرغم من تطرف الموقع الفلكى لألسكا فانها تمثل الآن منطقة مخدومة تماما بالمطارات المجهزة بأحدث الوسائل لخدمة الطيران العسكرى بصفة خاصة .

ويدخل فى الموقع النسبى ما يمكن أن نطلق عليه الموقع من وجهة نظر الاستراتيجية الكوكبية ، وهو الموقع الذى يأخذ فى الاعتبار مدى التقدم التكنولوجى فى مجال القوة العسكرية ، وبصفة خاصة فى الأسلحة الاستراتيجية ذات المدى البعيد مثل الصواريخ عابرة القارات والغواصات النووية والطائرات المقاتلة التى تفوق سرعتها سرعة الصوت .

ومن المعروف أن هذه الأنواع من الأسلحة ليست متاحة سوى لعدد قليل من دول العالم فلا زال عدد الدول التى تملك أسلحة نووية يقل عن العشر ، والموقع من وجهة نظر الاستراتيجية الكوكبية يقرب فى بعض ملامحه من النماذج الرياضية التى شاع استخدامها فى فروع الجغرافية المختلفة لأنه يقوم فى جزء منه على الفروض الاحتمالية وبناء هيكلا طبقا للمعطيات فى هذه الفروض .

فإذا افترضنا مثلا أن الدول الأوربية يمكنها فقط أن تشن حربا على بعضها البعض ، أولا بواسطة الجيوش البرية ، ثم ثانيا بواسطة الأساطيل البحرية ، وهنا تدخل انجلترا كدولة بحرية وربما تكون أقوى الدول الأوربية بحريا ، ثم ثالثا

باستخدام الأسلحة الصاروخية وهنا تدخل روسيا التى تفوق غيرها من الدول الأوربية فى هذا المجال .

ومن هنا يمكن القول بأن هناك مفهوما جديرا لمدى قرب بعض الدول من بعضها الآخر ، فالدولة الأكثر تقدما أكثر قربا وهى جارة لكل دول العالم دون أن تكون كل دول العالم جيرانا لها .

ويتصل بعامل القرب فكرة أخرى هى المسافة أو قياس الأبعاد ، وحتى وقت قريب كان الإنسان يسكن سطح الأرض ونادرا ما يستخدم بعداً آخر غير المساحة ، لهذا كانت الدول أو الوحدات السياسية ذات بعدين ، وهذا يعنى أن الحدود السياسية ليست سوى خطوط على السطح وكل ما يقع داخل هذه الخطوط يكون بعيداً عنها نحو المركز ، ولكن باختراع وسائل الاتصال السريع أمكن نقل مبادىء الحرب إلى حدود جديدة ، فهى تصل من الدولة القوية إلى أى مكان بعيد ، وباختراع الصواريخ أصبحت الوحدات السياسية ليست مجرد مساحات على السطح ولكنها أصبحت جام لها أبعاد ثلاثة ، وكل من الأمريكين والروس يعيشون الآن فعلا فى عالم له ثلاثة ابعاد ، ولم تعد الحدود مجرد خطوط ولكنها أصبحت مساحات ومناطق ، ولم يعد الداخل هو الذى يبعد عن خط الحدود ، ولكنه أصبح يتعلق أحيانا بالبعد عن سطح الأرض وليس فوق سطح الأرض ، حيث توجد الآن حفر فى باطن الأرض تخزن فيها الأسلحة وكأنها مدن كاملة ، وأصبح السكان الآن يعيشون جميعا على الحدود ، وأصبحت كل أجزاء الدولة الآن معرضة لما كانت حدود الدول معرضة له فى الماضى من حيث تأثير المدفعية .

ولنتصور مدى قرب العالم من نفسه فعلينا أن نتخيل أن الدول تنتظم على شكل خط وفى مثل تلك الحالة فإن هذا العالم « الافتراضى » يمكن أن يطلق عليه

صفة الكوكب الخطى ، وفى تلك الحالة فإن كل دولة سيكون لها اثنان فقط من الجيران ، على فرض عدم وجود محيطات أما على السطح المستوى الذى يأخذ الشكل المساحى فإن الوحدات السياسية تكون أقرب إلى بعضها البعض ، أما فى الواقع الذى يتمثل فى أن الأرض كرة فإن المسافات والوحدات السياسية تكون أقرب إلى بعضها البعض ، فإن أبعد الأقاليم لا يبعد بأكثر من نصف المسافة فيما لو كانت الأرض ذات شكل مسطح ويرتبط فهم ذلك بدرجة أكبر بدراسة المساقط .

ومن الجغرافيين الأمريكيين من يقول تعبيراً عن هذا النمط من المواقع إن الطريقة التى يرسم بها العالم وتقسم فيه القارة الآسيوية ويظهر فيه المحيط الأطلنطى كاملاً ، يؤدى إلى عدم فهم كثير من جوانب الهجرات البشرية عبر القارات ، وإن الروس لا يبعدون عن الشواطىء الأمريكية ٩٠ ميلاً ، ولكنهم حرفياً « فوق » الولايات المتحدة وكذلك الولايات المتحدة بالنسبة لروسيا فهى « فوق » الاتحاد السوفيتى السابق نظراً لأن كلا منهما يحتل سماء الآخر ، ويمكن تبادل التخريب والتدمير إلى عمق ١٥٠ متراً ليشمل التدمير كل شىء فوق سطح الدولة الأخرى ، ونادراً ما يمكن أن توضح الخرائط ذلك ، ويرتبط هذا المفهوم بما يقال أحياناً عن « الحدود الآمنة » وهو مصطلح كثيراً ما تردده إسرائيل ولكن هل يمكن حقاً أن توجد حدود آمنة بالمعنى الدقيق اعتماساً على امتداد أرضى أكبر ؟ .

٢ - الحجم : Size

حجم الدولة أو مساحة رقعتها المكانية هو ثانى العوامل المكانية الهامة فى تقدير قوة الدولة ، وعلى الرغم من أنه لا يمكن القول بأنه توجد علاقة مطردة محتملة بين مساحة الدولة من ناحية قوتها وعظمتها من ناحية ثانية ، فإنه مما لا

شك فيه أنه يمكن القول بأنه كلما كان الامتداد المكاني للدولة كبيرا كلما ازدادت فرصتها في استيعاب عدد أكبر من السكان وفي أن تنوع بها الموارد الطبيعية وعلى ذلك فإن الاتساع المكاني يعنى فرصة أطيب لدولة مزدهرة سياسيا واقتصاديا ويصدق ذلك بصفة خاصة إذا تساوت الظروف والعوامل الأخرى والحقيقة أن بعض الدول ذات المساحة الصغيرة تلعب في الشؤون الدولية أدواراً أكبر من حجمها ، كما أن دولاً أخرى كبيرة المساحة ، إن لم تكن شاسعة المساحة ، تلعب في تلك الشؤون الدولية دوراً يقل كثيراً عن حجمها ، وعلى سبيل المثال فإن كلا من السودان والجزائر والبرازيل وأستراليا دول كبيرة جداً في مساحة كل منها ، ولكن هل يمكن أن تقارن وزنها في السياسة الدولية بدول أصغر منها مثل بريطانيا أو اليابان أو ألمانيا .

ولقد كانت الدول الهامة والقوى الدولية في العصور القديمة ذات مساحات صغيرة إلا أنها كانت مزدهرة وتمثل وحدات سياسية واجتماعية واقتصادية فعالة في عصرها ، ويرتبط ذلك بأن هذه الدول كانت في فترة مبكرة من تاريخ البشرية حيث كانت للمساحة الصغيرة في ذلك الوقت ميزتها الكبيرة التي تساعد على تنمية روح الجماعة بدرجة أكبر مما لو كانت المساحة كبيرة ، ومن أمثلة تلك الدول المزدهرة الدولة المصرية القديمة التي قامت على ضفاف نهر النيل وكانت الصحراء تمثل منطقة أمن وحماية طبيعية ساعدت المجتمع في مصر القديمة على أن يتطور وينتج ثماراً رائعة في أرقى حضارات العالم القديم وأسبقها ظهوراً ، وكانت كل من اسبرطة وأثينا أمثلة لمثل هذه المجتمعات الأولى ، وفي العراق قامت في سهول دجلة والفرات ثلاثة دول قوية مؤثرة : آشور وبابل وكالديا ، وعلى الرغم من أن العراق الحديثة تشمل أراضيها الآن أراضي هذه الدول الثلاث وتتبعها بحيث تشغل مساحة تزيد على عشرة أضعاف مساحة أي دولة من الدول الثلاث القديمة ،

فقد كانت كل واحدة من الدول القديمة أكثر تأثيرا في الشئون الدولية - في العصر الذي وجدت فيه واحد مما لا نجد عليه عراق اليوم ، ورغم الدعاية التي وصلت إلى حد المبالغة في قوة العراق ، فإنها تعرضت للهزيمة والحصار قاس عنيد وتعرض شعبها للعقاب الدولي إثر المحاولة الفاشلة لاحتواء الكويت .

ومع ذلك فإن كل القوى الكبيرة في عالم اليوم تقوم على مساحات واسعة لأن القوة في العصر الحديث ترتبط بالمساحة الكبيرة ففي وقت السلام تكفل المساحة الكبيرة قدرا أكبر من تعدد الأقاليم المناخية مما يعنى إمكان تعدد المحاصيل الزراعية كما أن الحجم يعنى بصفة عامة تعددا وتنوعا أكبر في الفرص أمام السكان من حيث مجالات النشاط الاقتصادي عما يكفله الحجم الصغير ، وفي وقت الحرب يسمح الامتداد الكبير واتساع الرقعة بالدفاع العميق فالصين لم تقهر قط على الرغم من أن بعض أجزائها خضعت للاستعمار الياباني فترة من الزمن وكذلك روسيا لم تتجح محاولات غزوها وذلك لأن الدفاع في العمق يمكن أن يمتص جهود الغزاة ، الذين لا يمكن لهم أن يقاوموا السكان إلى ما لا نهاية كما أن إطالة خطوط الإمداد والتموين يتضح بصورة أكبر كلما كانت أرض العدو بعيدة عن المنطقة التي تدور فيها الحرب .

وعلى العكس من كل من الصين وروسيا فإننا نجد مثالا في كل من بلجيكا وهولندا ، فعلى الرغم من أن الجيش الهولندي دافع عن بلاده دفاعا مجيدا وأبدى بطولة فائقة في الدفاع عنها ، إلا أن صغر مساحة هولندا لم يسمح لهذا الجيش بأن ينسحب حتى يعيد تنظيم قواته وتجهيزها لإعادة الهجوم واضطر بسبب ذلك إلى التسليم بعد أربعة أيام من الحرب ، وإسرائيل تعرف جيدا أن مساحتها الصغيرة لا يمكن لها أن تكون أرضا للدفاع ، لذلك فإنها تتخذ من هذه الرقعة أرضا للهجوم وتنقل في سرعة هائلة ميدان الحرب إلى خارج حدودها لأن صغر مساحتها لا يمكنها من التراجع وإلا سقطت في سرعة كبيرة مثل هولندا تماما .

وعمق المكان أو اتساع المجال لا يشمل اليابسة فقط ، ولكنه يمتد أيضا إلى
المساحات المائية والجزر التي تنتشر فيها وتلك الأخيرة تمثل القواعد التي يمكن
الانسحاب إليها وقت هجوم الأعداء كما يمكن اتخاذها قواعد للتأهب في حالة
الهجوم وفي الحرب العالمية الثانية كانت لليابان كثير من القواعد البحرية والجزر
التي احتلتها في المحيط الهادى حتى اذا انسحبت من واحدة تركتها إلى الأخرى
دون أن يؤثر ذلك على اليابان نفسها ولكن استخدام الولايات المتحدة للقنبلة
الذرية اضطر اليابان إلى الدفاع عن الوطن ثم الاستسلام وترك المناطق التي كانت
تمثل قواعد في فرموزا والفلبين وجزر ريوكيو .

ولكن إذا كانت المساحة الكبيرة تمثل عامل قوة فإلى أى حد يمكن للدولة أن
تكون كبيرة ؟ وهل لا يوجد حد لضخامة الحجم ؟

يمكن القول بأن الحجم الأنسب أو المثالى هو الذى تستطيع قوات الدولة
حمايته والدفاع عنه من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن هذا الحجم يختلف حسب
الموارد ومستوى معيشة السكان ودرجة النضج فى التطور التكنولوجى وفعالية
نظام النقل والمواصلات والإدارة ولعل من مشكلات الاتحاد السوفيتى السابق
بالإضافة إلى افتقاره إلى المياه الدفيئة حجمه الكبير للغاية ولا شك أن ذلك الحجم
الكبير تنتج عنه مشكلات كثيرة فى الإدارة قبل أن تتفكك وحدته والتي ينتظر أن
تزداد خلال العقود المقبلة ، وكانت أساليب النقل البرية تستغرق أياما متعددة بين
قسميه الآسيوى والأوربى كما كانت الصحارى الشاسعة والجبال العالية والجليد
تحتجز بعض الأجزاء وتعزلها .

ومن الدول الكبيرة بدرجة مفرطة أيضا البرازيل والواقع أن المنطقة الحية
الفعالة بها هى هضبة البرازيل ، أما المساحات الواسعة الفسيحة من حوض الأمازون

فلا يسكنها عدد مناسب من السكان ويبقى فى الأغلب الأعم خالية ينتشر فيها الفقر والمرض ، وربما كانت مدينة مناؤس هى الشذوذ الوحيد عن ذلك .

وكذلك كندا دولة فسيحة ولكن المنطقة المأهولة بالسكان فيها توجد فى جنوبها على طول حدها مع الولايات المتحدة الأمريكية مع استثناءات قليلة تمتد فيها مناطق المعمور إلى الشمال حيث توجد الموارد المعدنية والمائية أو الأراضى الزراعية فى الغرب الأوسط ومناطق الغابات المستغلة ، ثم تبقى المناطق الوسطى والشمالية من كندا صعبة الاختراق من غابات التاييجا أو التندرا ، حيث لا توجد الطرق المعبدة ، ولهذا كله تشكل الأراضى الشمالية المطلة على المحيط المتجمد الشمالى فى كل من كندا وروسيا مشكلات بالغة أمام الاستغلال الاقتصادى رغم احتمال الثروة بها .

ولا شك فى أن عدم كفاية طرق النقل وتخلفها يحول دون فعالية الحجم الكبير للدول المذكورة ، وإذا كان الاتحاد السوفيتى قد مد طرقه المائية والحديدية والجوية إلى الداخل واستطاع أن يوجد شبكة ناجحة من المواصلات بين ربوعه الداخلية فإن المهمة لا زالت شاقة أما دول مثل البرازيل والهند التى عليها أن تطور طرقها لتنضم إلى الدول القوية ، وفى حالة كل من الصين والهند فإن وزنها السكانى الكبير (الصين اكبر دول العالم سكانا والهند فى المركز الثانى مباشرة) يمكن فى المستقبل غير البعيد أن يحدث تحركا فى المركز السياسى والتجارى والتسويق من المحور الحالى الذى يوجد فى شمال المحيط الأطلنطى ليصبح فى المحيطين الهادى والهندي ، وكأن الدور الحضارى والسياسى والثقلى المادى فى دورة سينتقل فيها من البحر المتوسط مركز الحياة والحركة والنقل فى العالم القديم إلى المحيط الأطلنطى فى العالم المعاصر ، ثم إلى المحيط الهادى فى المستقبل وفى هذه الحالة فإن الحجم يمكن أن يؤثر بدرجة فعالة على الموقع النسبى ولكن ذلك

لا يمكن أن يحدث ما لم تحدث ثورة علمية وتكنولوجية هائلة فى كل من الصين والهند تلحقهما باليابان .

ويمكن قياس مدى الترابط بين مختلف أجزاء الدولة وهو مقياس لسهولة طرق النقل والمواصلات بين مختلف أجزائها ، ولذلك ميزته الكبرى فى التجارة والنقل والخدمات فى فترات السلم ، كما أن له أثره بالنسبة لخطوط الإمداد والتموين فى حالات الحروب ، وتستخدم لذلك مصفوف الترابط التى تقيس اتصال المدن والأقاليم فى الدولة ببعضها البعض بطرق سهلة وتعتمد على الاشكال البيانية واستخدام مقياس لبيان درجة الترابط أو الاتصال .

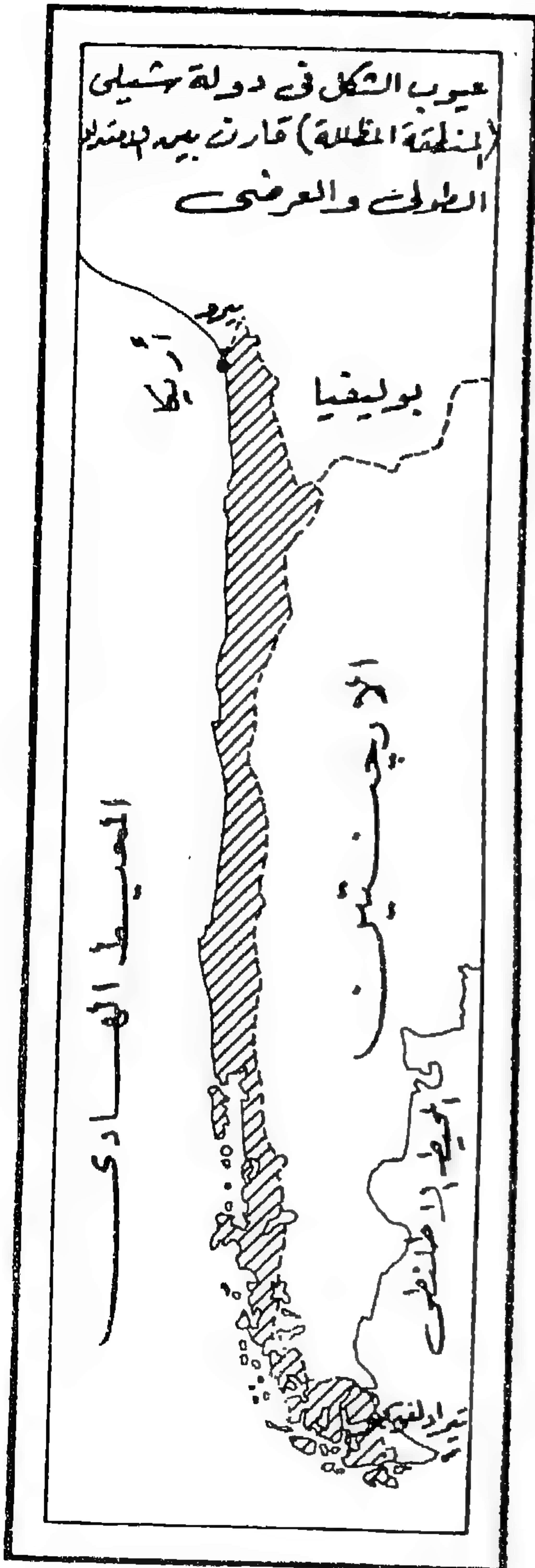
٣ - الشكل : Shape

الشكل المثالى للدولة من الناحية النظرية هو الدائرة المنتظمة التى تقع العاصمة فى مركزها أو بقية ، ويمكن تقدير مدى انحراف شكل أية دولة عن هذا الشكل النظرى بمقارنة طول حدود الدولة فى الواقع وعلى الطبيعة بطول حدودها فيما لو كانت مساحتها عبارة عن دائرة منتظمة وإيجاد معدل أو نسبة بين الرقمين وكلما كان المعدل منخفضا كلما كان ذلك يعنى أن الشكل يقترب من الشكل المثالى ، وكلما ارتفع كان دليلا على عدم انتظام الشكل ، وعلى شبييل المثال فإن قيمة المعدل فى حالة فرنسا هو ٢ وهى من أقرب الاشكال إلى النموذج المثالى أما النرويج فإن قيمة معدلها ١١ ويعنى ذلك انحرافا كبيرا عن الشكل المثالى (وإن لم يكن شكل النرويج عامل ضعف بل إن سواحلها بفيورداتها المتعرجة تمثل عنصر حماية ، وقد أضاف ذلك إلى جانب عزلتها حماية لها من الغزو الذى تعرضت له فرنسا أكثر من مرة) .

وإذا كان شكل الدولة مندمجا ومنتظما فإن ذلك يكون له كثير من المزايا

وكلما كثرت التواءات والأسافين
 (الأجزاء الخارجة أو الأجزاء الداخلية
 في جسم الدولة من دول أخرى) فإن
 ذلك يقلل من الترابط بين أجزاء الدولة
 ، كما أن شكل الدولة المنتظم يعطى
 إمكانية أكبر فى ربطها داخليا بوسائل
 النقل بينما تجزئة أراضي الدولة أو
 طولها المفرط يحمل صعوبات أمام
 ذلك كما أن التضاريس عامل هام فى
 عملية الاندماج وكثيرا ما يقال مثلا إن
 السهول وأودية الانهار تساعد على
 تنمية روح الوحدة ، بينما يكون
 للمناطق الجبلية أثر عكسى حيث تعوق
 المواصلات وقد تسبب فصل أقاليم
 الدولة عن بعضها البعض .

والدولة المندمجة تكون عادة
 ذات حدود قصيرة بالنسبة لمساحتها
 ويقل طول الحدود كلما كان شكل
 الدولة منتظما ولا توجد به تعرجات
 وانثناءات ويحقق ذلك ميزة كبيرة فى
 سهولة الدفاع عن الحدود القصيرة فى
 حالة تعرضها للهجوم ويكون الدفاع



شكل رقم (١٦)

عنها فى حالة الانسحاب والتراجع أكثر سهولة مما لو كانت مناطق اختناق وممرات يمكن أن تحاصر قراتها فيها .

ولا يفيد اندماج الرقعة المكانية لدولة فى ربط أجزائها طبيعيا فحسب ولكن كلما كانت الدولة مندمجة كلما أثر ذلك على بعض النواحي العقائدية فيها ، فاندماج أراضى الدولة يعطى أملا أكبر فى أن يكون السكان من شعب واحد له أهداف مشتركة مما ينمى روح القومية ، والروح القومية أهم ما يمكن أن يحفظ الوحدة السياسية ، والإحساس بالقومية يستغرق عادة فترة زمنية طويلة من الحياة المشتركة والكفاح الموحد وممارسة ذلك يكون أكثر احتمالا فى البيئات المفتوحة التى لا توجد بها حواجز تضاريسية ، وفى المناطق ذات المساحات غير المترامية التى يقل طول حدودها وبالتالى مناطق الاحتكاك مع غيرها من المناطق التى تسكنها جماعات وشعوب أخرى .

وهناك أمثلة لدول غير منتظمة الشكل ويضرب المثال عادة بدولة شيلي فى أمريكا الجنوبية فطولها ٢٦٠٠ ميل من الشمال إلى الجنوب (٤١٦٠ كيلو مترا) بينما عرضها من الشرق إلى الغرب أو من ساحل المحيط الهادى إلى جبال الانديز لا يزيد على ١٠٠ ميل (١٦٠ كيلو مترا) وهذا الإفراط الغرب فى الطول مع الضيق الواضح فى الامتداد العرضى يعتبر مثلبا وعيبا فى شكل الدولة فهو يعتبر معوقا حربيا حرجا ينعكس أثره ، على خطط المواصلات وينتج عن ذلك زيادة نفقات الإدارة الحكومية ، وإن كان يقال أحيانا إن هذا الشكل الغرب لا يخلو من ميزة تعدد الاقاليم المناخية والنباتية .

ومن أمثلة الدول غير المنتظمة فى شكلها ، الدول المجزأة أى التى تتكون من أكثر من رقعة أرضية دون وجود اتصال برى مباشر بين هذه الأجزاء ، ومن

أمثلة ذلك ما كانت عليه الباكستان منذ إنشائها فى عام ١٩٤٧ بعد تقسيم شبه القارة الهندية إلى دولتين هما الهند والباكستان ، فقد كانت باكستان الشرقية وباكستان الغربية مفصولتين بجسم الأراضى الهندية ، وكان الفاصل بين القسمين يصل إلى أكثر من ألف ميل ، وقد ظل الأمر كذلك حتى تم انفصال الجزء الشرقى وتكوين بنجلاديش ولعل الحرب التى انتهت بانفصال بنجلاديش ، كان من أسباب هزيمة الباكستان فيها هذا الفاصل الأرضى بين قسمى الدولة والمساعدات التى قدمتها الهند إلى الثائرين فى بنجلاديش فى عام ١٩٧١ .

وعندما كانت الجمهورية العربية المتحدة تضم كلا من سوريا ومصر وكانت دولة مكونة من إقليمين أو جزئين منفصلين ، وكان ذلك أيضا من أسباب نجاح حركة الانفصال فى سوريا فى عام ١٩٦٢ ، ويرتبط بذلك أيضا أن الفصل بين القسمين الآسيوى والإفريقى من العالم العربى وعدم الاتصال البرى بين دول العالم العربى الإفريقية والدول العربية الواقعة فى آسيا ، قد تم نتيجة لتعاون الاستعمار مع الصهيونية فى اغتصاب فلسطين والعمل على إعاقة أى احتمالات للاتصال البرى المباشر بين قسمى الوطن العربى ويمثل ذلك نقطة ضعف فى الاتصال وفى جهود الوحدة ما لم يحدث تغيير لهذا الوضع الغريب .

ويرتبط بشكل الدولة موقع العاصمة ، وذلك لأن العواصم السياسية هى الأماكن التى يمارس منها الحكم المركزى والإدارة وينبغى أن تكون العاصمة فى مركز متوسط من الدولة حتى يكون تأثيرها متعادلا فى كل اتجاه ، ولكن كثيرا من العوامل قد تحول دون ذلك وقد كان نقل العاصمة الروسية من سانت بطرسبرج (ليننجراد) المتطرفة إلى موسكو خطوة معقولة لأن موسكو تتوسط مركز الثقل السياسى فى الدولة غير أن موسكو لا تتوسط المساحة الهائلة التى يمتد عليها الاتحاد الروسى ، ولكن إذا نقلت إلى مركز التوسط المساحى فإنها ستكون فى

سيبريا فى منطقة تكاد أن تكون غير مسكونة وما زالت عمليات التعمير فيها، فالعاصمة أيضا لا ترتبط بالمساحة فحسب ، ولكن بمركز الثقل السكانى أيضا وفى الاتحاد الروسى يوجد السكان بصفة أساسية فى القسم الأوربى دون القسم الآسيوى من الاتحاد ، ولذلك يمكن القول بأن موسكو عاصمة مناسبة فى موقعها نسبيا .

أما عاصمة الولايات المتحدة الأمريكية - واشنطن - فإنها متطرفة إلى الشرق من جسم الولايات المتحدة ولكن اختيارها كعاصمة يرتبط بالنمو التاريخى للولايات المتحدة و عملية تعميرها بالسكان ، ومن هنا يمكن إيجاد شبه كبير بين العاصمة الأمريكية والعواصم المفروضة التى أقامتها القوى الاستعمارية على طول ساحل غرب افريقية فبالنظر إلى أن الاستعمار الأوربى كان يسير بحذاء السواحل فقد اختار مناطق ارتكازه - التى أصبحت عواصم فيما بعد - على الساحل وعواصم كل من نيجيريا وبنين وتوجو وغانا وساحل العاج وليبيريا وسيراليون والسنغال وغينيا وغينيا ، تقع كلها بلا استثناء على الساحل كأثر تاريخى لهذه المرحلة من الاستعمار وكانت العواصم الوطنية للجماعات التى عاشت فى غرب افريقية لا تقع على الساحل فقد كانت كوماسى عاصمة جماعة الأشانتى فى ساحل الذهب (غانا) فى موقع متوسط بالنسبة لهذه الجماعة وكانت عاصمة داخلية وليست ساحلية .

ولعل مدينة القاهرة عاصمة جمهورية مصر العربية تكون من أكثر عواصم العالم تحقيقا لميزة المتوسط ، لأنها علاوة على الميزات الرائعة فى موقعها من الناحية الطبوغرافية تتوسط المعمار المصرى وتتحكم فى أى اتصال بين الوادى والدلتا ، كما أن سكان كل من الوادى والدلتا متعادلان من حيث العدد .

وقد كان اختيار مدينة براج - عاصمة تشيكوسلوفاكية السابقة - من أسباب التوتر بين كل من عنصرى الدولة الأساسيين : التشيك والسلوفاك ، حتى

انتهى الأمر بقيام دولتين فى عام ١٩٩٣ . هذا وقد عمدت بعض الدول فى الفترة الأخيرة لنقل عواصمها حتى تكون فى موقع متوسط ، فنقلت البرازيل عاصمتها من ريو دي جانييرو على الساحل الأطلنطى إلى برازيليا فى الداخل ، وكذلك فعلت الباكستان التى نقلت عاصمتها من كراتشى على البحر العربى إلى إسلام آباد (راوالبندى) فى الداخل وقد ظلت عاصمة هذه الدولة مشكلة دائمة عندما كان جسم الدولة لا يشمل امتداد مكانيا متصلا ولكنه مكون من قسمين متباعدين ومنفصلين ، حتى انفصل الاقليم الشرقى وتكونت بنجلاديش ، وعلى كل حال فإن اختيار إسلام آباد كعاصمة يرتبط بوجو جماعات الباثان ذات الرغبة فى الانفصال فى شمال باكستان ، كما نقلت نيجيريا عاصمتها من لاجوس إلى أبوجا .

ثانيا : العوامل السكانية :

تدرس الجغرافيا السياسية السكان من ناحيتين :

١ - الناحية الاثنوغرافية ، وتشمل السلالة ثم اللغة والدين .

٢ - الناحية الديموجرافية ، وتشمل نمو السكان وعددهم ونوعهم وتركيبهم الوظيفى والتعليمى ثم توزيعهم الجغرافى

وتفيد الدراسة الاثنوجرافية فى معرفة مدى انسجام عناصر السكان فى الدولة (راجع ذلك فى فصل السكان) .

ولدراسة السكان بعد آخر يدخل فى تقدير قوة الدولة ، ويتمثل ذلك فى درجة تنظيم السكان سياسيا واجتماعيا ، ولا شك فى أن وجود الديموقراطية والحرية والتنظيم السياسى الواعى ، يؤدى إلى انطلاق ملكات الأفراد ومواهبهم وينعكس ذلك على تقدم دولتهم .

ثالثا : الموارد الاقتصادية والنقل والتجارة الدولية :

تتفاوت ائدول فيما بينها من حيث وفرة الموارد أو قلتها ، ومن الناحية النظرية فإنه كلما توفرت موارد الثروة فى قطر ما كلما كان غنيا ، وتتمثل موارد الثروة الاقتصادية فى الزراعة والتعدين والقوى المحركة والصناعة ، ويخدم العملية الإنتاجية فى هذه الموارد جميعا طرق النقل التى تلعب دورا حاسما إلى جانب أثر ذلك فى التجارة الدولية .

ولما كانت هذه الموارد جميعا ليست موزعة توزيعا عادلا على أقطار العالم ولكنها تتركز فى دول دون أخرى فإن هذا يؤدى إلى وجود دول غنية وأخرى فقيرة ويصدق ذلك بصفة خاصة على الزراعة والتعدين ، أما مدى استخدام الإنسان لهذه الموارد فيعتمد على المرحلة الحضارية والتكنولوجية التى وصل إليها ، وعلى الرغم من أن التقدم العلمى يمكن الإنسان من أن يجفف المستنقعات وأن يروى المناطق الجافة وأن يحول الفحم إلى غاز أو زيت سائل وأن يستخدم البدائل المعدنية ، فإن ذلك كله محدود بقواعد علمية وإمكانية ، ولا يستطيع الإنسان إلا بقدر محدود أن يغير أو يعيد توزيع الموارد الأساسية . وقد أحدثت ثورة النقل والمواصلات تعديلا كبيرا فى صورة التوزيع والاستهلاك وأصبحت بعض الدول الفقيرة فى مواردها تعتمد على غيرها فى الحصول على حاجاتها بل إن بعض الدول ذات الموارد الكثيرة لا تستغل مواردها بالقدر الذى يتناسب مع وفرة هذه الموارد وقد أثر الاستعمار العالمى تأثيرا كبيرا فى خريطة استخدام الموارد وجعلها تختلف كثيرا عن خريطة « وفرة الموارد » ذلك أن بعض دول الاستعمار الكبرى فقيرة فى مواردها ولكنها استغلت واستخدمت موارد غيرها ، مثال ذلك بريطانيا التى كانت لها أكبر إمبراطورية ، وكانت هذه الإمبراطورية الواسعة تضم مختلف المناطق النباتية وتضم كثيرا من البلاد الغنية فى مواردها المعدنية ، وكذلك بلجيكا التى كانت تسيطر على « الكونجو » وهو أحد الأقطار الغنية جدا بمواردها

التعدينية ولكن هذه الموارد لم تكن تستغل قبل الاستعمار الأوربي وبعد الاستقلال لم يصبح استخدام هذه الموارد لصالح شعب « الكونغو » ولكن لخدمة المصالح الاحتكارية للاستعمار العالمى برغم استقلال زائير سياسيا وتكرر الصورة فى كل من غانا ونيجيريا حيث أدى سوء الإدارة إلى مشكلات عديدة .

وقد تمر المجتمعات بتحول يؤدي إلى اختلاف صورة استخدام الموارد مثل روسيا التى كانت فى العهد القيصري دولة متخلفة وتحولت بعد الثورة الروسية إلى عملاق للصناعة كما تطورت الزراعة فيها وأصبحت تختلف كلية عن صورتها فى ظل العهد القيصري ، ومع ذلك فإن سوء الإدارة أدى إلى مشكلات حادة فيها خاصة بعد تفكك الاتحاد السوفيتى .

كما أن بعض الاقاليم قد تتعرض لتغيير فى صورة السكان مثل ما حدث فى الولايات المتحدة الأمريكية التى كان سكانها قبل الاستعمار الأوربي لها لا يزيد على المليون من « الهنود الحمر » الذين يتناثرون فى كل أرجائها ولكن بعد أن توالى هجرات الأوربيين حدث استغلال للموارد أدى إلى ازدهار هائل يتضح فى صورة الولايات المتحدة اليوم . ومعنى ذلك أن تطوير الفكر قد يحدث فى الموارد غير المستغلة ثورة كما حدث فى الاتحاد السوفيتى السابق إلى حد ما ، وأن العدد الأنسب من السكان والمرحلة التكنولوجية يمكن أن تؤدي نفس الدور فى مكان آخر كما حدث فى الولايات المتحدة .

ومعنى ذلك أنه من الخطأ القول بأن هناك ارتباطا بين النظم السياسية والاقتصادية من ناحية وتوزيع موارد الثروة من ناحية أخرى ، بل إن استخدام الموارد وفلسفته يغيران من التركيب الاقتصادى ، ويتفق ذلك مع النظم السياسية والإدارية والاقتصادية المطبقة ، وإن كان للمرحلة التى وصل إليها استخدام العلم والتكنولوجيا أثر كبير فى مدى التفاعل بين السكان والموارد مهما اختلفت

الأنظمة السياسية ، وهذا يتضح بمقارنة التفاوت الكبير بين درجة التطور والنمو الاقتصادي داخل كل من الدول الاشتراكية أو الرأسمالية .

الموارد الزراعية:

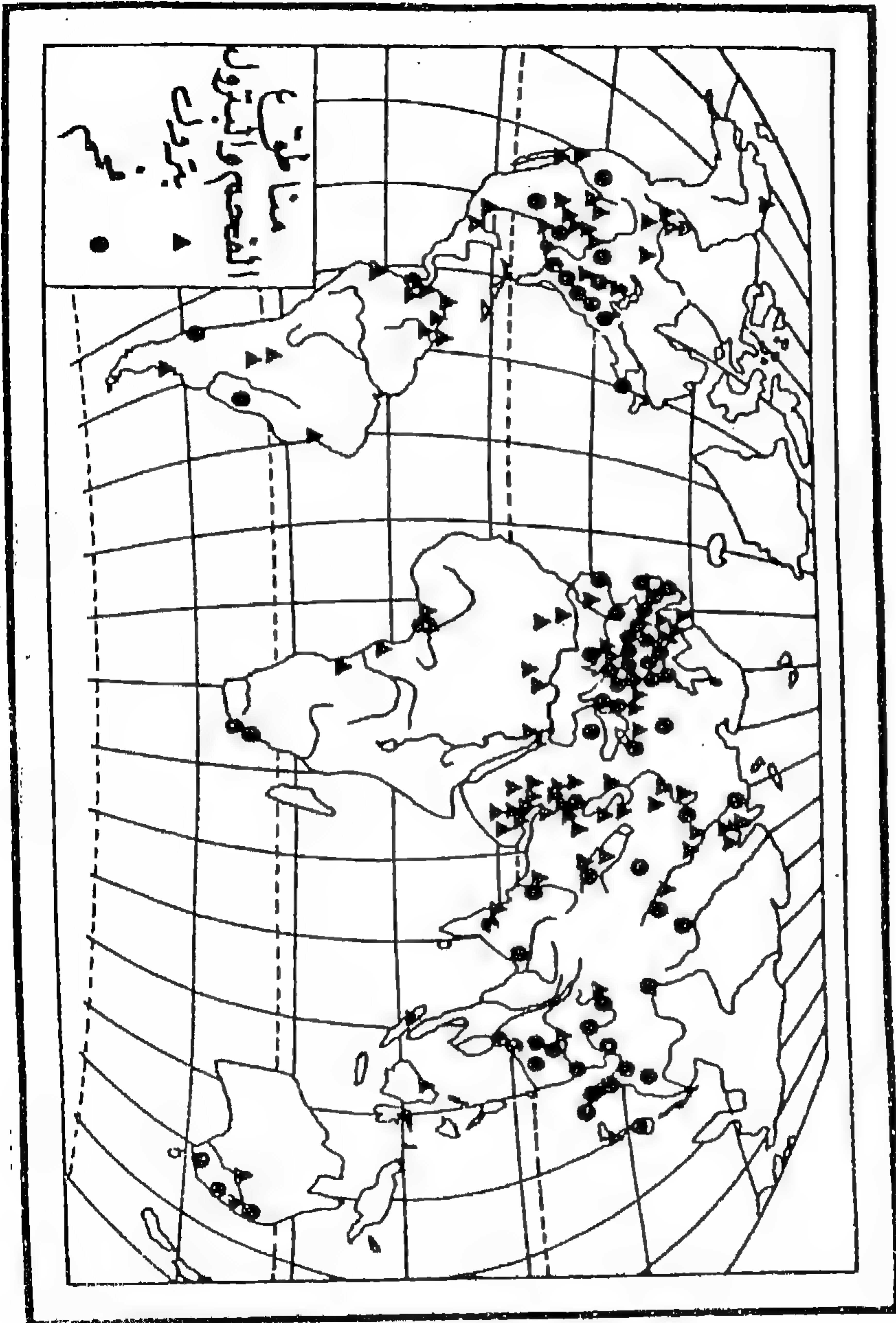
الموارد الزراعية هي أساس المجتمعات لأنها تفي بالحاجات المباشرة للسكان فيما يتعلق بالمواد الغذائية ، وإذا درست موارد الأرض السطحية فإن ذلك يضم إلى جانب الزراعة كلا من النبات الطبيعي والثروة الحيوانية ، كما أن الاسماك تدرس أحيانا ضمن هذه المجموعة لأنها تدخل في الغذاء البشري ، والواقع أن الموارد الزراعية تتعدى قيمتها مجرد الحصول على الغذاء لأن كثيرا من هذه الموارد تمثل مواد خام لعديد من الصناعات ، وفي الدول القديمة كانت القوى الدولية هي تلك الدول التي قامت في بيئات نهريّة واعتمدت على الزراعة وطورت نظم الري مما مكن لها من وجود وفرة في إنتاجها الزراعي ، وقد ارتبط بالاستعمار الأوربي نشأة المزارع العلمية الواسعة في المستعمرات ، وبصفة خاصة في المداريات التي أصبحت مصدراً تنساب منه المواد الخام من كل اتجاه إلى مراكز التجمع والتسويق للدول الكبرى ، وكان هذا يؤدي في بعض الأحيان إلى عمليات أسر تسويقى بمعنى انتقال السوق إلى عواصم الدول الاستعمارية ثم توزيع المنتجات المدارية من هذه الأسواق ومثال ذلك أن لندن كانت السوق الدولية للشاي رغم أن بريطانيا نفسها لا تنتجه ، ولكن مستعمراتها في الهند وسيلان كانت تنتج ثم ينتقل إنتاجها إلى لندن لتوزيعه ، وكثيرا ما يؤدي استغلال موارد الثروة إلى تنافس بين الدول الاستعمارية مثل حالة زائير التي كانت مستعمرة بلجيكية ولكن الشركات المسيطرة على إنتاج مزارع المطاط فيها لم تكن كلها بلجيكية ، وكذلك في غرب افريقيا كانت توجد مصالح بين رؤوس الأموال في المستعمرات البريطانية ، والفرنسية بين الشركات التابعة لتلك الدول وبين كبار الشركات لبقية دول أوروبا أو الشركات الأمريكية وذلك كله يدخل في إطار وحدة الرأسمالية العالمية .

وفى بعض الدول التى يوجد بها اكتظاظ سكاني ، دون أن تكون بها وفرة فى الأراضى الزراعية تزداد الكثافة السكانية وقد يؤدي ذلك ، نتيجة فى حالة التوزيع غير المناسب للملكية الأرض إلى كثير من المشكلات السياسية ، وقد يتمثل العلاج فى إعادة توزيع مصادر الثروة الزراعية أو بالهجرة أو بالتصنيع أو بتطوير الزراعة أو بتنظيم النسل أو بتلك الوسائل كلها ، كما أن بعض الدول قد تلجأ إلى العدوان على البلاد الأقل ازدهاراً وأغنى موارد فى صورة استعمار .

التعدين:

إذا كانت الموارد الزراعية متجددة فإن الموارد التعدينية محدودة - وهى نتيجة للتاريخ والظروف الجيولوجية التى سادت فى أجزاء العالم المختلفة - وبذلك فإن وجود المعادن فى مكان ما لا يعتمد إلا على الصدفة الجيولوجية ، وحاجة الدول إلى الموارد المعدنية تتعدى حدود انتشار هذه الموارد ويؤدي ذلك إلى رغبة القوى الدولية فى الحصول على المناطق والأجزاء التى تنتشر فيها الإصابات المعدنية إما بالاحتواء والضم وإما بالحصول على امتيازات الاستغلال ، وتحدد درجة السيطرة بأهمية المعادن ويمدى اعتماد الإنتاج الحربى عليها والواقع أن دور المعادن يفوق الموارد الزراعية من حيث صراع القوى الكبرى ورغبة كل منها فى السيطرة على مواردها .

وبعض المعادن تتركز بدرجة واضحة فى أجزاء محدودة من العالم مثل النيكل الذى كان ينتج منه قبل الحرب العالمية الثانية ٨٥ ٪ فى مقاطعة أونتاريو بكندا وبعد الحرب العالمية الثانية لازالت كندا تنتج حوالى ٦٠ ٪ منه ، كما أن القصدير ينتج القدر الأكبر منه فى منطقة جنوب شرق آسيا وفى هضبة بوليفيا ، وكل من النيكل والقصدير من المعادن الهامة فى صناعة سبائك الصلب ، كما أن البترول يوجد فى مناطق محدودة فى العالم وهى الشرق الأوسط وشمال إفريقيا



شكل رقم (١٧)

وهى أولى مناطق العالم إنتاجا له ثم نصف الكرة الغربى ويضم الولايات المتحدة ودول أمريكا اللاتينية المطلة على البحر الكاريبى ، ويصدر معظم إنتاج الشرق الأوسط إلى أوروبا ، ثم الاتحاد الروسى وإلى جانب ذلك توجد منطقتان صغيرتان فى جنوب شرق آسيا وفى غرب إفريقيا ، بينما يوجد افتقار شديد إلى البترول فى بقية أجزاء العالم ومن البديهي أن البترول هو أكثر موارد الوقود شيوعا فى العالم المعاصر وهو ضرورى لقيام أى حركة صناعية حيث يمثل مصدر الطاقة الرئيسى .

وفى بعض الأحيان تكون مناطق التعدين بعيدة عن الجزء المعصور فى الدولة وفى هذه الحالة تلعب طرق النقل دورا أساسيا فى الاستغلال خاصة إذا كان يوجد مبرر اقتصادى يتمثل فى مناسبة تكلفة الإنتاج والنقل ، ومنطقة البحيرات العظمى فى الولايات المتحدة من أكثر الأمثلة وضوحا على أثر النقل على التكامل الاقتصادى فى الصناعة حيث ينقل على هذا الطريق أكثر مما ينقل على أى طريق مائى داخلى فى العالم لتكامل مناجم الفحم والحديد عبر هذا الطريق .

ولا تعتمد القوى الكبرى على حدودها فى الحصول على حاجاتها المعدنية الهامة ، وعلى الرغم من أن كلا من الاتحاد الروسى والولايات المتحدة يقتربان من كفاية موارد هما التعدينية إلا أنهما تستوردان كثيرا من المعادن وتشحكم الولايات المتحدة على نحو خاص فى التجارة الدولية للمعادن .

ومن الضرورى للدولة العظمى أن يتوفر لها فى داخل حدودها قدر كبير من حاجتها من المعادن ، وأن يكون فى استطاعتها الحصول على ما لا يتوفر لديها من معادن فى سهولة ، والاكتفاء الذاتى أمر عسير لتشابك حاجات الدول وتعددتها ولا توجد أى دولة فى العالم تكتفى ذاتيا إلى درجة تامة .

ولما كان كل من الفحم والحديد يمثلان مصدرا للوقود والمادة الخام الأساسية

اللازمين للصناعات الثقيلة فإن توزيعها هام جدا ، وإن لم يكن توزيعهما فى جميع الأحوال يوجد على نحو اقتصادى أو مترابط ، فإذا وجد معا أو متقاربين فى دولة واحدة فإن ذلك يلعب دورا هاما فى مرتبة هذه الدولة ومثال ذلك الولايات المتحدة والاتحاد الروسى وبريطانيا ، كما أن كثيرا من أوجه الصراع بين فرنسا وألمانيا فى القارة الأوروبية ، ثم وجود التكتلات الاقتصادية الأوروبية بعد الحرب العالمية الثانية واشتراك كل من ألمانيا الغربية وفرنسا فيها يمكن ربطه بذلك .

وربما يؤدى التطور العلمى والتكنولوجى إلى أن تحل الطاقة الذرية محل كثير من مصادر الطاقة المستخدمة حاليا ، وأن تلعب معادن أخرى دورا مماثلا لما يلعبه الحديد الآن ، وبذلك تتغير قيمة وأهمية الفحم والحديد ، ولكن ذلك كله لا يمكن القطع فيه برأى وربما يمكن مستقبلا معرفة ذلك وفى هذا المجال أيضا يبقى أن الدول المتقدمة علميا هى التى يمكنها أن تتوصل إلى استخدام البدائل الجديدة ويبقى كقانون « أن الدعامة الأساسية فى التقدم هى العلم والأسلوب العلمى » .

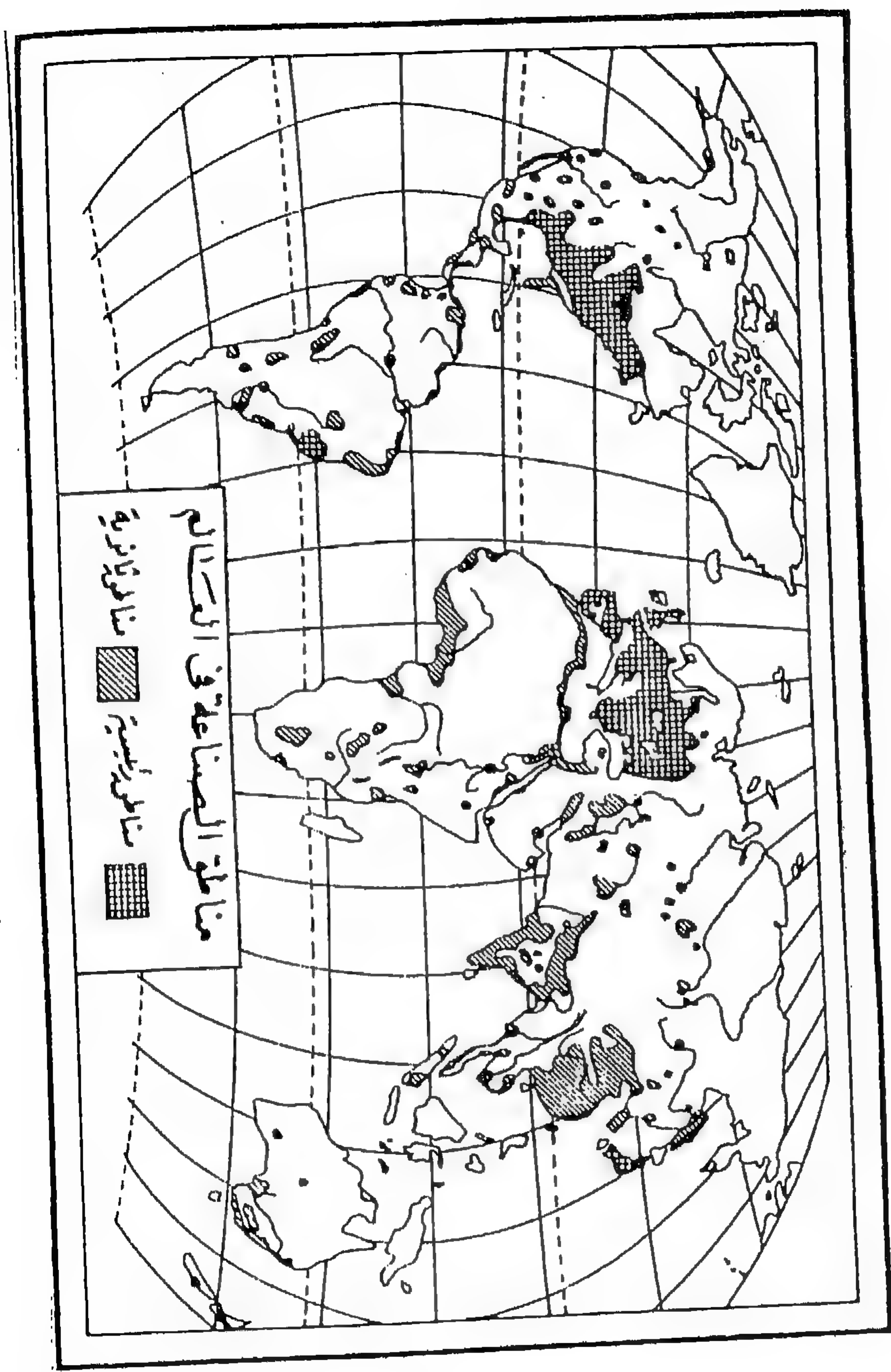
الصناعة :

تقاس الدول فى عالمنا المعاصر بمدى النمو الصناعى بها ، ولعلنا نجد أن دول العالم الكبرى ذات الأثر القوى فى السياسة الدولية هى الدول الصناعية الكبرى ، وترتبط مكانة الدولة فى المجتمع الدولى بإنتاجها الصناعى وتنوعه من حيث الحجم والجودة العالية ، وتعتمد الصناعة على كثير من المقومات ومنها المواد الخام والوقود أو القوى المحركة ورأس المال والمهارة والخبرة التكنولوجية ، ولكن عنصر المادة الخام كثيرا ما يكون حاسما ، لذلك تحرص دول العالم الصناعية الكبرى على احتكار أسواق المواد الأولية اللازمة لصناعتها إذا لم تكن هذه المواد متوفرة محليا .

وتقسم الصناعة عادة إلى صناعات ثقيلة وصناعات خفيفة ، والصناعات الثقيلة قد تشمل صناعة أدوات الصناعة نفسها أو المصانع المنتجة للآلات والمعدات والماكينات ، وهذا إلى جانب صناعات الحديد والصلب ومواد البناء والسفن والصناعات الحربية للمعدات الثقيلة كالدبابات والسفن الحربية والطائرات والعربات المدرعة ، أما الصناعات الخفيفة فقد تشمل صناعات استهلاكية كصناعة الملابس أو المشروبات والمواد الغذائية ، وبينما قد تنتشر الصناعات الخفيفة في عديد من دول العالم ، فإن الصناعات الثقيلة توجد أساسا في الدول المتقدمة .

ويلاحظ أن التفوق التكنولوجي قد يعوض النقص في بعض المواد الخام اللازمة للصناعات الثقيلة والتي يمكن نقلها ، وكل من اليابان وسويسرا وسنغافورة وكوريا الجنوبية وهونج كونج لا تتوفر لديها مواد خام أو مصادر للطاقة والوقود ، ولكنها تعوض ذلك كله بالاعتماد على التكنولوجيا المتقدمة وقد تمكنت صناعاتها من غزو الأسواق العالمية ومنافسة كل من الصناعات الأوربية والأمريكية .

وأما رأس المال فيمكن نقله من دولة إلى أخرى إذا توفرت له الضمانات التي تكفل له حرية الحركة ، ولذلك نجد أن بعض الشركات الكبرى في العالم لها فروع تنتشر في كثير من الدول بفضل سهولة انتقال رأس المال ، كما أن الحماية الجمركية والسياسات الحكومية لها أثرها في تقدم الصناعة .



شكل رقم (١٨)

التجارة الدولية والنقل والمواصلات:

لنقل أهمية كبيرة يفرضها تباين الإنتاج والاستهلاك ، وكما سبق القول فإن الاكتفاء الذاتى مطلب عزيز لمعظم الدول فى العالم ، ولكن درجته تتفاوت وفيما يتعلق بالدول الصناعية فإن انتظام النقل البرى والبحرى والجوى أمر هام جدا فى سير عجلة الإنتاج أو فى تصريف المنتجات وأكثر الطرق المحيطية ازدهاما هو طريق شمال الاطلنطى الذى يربط بين غرب أوربا وشرق الولايات المتحدة ، وهو يربط بذلك بين أكبر الاقطار الصناعية والتجارية وأكبر اسواق العالم المعاصرة ، ويفوق ما يحمل على هذا الطريق جملة ما يحمل على الطرق البحرية الأخرى مجتمعة . أما الطريق الثانى فهو طريق البحر المتوسط الذى يصل آسيا بكل من أوربا وإفريقيا ويصل ما بين المحيطين الأطلنطى والهندي ثم يمكن عبر هذا الطريق الاتصال باستراليا وهذا الطريق يشهد مرور أكبر قدر من المنتجات المدارية التى تنتجها الدول الصناعية وفى الاتجاه العكسى يحمل السلع المصنوعة إلى اسواق الاستهلاك .

وقد أدى كشف العالم الجديد إلى تحول فى أهمية المسطحات المائية وأصبحت المحيطات هى خطوط الحياة التى تقوم حولها المدنية وتجرى فوق مياهها منتجات الأقاليم ، ولما كانت القوة البحرية أمرا ضروريا للقوة الدولية فإن تاريخ التوسع الاستعماري يرتبط بامتلاك الأساطيل ، وقد تمكنت كل من البرتغال وإسبانيا وهولندا وإنجلترا منذ القرن السادس عشر من تكوين إمبراطوريات واسعة نتيجة أنها كانت أقوى الدول البحرية .

وبالنسبة لبريطانيا فقد كانت تعمل دائما على تأمين المواصلات بين قاعدتها الأصلية وهى الجزر البريطانية وبين أجزاء إمبراطوريتها الواسعة ، فقبل شق قناة السويس حين كان طريق رأس الرجاء الصالح هو الطريق الملاهى المطروق سيطرت

بريطانيا على عدد من النقط التى تؤمن ذلك الطريق وهى تمتد فى نطاق واسع يشمل المناطق التى تمر بكل من ساحل جنوب إفريقيا ، جزر سانت هيلانه وأسنسيون ، برنس إدوارد ، موريشوس وسيشل وشبه جزيرة الملايو ، وبعد شق قناة السويس أصبح خط الحياة أقصر امتدادا فلبجأت بريطانيا فى وقت وجيز للغاية إلى تأمين كل النقط المسيطرة على طول الطريق والقريبة منه وسيطرت على كل من مداخل طريق البحرين المتوسط والأحمر وعلى مناطق أعناق الزجاجات الحاكمة له : جبل طارق ، مالطة ، قبرص ، قناة السويس ، الصومال البريطانى وعدن ، وجزيرة سو قطرى .

وتلعب الأنهار دورا هاما فى المواصلات والنقل المائى وليس غريبا أن معظم موانى العالم البحرية الكبرى تقع فى مصبات الأنهار ، وذلك أن التطور التاريخى للنقل كان يجعل من الأنهار طرقا للتوغل إلى الداخل والربط بين مختلف الأجزاء كما أن مصبات الأنهار كانت مناطق تركز السكان والتجارة الدولية والساحلية وفى بعض أجزاء القارة الأوربية وفى آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية حالت الأنهار فى بعض الحالات دون مد الطرق الحديدية أو أدت إلى تاخير ذلك على الأقل .

لنقل والمواصلات أهمية كبرى فى ربط أجزاء الدولة اقتصاديا وسياسيا وعقائديا ويصدق ذلك بصفة خاصة على المراحل الأولى لنشأة الدول ثم تصبح المواصلات بعد ذلك عاملا أساسيا فى الوحدة ، وإذا كانت الطرق البرية قد لعبت ذلك الدور فترة طويلة فقد حلت محلها السكك الحديدية بعد ذلك ، ثم عادت للطرق البرية أهميتها مرة أخرى بعد أن أصبحت شبكتها فى كثير من الدول ذات اتجاهات متعددة ، هذا بالإضافة إلى أن السيارة أكثر حرية فى حركتها من القطار ولا تلتزم بطريق محدد بدرجة قاطعة مثله ، كما أن من مشكلات السكك الحديدية اختلاف السعة بين القضبان أو اختلاف مقياس الخطوط الحديدية بين الدول

المتجاورة كما يوجد بين بعض الدول الأوربية أو كما حرصت بريطانيا عليه في اختلاف المقياس بين الخطوط الحديدية في مصر والسودان .

وقد أدى التليفون والتلغراف والاذاعة والتليفزيون والفاكس إلى أن تحطمت الحاجز تماما بين الدول من الناحية الحضارية وقد حقق ذلك ميزة مزدوجة فيما يتعلق بالدعاية وخاصة عند انقسام العالم إلى معسكرين وازدياد الحرب الباردة .

وقد لعب الطيران دورا هاما في النقل والمواصلات فعلى الرغم من أن الخطوط البحرية تلعب أدوارا هامة في النقل المحيطي والبحري ، إلا أن بعض المحيطات تصعب فيها الحركة مثل المحيط المتجمد الشمالي - على الرغم من نجاح الروس في تسيير خطوط منظمة من كسارات الجليد التي تربط بين الشرق الأقصى السوفيتي وموانئ روسيا الشمالية - وكذلك القارة القطبية الجنوبية ذات السواحل المتجمدة ، كما كانت الصحراء الكبرى عقبة أمام أى مواصلات سريعة حتى عصر الطيران ، وقد مكن الطيران للإنسان من أن يقهر العقبات الطبيعية بين أجزاء العالم ورغم ذلك فإنه يصعب أن نتصور أن يجعل الطيران محل النقل البحري الذي يمكنه أن ينقل السلع الضخمة بحمولات كبيرة وتكلفة أرخص كثيرا من الطيران ، وإن كان يبقى للطيران أهميته في الحرب ، أما في النقل المدني فإنه أنسب وسيلة لنقل السلع خفيفة الوزن غالية الثمن ولتنقل الأشخاص ، ومن يدري مع ذلك فقد يتطور الطيران في المستقبل ، وخاصة إذا استخدمت الذرة كقوة محركة وعندئذ ستبدأ مرحلة انقلاب جديدة أو ثورة أخرى في عالم النقل .

وبلاحظ أن أكثر أجزاء العالم ازدحاما بخطوط الطيران هي أكثر أجزائه ازدحاما بطرق النقل البري والسكك الحديدية والموانئ البحرية أيضا ، لأن ذلك كله يرتبط بالسكان والتطور الاقتصادي .

الفصل السادس

الحدود السياسية

إذا كانت الحروب تنشب بين الدول لأسباب مختلفة ، قد تكون التنافس الاقتصادي أو التهديد العسكري ، فإن نتيجة الهزيمة أو النصر قد تسفر عن تعديل الحدود السياسية ، وقد تكون الحرب ذاتها نتيجة الرغبة في تعديل الحدود السياسية ومحاولة الدول أن تمد نفوذها وحدودها على حساب أراضي دولة أخرى أو مجموعة من الدول ، ويحدث بعد الحروب الكبرى دائما تعديل في الحدود ويكفى أن ننظر إلى خريطة القارة الأوروبية قبل الحرب العالمية الأولى ثم بعدها ، وكذلك قبل الحرب العالمية الثانية ثم بعد انتهاء هذه الحرب لنرى كثيرا من التغير في الحدود السياسية للدولة بل إن هذه التغيرات في الحدود في القارة الأوروبية لم يكن يترتب عليها تعديلات في الحدود فحسب بل كان ينتج عنها اختفاء بعض الدول ، وظهور دول أخرى جديدة لم يكن لها وجود من قبل نتيجة لظهور « الدولة القومية » .

فقبل الحرب العالمية الأولى كانت توجد عدة دول كبرى في أوروبا هي الامبراطورية الروسية والامبراطورية النمساوية المجرية وألمانيا ، بالإضافة إلى فرنسا وبريطانيا وبعد نهاية هذه الحرب ظهرت كل من بولندا وتشيكوسلوفاكيا ويوجوسلافيا نتيجة لتفكك الامبراطورية النمساوية المجرية وتقلصها حتى أصبحت كل من النمسا والمجر من الدول الصغيرة في أوروبا ، وبالإضافة لذلك فقد حدث تعديل في حدود روسيا - التي قامت بها الثورة الروسية أثناء تلك الحرب وكذلك

حدث تعديل فى حدود ألمانيا التى هزمت فى هذه الحرب ثم ما لبث أن حدث فى حدودها تعديل آخر وفقدت أنحاء كبيرة ضمت إلى كل من بولندا والاتحاد السوفيتى بعد هزيمتها فى الحرب العالمية الثانية بل إنها خرجت بعد الهزيمة مقسمة إلى دولتين هما ألمانيا الشرقية وألمانيا الغربية .

والحدود القاطعة الواضحة نادرة الحدوث فى الجغرافيا السياسية بل وفى الجغرافيا عامة فحتى حدود الأقاليم الطبيعية (المناخية والنباتية مثلا) ، هى حدود يكون الانتقال فيها تدريجيا من إقليم لآخر ، ولا تظهر فى الطبيعة كما تصورها الخرائط فى شكل خطوط محدودة ، بل إن أنواع النشاط البشرى تميل هى الأخرى إلى أن يكون الانتقال فيها تدريجيا من قطر لآخر ، وقد لا يشير خط الحدود السياسية الانتباه حين يعبره الانسان ، فمن فرنسا إلى بلجيكا أو من سويسرا إلى إيطاليا أو من ألمانيا إلى الدانمارك أو من سورية إلى لبنان أو من الجزائر إلى المغرب ، حين يفعل الانسان ذلك فإن من الصعب أن يذكر متى ترك دولة ودخل الأخرى ، وكل ما يشير انتباهه هو أنه فى نقطة معينة يخضع للوقوف وفحص أوراقه من جواز السفر وما يتعلق بالبضائع التى يحملها ليتم تقدير الجمارك عليها مثلا ، ولولا تلك العمليات لما أحس بالحدود مطلقا .

وخطوط الحدود السياسية هى التى تحدد نهاية الإقليم الذى تستطيع دولة ما أن تمارس داخله حقوق سيادتها ، وتمتد هذه السيادة لتشمل الأرض والمياه الإقليمية والمجال الجوى للدولة ، وعندما يرسم الخط السياسى على الخرائط ويضاهى على الطبيعة ، فإن ذلك يكسبه لونا من القداسة والشرعية ، ويصبح تعديله أمرا بالغ الصعوبة ، وقد تقوم الحرب بسببه حتى ولو كان هذا التعديل متمشيا مع قواعد الجغرافيا .

وخطوط الحدود السياسية أمر حديث جدا فى العالم ، ولا ترجع لأكثر من

القرن التاسع عشر فى معظم الأحوال ولا نجد اليوم سوى أماكن قليلة جدا فى العالم لم تخضع لوضع الحدود السياسية أو بمعنى أدق فإن الحدود السياسية فى هذه الأماكن القليلة لم ترسم على خرائط وإن كان لها نوع من التحديد ، وهذه الأجزاء القليلة التى لم تظهر لها خرائط تعترف بها الدول المعنية هى التى تنشأ بسببها كثير من مشكلات الحدود المحلية مثل مشكلة الحدود التى حدثت بين المغرب والجزائر حول منطقة تندوف فى غرب الجزائر أو مشكلة واحة البورعى بين أبو ظبى والمملكة العربية السعودية أو واحة الوديعة على الحدود بين السعودية وبين جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية سابقا وإن كان ذلك لا يمنع من حدوث نزاع على بعض الحدود التى ظهرت لها خرائط وتعترف بها بعض الدول .

ويجب أن نفرق بين خطوط الحدود السياسية الدولية International Boundaries وهى التى تمثل خطوطا فعلية تصل بين نقطتين وهى التى تظهر على الخرائط السياسية الحديثة سواء مرّت هذه المخطوط على اليابسة أو اخترقت أحد الأنهار أو البحيرات أو الخلجان البحرية ، وبين التخوم أو مناطق الحدود Frontiers التى لا تمثل خطا يفصل بين نقطتين ولكنها تمثل إقليما أو منطقة انتقال ذات أبعاد فى الطول والعرض ، وقد كانت مناطق التخوم أو الحدود هى الطابع المميز قبل أن تظهر خطوط الحدود فى العصر الحديث وبذلك فإن التخوم كانت هى الصورة الفعلية لمدى النفوذ السياسى للدول فى العصور القديمة والوسطى ، وكانت مناطق التخوم تظهر غالبا فى المناطق التى تفصل بين مجال نفوذ الدول الكبيرة فى العصور القديمة والوسطى مثل مناطق التخوم بين الدول العربية والإسلامية والدولة البيزنطية ، وكانت أهم أجزاء هذه التخوم هى المناطق التى تجبى عندها الضرائب .

وفى العصور القديمة كانت الصحارى المصرية تمثل تخوما طبيعية لمصر ، وإن بقيت بعض المدن فى هذه الصحارى كقلاع للمراقبة ضد أى اعتداء ولجباية الضرائب أيضا ومنذ عصر الأسرات الأولى اتخذ المصريون مدينة غزة معسكرا لهم لحراسة مدخل مصر الشرقى ومدينة أسوان ، أو حلفا أحيانا لحراسة مدخل مصر

الجنوبى ، ولكن لم تكن توجد خطوط مرسومة عند هذه المدن ، وفى بعض المصادر الحديثة لا نجد تفرقا بين استخدام كلمة Boundary وكلمة Frontier على أساس أنهما يعنيان شيئا واحدا وهو فى هذه الحالة يترجم على أنه خط الحدود السياسية لأن التخوم بمعناها القديم لم يعد لها وجود فى عالمنا المعاصر الذى تحددت فيه المخطوط السياسية للدول جميعا إلى حد بعيد .

وإذا كانت التخوم قد اختفت من خريطة العالم السياسية فى الوقت الحاضر، فإنه يوجد عوضا عنها ما يعرف بالدول الحاجزة ، وهى تمثل مناطق انتقال حضارى وامتزاج للثقافات والمذاهب السياسية التى تحيط بها وهذه الدول الحاجزة Buffer States تمثل أيضا مناطق صدام فى حالة توتر العلاقات بين الدول التى توجد حولها ، ويعنى ذلك أنها قد تتحول إلى أرض معارك إذا نشبت الحرب بين هذه الدول وبعضها وكانت بعض هذه الدول تمثل حواجز بين الممتلكات الاستعمارية مثل « تايلند » فى جنوب شرقى آسيا التى كانت تفصل بين مستعمرات فرنسا فى الصين الهندية ومستعمرات بريطانيا فى كل من شبه القارة الهندية والملايو ، كما أن « أفغانستان » كانت تمثل دولة حاجزة بين الإمبراطورية الروسية والإمبراطورية البريطانية إبان سيطرة الأخيرة على شبه القارة الهندية ، ويعطينا التاريخ مثلا لهذه الدول فى أوربا حين قسمت إمبراطورية شرلمان إلى قسم غربى تسوده الثقافة اللاتينية تحول فيما بعد إلى فرنسا ، وقسم شرقى جرمانى الثقافة ، وقسم وسط يمثل منطقة انتقال بين الثقافتين ، وفى عام ٨٧٠ قسم الجزء الأوسط بين القسمين الشرقى والغربى ، وهذا الجزء الأوسط توجد به حاليا كل من هولندا وبلجيكا ولكسمبورج ، وأقاليم الإلزاس واللورين وغرب سويسرا ، وقد شهدت هذه الأجزاء كلها فيما عدا سويسرا عددا من الحروب ، كما تحولت كلها الآن إلى دول مستقلة فيما عدا الإلزاس واللورين التى أصبحت الآن جزءا من فرنسا .

وإذا كان الحد السياسى هو الذى يضع نهاية للمجال الإقليمى لإحدى الدول وبداية المجال الإقليمى لدولة أخرى ، فإنه بذلك كثيرا ما يفصل بين اللغات

والأفكار ونظم الثقافة الوطنية من إذاعة وصحف ومجلات وبرامج
تليفزيونية ، كما أنه يفصل بين عدد من العناصر المادية مثل العملة المتداولة
وأحيانا أنماط الطعام وعاداته ، أما أهم خصائص الحد السياسى فإنه يعين حدود
التراب الوطنى والجيش الذى ينبغى على الأفراد أن يخدموا فيه والعلم الذى يمثل
رمز الدولة ويطلب للأفراد أن يدفعوا عنه بأرواحهم وقت الحروب .

وفى بعض الأحيان تكون الحدود السياسية مجالا لمحاولات نشر الدعاية
والدعاية المضادة وكثير من الدول تفحص الكتب والمجلات وغيرها من أوعية
الفكر والفن قبل أن يسمح لها بعبور الحد السياسى كما أنه كثيرا ما يحال بين
الأجانب وبين التصوير فى مناطق الحدود ، وقد أصبح من المشكلات المرتبطة بقوة
الإرسال الاذاعى والتليفزيونى أن الدول لم تعد قادرة على محاربة الافكار التى
تتسلل داخل اراضيها بالوسائل التقليدية وأصبح ثمة أجهزة موجهة للدعاية منذ
الحرب العالمية الثانية ، وكثير من الدول لديها اذاعات موجهة بعضها يبيت دعايات
معادية والبعض الآخر يقدم خدمات ثقافية عبر حدوده السياسية ، كما أن تطور
وسائل الاستقبال التليفزيونى أدى إلى أن أصبح العالم كله وحدة حضارية وثقافية
، ويمكن استقبال الإرسال فى كل أقطار العالم عن طريق الأطباق ، بل عن طريق
بعض الأجهزة المزودة بوسائل التقاط الإرسال الدولى مباشرة .

وظائف الحدود السياسية :

يمكن أن نقسم وظائف الحدود السياسية بصفة عامة إلى ما يلى :

١ - فيما يتعلق بالأفراد أو الأشخاص :

الحدود هى مناطق الدخول البرى أو البحرى (المطارات وهى وسيلة الدخول
جوا وتوجد عادة فى قلب الدولة وليس على الحدود) ، ومن ثم يمكن منع الأفراد
من الدخول أو السماح لهم ويرتبط بذلك تباين سياسات الدول فيما يتعلق بتشجيع

الهجرة سواء للعمل أو للاستقرار وفى بعض الحالات لا يسمح بدخول الأفراد من جنسيات معينة إلى بعض الدول ، وتختلف الدول بالنسبة لمدى سهولة إعطاء تأشيرات دخولها للأفراد وبصفة عامة فإن الدول الديمقراطية أسهل فى إجراءات دخولها من الدول الدكتاتورية ، وكذلك الحال بالنسبة لمغادرة الموانئ ولكن عمليات الإرهاب الدولى وحوادث اختطاف الطائرات أحدثت فى الأعوام الأخيرة كثيرا من المشكلات التى أدت إلى تعقيد إجراءات الدخول بالنسبة لمعظم دول العالم ، وكذلك إلى كثير من الدقة فى عمليات تفتيش الأشخاص وفحص أمتعتهم قبل السماح لهم بدخول إحدى الدول أو الخروج منها ، وبالإضافة إلى ذلك فإن لدى كثير من الدول قوائم تضم أفرادا يمنعون من دخول البلاد ، وفى دول أخرى توجد قوائم عكسية تضم المواطنين الذين يحظر خروجهم وتخطى الحدود السياسية للدولة - كما أن عمليات التهريب الواسعة عبر الحدود السياسية تؤدى إلى كثير من الإجراءات لمحاولة وقف أثارها التى تعتبر موجهة ضد اقتصاديات الدول وأمنها أحيانا .

٢ - فيما يتعلق بالسلع :

ويرتبط ذلك بأن الحدود تكون عادة مناطق تحصيل الضرائب والرسوم الجمركية على السلع والمنتجات التى تخرج من الدولة (الصادرات) أو التى تدخل إليها (الواردات) ، وكثيرا ما يرتبط بذلك بعض الإجراءات المتعلقة بالنقد أو العملات فبعض الدول لا تسمح بخروج عملتها خارج حدودها ، ولكن دولا أخرى تسمح بحرية تداول نقدها خارج حدودها ، كما أن كثيرا من الدول قد تمنع استيراد سلع معينة ، إما لعوامل سياسية كأن تمنع الاستيراد من دول تعتبرها معادية لها ومن أمثلة ذلك المقاطعة العربية للسلع والمنتجات الاسرائيلية ، وكذلك مقاطعة دول كثيرة فى العالم لمنتجات جنوب إفريقيا كنوع من العقوبات التى اقترتها المنظمات الدولية بسبب سياسة التفرقة العنصرية التى كانت تتبعها ، وقد

تكون عوامل المنع الاقتصادية ترتبط بالحد من استيراد السلع المنافسة لمنتجات
تصنع أو تنتج محليا ، وقد يأخذ هذا الأمر صفة حادة يترتب عليها منع الاستيراد
كلية أو فرض رسوم جمركية موقفة لتقليل الاستيراد دون منعه كلية . وقد يؤدي
ذلك إلى نشاط في مجال التهريب ، كما أن بعض السلع يحظر دخولها إلى معظم
الدول لخطورتها على الأمن والصحة مثل المخدرات التي يمنع دخولها إلا لأغراض
طبية ومع ذلك فإنها تهرب إلى معظم دول العالم لأرباحها الخيالية .

والى جانب هذه الوظائف للحدود وقت السلم فإن الحدود السياسية في
أوقات الحروب تكون لها وظيفة أخرى ، وثمة بعض المشكلات المتبطة بالحدود
السياسية من النواحي العسكرية مثل نزع السلاح في بعض المناطق المجاورة
للحدود ، ومن أمثلة ذلك بعض المناطق بين الدول العربية وإسرائيل ولكن تطور
الأسلحة الحديثة ومداهم البعيد قلل كثيرا من أهمية المناطق منزوعة السلاح التي
كانت لها قيمة أكبر في مجال الأمن القومي حين كانت الأسلحة المستخدمة أسلحة
تقليدية وتعتمد أساسا على المشاة والمركبات البرية .

أنواع الحدود السياسية :

ثمة كثير من التقسيمات لأنواع الحدود السياسية ، وإذا اعتمدنا على

تقسيم « بوجز Boggs » لأنواع الحدود ، فإن هذه الأقسام تكون كما يلي :

أولا : الحدود الطبيعية وهي التي تتبع الظواهر الطبيعية وتشمل :

١ - الجبال وفيها تتبع الحدود إما القمم الجبلية أو خطوط تقسيم المياه .

٢ - الصحارى .

٣ - البحيرات والخلجان والمضايق وتتبع الحدود فيها أحد الأسس التالية :

(أ) خطوط التوسط Median Lines .

(ب) القنوات الملاحية الرئيسية .

(ج) الضفاف أو الحواف Bank or margin

٤ - الأنهار أو القنوات ، وفيها تتبع الحدود إما أكثر الأجزاء عمقا من المجرى Thalweg أو خطوط التوسط أو الضفاف .

٥ - المستنقعات .

٦ - الحدود فى المياه الإقليمية إلى البحر العالى

٧ - خطوط المناسيب (الكنتور) التى لا تكون منها ضفاف الأنهار أو

البحيرات

ثانيا : الحدود الهندسية ، وهى تشمل :

١ - الخطوط المستقيمة (مثل خطوط الطول والعرض أو أى أقواس من

دوائر عظمى) .

٢ - الخطوط الموازية لأحد خطوط الطول أو دوائر العرض أو الناتجة عن

تقاطعهما .

٣ - أقواس تمثل جزءا من دائرة .

٤ - الخطوط الموازية لشاطئ النهر أو ساحل البحر أو تمتد على مسافة

متساوية منه .

ثالثا : الحدود الانثروبوجرافية وتشمل :

١ - الحدود القبلية .

٢ - الحدود اللغوية .

٣ - الحدود الدينية .

٤ - الحدود الاقتصادية .

٥ - الحدود التاريخية .

٦ - الحدود الثقافية .

٧ - حدود الملكية أو الحدود الكادسترالية .

رابعاً : الحدود المركبة وهى التى تكون حدودا تضم خليطاً من العناصر السياسية أو تكون حدودا توفق بين بعض هذه العناصر .

على أن هذه التقسيمات لأنواع الحدود السياسية لا تعنى أن أى نوع منها منفصل كلية عن غيره ، ومن أمثلة ذلك أن الحدود فى الصحارى قد تكون مستنقعات أو مناطق سبخات ، وكذلك قد تكون الحدود فى إحدى البحيرات أو فى الصحارى حدودا فلكية تسير فى خط مستقيم أو تمثل جزءاً من دائرة عظمى أو عدداً من الأقواس الصغيرة ، كما أن المناطق المحايدة وهى لا تعتبر داخلية فى أى تقسيم من الأقسام السابقة لأنها ليست حدودا سياسية قد تستحق بعض الذكر ، ومن أمثلة هذه المناطق المحايدة منطقتان على حدود المملكة العربية السعودية إحداهما مع العراق والأخرى مع الكويت ، وقد تحدت هاتان المنطقتان فى عام ١٩٢٢ وتم الاتفاق على ألا توجد فيهما أية قوات ، وحين تم الكشف عن البترول فى المنطقة الجنوبية منهما وهى التى تقع بين السعودية والكويت ، وكذلك فى المنطقة الشاطئية المقابلة لها على الخليج ، فقد تم الاتفاق على اقتسام العوائد بين الدولتين ، وقد اتفق أخيراً على اقتسام هذه المنطقة التى ألقت الجماعات الرعوية فى الماضى أن تعبرها فى رحلاتها الفصلية سعياً وراء العشب والماء .

الأنهار كمثال للحدود الطبيعية :

الأنهار عامل وحدة منذ أقدم عصور التاريخ ، فعلى ضفاف النهر يعيش عادة شعب واحد أو جماعة كبيرة ، وحضارات العالم القديم ، مثل الحضارة

المصرية وحضارات العراق والهند والصين كلها قامت على ضفاف الأنهار ، ولم يحدث أن قامت إحدى هذه الحضارات على ضفة واحدة من النهر وهذا يعنى أن الأنهار كانت مراكز تجمع بشرى حولها ووسائل للنقل والربط بين الأقاليم وليست عوامل فصل أو عزلة .

ولكن فى العصور الوسطى كانت امبراطورية « شلمان » فى القرن التاسع مقسمة إلى ثلاثة أقسام تمتد عرضيا فى غرب أوربا تفصل بينهما ثلاثة أنهار هى السين والنيمن والراين ، وقد سار جغرافيو القرن الثامن عشر على هذه القاعدة الخاصة باتخاذ الأنهار أو روافدها كحدود سياسية أو طبيعية .

وتوجد اليوم كثير من الأنهار التى تمثل حدودا سياسية بين الدول الأوربية مثل الدانوب الذى يفصل بين كل دولتى التشيك والسلوفاك وبين المجر فى جزء من مجراه ، ثم يفصل بين رومانيا وكل من بلغاريا ويوجوسلافيا السابقة فى جزء آخر من مجراه وكذلك الحال بالنسبة للقارات الأخرى ففى أمريكا الشمالية يعتبر نهر « ريوجراند » حدا سياسيا بين الولايات المتحدة والمكسيك فى معظم مجراه ، وفى إفريقيا يعتبر نهر لمبوى حدا سياسيا بين زيمبابوى وجنوب إفريقيا ، ونهر أورانج فى مجراه الأدنى يعتبر حدا سياسيا بين ناميبيا وجنوب إفريقيا ، ونهر الكونغو يفصل فى جزء كبير من مجراه بين جمهورية زائير وبين جمهورية الكونغو ، كما يفصل رافده الأوبانجى بين زائير وجمهورية إفريقيا الوسطى ، ويفصل نهر روفوما بين تنزانيا وموزمبيق ونهر سنغال فى مجراه الأدنى يفصل كلا من موريتانيا والسنغال كما أن بعض أجزاء نهر الفولتا تعتبر حدودا سياسية بين كل من غانا وساحل العاج وبركينا فاسو ، والجزء الأدنى من مجرى نهر كونينى يفصل بين أنجولا وناميبيا .

وفى القارة الآسيوية يفصل أمور ورافده أوسورى بين بعض أجزاء الصين

وروسيا ، وقد قامت بعض المشكلات بين الدولتين بسبب النزاع على الحدود فى هذه المنطقة والخاصة بملكية بعض الجزر فى مجرى النهر

كما أن نهر ميكونج يمثل حداً سياسياً فى جزء من مجراه بين كل من لاوس وتايلند ويمثل شط العرب حداً بين كل من العراق وإيران ، وكثيراً ما قامت مشكلات حول الملاحة فيه بين الدولتين وبسبب ذلك قامت الحرب بينهما ثمانى سنوات ولعل نهر الأردن ومشكلاته المائية بين كل من لبنان والأردن وإسرائيل يعتبر واحداً من الأنهار الصغيرة التى أثارت عدداً من المشكلات السياسية وإن كان الأمر يرتبط بمشكلة أكبر وهى مشكلة فلسطين والنزاع العربى الاسرائيلى .

ولكن اتخاذ الأنهار كحدود سياسية قد تترتب عليه ثلاثة أنواع من المشكلات هى :

١ - أن الانهار أُلْقَتْ أن تغير مجاريها ، ويتضح ذلك على نحو خاص فى الأجزاء التى تكثُر بها المنعطقات والثنيات النهرية أو تلك التى تكون عرضة للفيضانات العنيفة .

٢ - أن إدخال أى تعديلات على نظام جريان النهر مثل إقامة الأعمال الهندسية من قناطر وخزانات وسدود أو سحب أى كميات من مياه النهر لأغراض الرى يؤثر على ضفاف النهر .

٣ - أن السهول الفيضية والأراضى الزراعية على كلا جانبي النهر ، تجتذب السكان وتستدعى تعاونهم فى إقامة حياة مشتركة .

وبلاحظ أن معظم المشكلات المرتبطة بالحدود النهرية ترتبط إما بالتعاريف أو التحديد ، أما فيما يتعلق بالتعريف فهو يرتبط بتعريف المجرى المائى بين وجهة نظر الجغرافيا الطبيعية ، وكذلك تعريف خط الحدود ، واتفاق الأطراف المختلفة على هذا التعريف ، أما التحديد فإنه يصبح أمراً سهلاً إذا كان النهر قد تم

إخضاع مجراه لعمليات مسحية دقيقة ورسمت له خرائط عليها المعالم الطبغرافية والأسماء الثابتة للأماكن ، أما إذا كانت مناسيب النهر دائمة التغيير فإن هذا يمكن أن يؤدي إلى عديد من المشكلات وقد يكون المخرج فى هذه الحالة هو اللجوء إلى إقامة منشآت هندسية ثابتة مثل الذى حدث فى بعض الأجزاء التى توجد بها المستنقعات أو أجزاء المجرى الاخدودية فى نهر الراين أو فى نهر ريوجراند .

وأما أمثلة استخدام العناصر الثلاثة المرتبطة بالأنهار فهى كما يلى :

١ - حالة استخدام إحدى الضفاف أو الشط The Shore كحد سياسى وفيها يكون المجرى المائى كله تابعا لإحدى الدول ، كما هو الحال بالنسبة لشط العرب ، وفى عام ١٩١٤ رسم الحد السياسى على أساس أنه يتفق مع أدنى منسوب لمستوى الماء على الضفة اليسرى أو على الشاطئ الإيرانى ولكن ذلك أثار كثيرا من المشكلات قبل أن توقع اتفاقية صداقة يترتب عليها استخدام ايران لحقوق الملاحة فى شط العرب والوصول إلى كل من مينائى عبادان وخورا مشهر وقد حدث ذلك فى عام ١٩٣٩ (١) .

٢ - فى حالة استخدام أكثر أجزاء المجرى عمقا Thalweg وكثيرا ما يستخدم هذا الحد فى الاتفاقيات الدولية المرتبطة بالأنهار الملاحية ، والتعريف يرتبط بالقطاع العرضى لمجرى النهر ، وكانت بعض المعاهدات المبكرة تخلط بين أكثر أجزاء المجرى عمقا والجزء الأوسط من قناة المجرى الرئيسية على أساس أنهما شئ واحد يرتبط بالخط المنتظم الذى يمثل أعماق أجزاء المجرى ، ورغم أن الثالويج ليس خطا ثابتا تماما فإنه أكثر ميلا إلى الثبات من الخط الأوسط للمجرى .

(١) وقعت اتفاقية ثانية بين إيران والعراق فى الجزائر عام ١٩٧٥ ، ولكن العراق نقضها فى عام ١٩٨١ وقامت الحرب العراقية الايرانية حتى عام ١٩٨٨ ثم اعترف العراق مرة أخرى باتفاقية الجزائر فى عام ١٩٩٠ قبل اجتياحه للكويت .

٣ - فى حالة استخدام خط التوسط : Median line قد يحدث كثير من اللبس بالنظر إلى أن خط التوسط يمكن أن يتغير موضعه تبعا لتغير مستوى الماء وشكل المجرى المائى ، وهو ما يحدث لنهر الراين بين ألمانيا وسويسرا ، وأكثر من ذلك فإن قناة المجرى العميق (ثالويج) قد تكون كلها فى جانب واحد من خط التوسط مما يحرم بعض الدول من مزايا تحصل عليها دول أخرى .

هذا وقد ظهر أكثر من تعريف لخط التوسط منها :

(أ) أنه يتوسط المجرى المائى : أو أنه الخط الواصل بين كل المسافات المتساوية على كل من الضفتين .

(ب) أنه الخط الذى يوازى الخط العام للضفاف ويقسم السطح الاقصى للمساحة المائية إلى قسمين متساويين .

هذا وقد اقترح « بوجز » تعريف خط التوسط بأنه « الخط الذى تكون كل نقطة فيه على مسافة متساوية من أقرب نقطة أو نقط على الشاطئين المتقابلين لبحيرة أو نهر » ويعتضى هذا التعريف فإن خط التوسط يكون أكثر وضوحا وإن كانت الجزر التى تقع فى قلب المجرى لاتزال تمثل مشكلة .

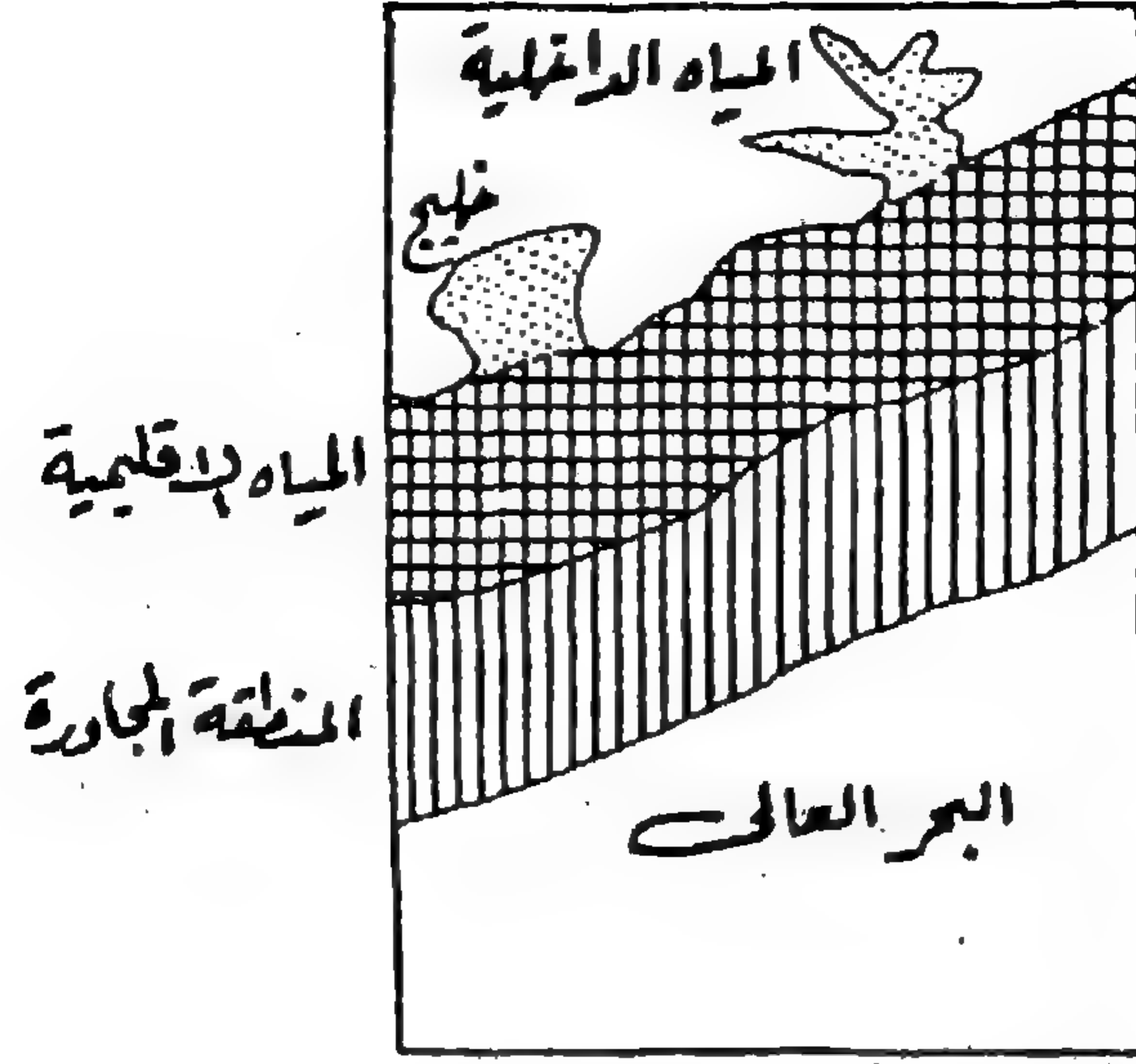
السواحل كحدود طبيعية :

يضم عالم اليوم أكثر من ١٨٠ وحدة سياسية ، ومن هذه الوحدات أكثر من ٣٠ دولة داخلية ليست لها سواحل (بعضها من دويلات الجيب) ، ويوجد فى أوربا عشر من هذه الدول الداخلية وخمسة دول فى آسيا ، ودولتان فى أمريكا الجنوبية أما أكبر عدد من الدول الداخلية فيوجد فى قارة إفريقيا وهو ١٤ دولة ، كما توجد فى العالم دول أخرى كاملة الجزرية أى تتكون من جزر كاملة دون أن تشترك مع غيرها من الدول فى أى حدود برية ، أما معظم دول العالم فهى بحرية بدرجة أو أخرى ، ومن هنا فإن السواحل تشكل جزءا كبيرا من الحدود لمعظم دول

العالم ، وترتبط بالحدود البحرية ، التي تعتبر حدودا طبيعية من الدرجة الأولى ، كثير من المشكلات المتعلقة بالمياه الإقليمية وحقوق الصيد والملاحة واستغلال الثروات البحرية من معادن وأملاح والبحث عن البترول فى المناطق الساحلية ، ول بعض الممرات المائية الدولية أهمية استراتيجية بالغة تنظمها الاتفاقيات والمعاهدات الدولية عادة (وقد سبقت الإشارة إلى بعض هذه الممرات الدولية) .

وفى القرن السادس عشر كانت إسبانيا والبرتغال تدعيان السيطرة على معظم المسطحات المائية للبحار والمحيطات على سطح الكرة الأرضية حتى أن البابا أصدر بيانا يرسم الحدود البحرية بين هاتين القوتين فى ذلك الوقت ولكن فى القرن السابع عشر أعلن المحامى الهولندى « هيجو خروتشوس Hugo Grotius » أنه لا يحق لأى دولة أن تسيطر على البحر المفتوح ، وإن كان قد ظهر من يعارضه فى إنجلترا وهو القاضى الانجليزى جون سيلدن John Selden الذى كان من رأيه أن إنجلترا « تملك » البحار التى تحيط بالجزر البريطانية وتفصلها عن أوربا ، ولكن ما لبثت أن تعددت الآراء المتعلقة بحق السيطرة على بحار العالم ولعل عام ١٧٠٢ أو مطلع القرن الثامن عشر هو الذى شهد بداية ظهور الفكرة التى تبناها القانون الدولى للبحار بعد ذلك والتى تحدد مدى المياه الإقليمية حيث ظهر للمؤلف كورنيلئوس فان بنكرشوك Cornelius Van Bynkershoek فى رسالة له عنوانها السيطرة البحرية De Dominio maris وقد ذكر فى هذه الرسالة أنه إذا كان البحر يعتبر ملكية عامة للجميع ، فإن السيطرة على البحار المجاورة تكون منطقية إذا اتفقت مع مدى مرمى قذيفة المدفع وتخضع لسيطرة أولئك الذين يملكون الساحل ، وما لبث أن أصبح ذلك أمرا مقبولا من معظم دول العالم وبناء على أن اقضى مسافة كانت تصلها قذيفة المدفعية فى مطلع القرن الثامن عشر كان مداها ثلاثة أميال بحرية ، فقد أصبحت هذه المسافة هى مدى المياه الإقليمية (بداية القرن الثامن عشر) ، ويبدأ بعدها البحر العالى أو المفتوح .

وحتى الآن فلا تزال بعض الدول تحدد مياهها الإقليمية بثلاثة أميال بحرية إلا أن تطور المدفعية أدى إلى أن عمدت بعض الدول إلى مد مياهها الإقليمية بما يتفق مع هذا التطور ، ولهذا تدرج مد المياه الإقليمية من أربعة أميال إلى ستة أميال ثم إلى عشرة أميال ثم إلى اثني عشر ميلا ، وعلى الرغم من ارتباط طول ومدى المياه الإقليمية بالدفاع ، فإن ثمة عددا من العوامل الأخرى التي ترتبط بذلك مثل محاربة التهريب ، وبناء على ذلك فقد مدت بريطانيا حدود مياهها الإقليمية لهذا الغرض لتصبح تسعة أميال بحرية وكان ذلك في عام ١٨٧٦ ، ثم مدت الولايات المتحدة الأمريكية حقوقها في المياه الإقليمية إلى أربعة فراسخ (١٢ ميلا بحريا) من الساحل ، ومن الطبيعي أن حقوق الصيد في المياه الإقليمية لا تكون إلا لرعايا الدولة صاحبة السيادة على المياه الإقليمية أو لمن تسمح لهم من رعايا الدول الأخرى ، وقد أثار ذلك كثيرا من المشكلات ولعل من هذه المشكلات ما يرتبط بحقوق السفن البريطانية في الصيد في المياه الإقليمية لأيسلندا ففي عام ١٩٤٨ قرر البرلمان الأيسلندي أن تكون حقوق الصيد في الرفرف القاري حول الجزيرة وفقا على لإيسلنديين ، ثم في عام ١٩٥٢ مدت حكومة أيسلندا هذا الحق إلى أربعة أميال بحرية من هذا الخط ، وفي عام ١٩٥٨ مدت أيسلندا هذا الحق إلى ١٢ ميلا بحريا ومنعت سفن الدول الأخرى من الصيد في تلك المياه ، وقد أثر ذلك بالدرجة الأولى على أساطيل الصيد البريطانية والألمانية وقد أثار قرار حكومة أيسلندا في عام ١٩٥٢ كثيرا من المعارضة والاحتجاج في بريطانيا ثم أدى قرارها في عام ١٩٥٨ إلى مزيد من المعارضة البريطانية وأخذ الأسطول البريطاني يتولى حراسة سفن الصيد البريطانية التي تعمل في هذه المناطق المائية التي أعلنت أيسلندا تبعية لها ، واستمر الأمر على هذا النحو حتى قررت أيسلندا في السبعينات أن تمد حقوق الصيد في مياهها إلى مسافة خمسين ميلا وقررت أن تقوم السفن الحربية التابعة لها بمنع سفن الصيد البريطانية



أقسام المناطق الساحلية

شكل رقم (١٩)

من العمل فى هذه المياه ، وكانت الزوارق الحربية الأيسلندية تصطدم أحيانا بالسفن الحربية البريطانية ، ومن المشكلات المماثلة ما يواجهه أسطول الصيد اليابانى فى المحيط الهادى أمام السواحل الروسية أو غيرها وهى مناطق ظل الأسطول اليابانى يرتادها لفترة طويلة ولكنه منع من ذلك ، كما تواجه السفن الأوربية وخاصة الإسبانية مشكلة مماثلة أمام السواحل المغربية ، وكثيرا ما تواجه سفن الصيد المصرية مشكلات أمام سواحل كل من السودان وإثريا واليمن . وقد مدت بعض دول أمريكا الجنوبية مثل شيلى وبيرو وإكوادور حق الصيد فى مياهها الإقليمية إلى ٢٠٠ ميل ومدت المغرب هذه الحقوق أمام سواحلها ٥٠ ميلا .

هذا ، ويمكن عموما تقسيم المناطق الساحلية إلى الأقسام التالية التى قد لا تتوفر فى كل السواحل ، ولكنها يمكن أن توجد جميعا فى بعضها :

١ - المياه الداخلية : Internal Water

وهي تضم الخلجان والمصببات الخليجية والبحيرات الساحلية التى تقع داخل الخط الذى يبدأ منه قياس البحر الإقليمى .

٢ - البحر اقليمي : Territorial Sea

وهو يمتد من خط أساسى ، يكون غالبا خط الساحل فى حالة حدوث أدنى جزر أو أى خط مشابه اخر يصل بين عدد من النقاط الثبته إلى مسافة محدودة فى البحر أو المحيط وفى داخل هذه المياه الإقليمية تكون سيادة الدولة مطلقة .

٣ - المنطقة المجاورة أو المتصلة Contiguous Zone

وهى نطاق يتفاوت فى اتساعه من دولة لأخرى ، وتمارس الدولة داخل هذا النطاق بعض الحقوق مثل حق التفتيش على السفن لمنع التهريب وأحيانا يكون هذا النطاق هو الذى يحظر فيه على السفن الأجنبية حقوق الصيد ، أو تعلن الدولة صاحبة الشأن عن امتلاكها لأى ثروات تكتشف فى قاع البحر فيه .

٤ - الرفرف القارى : Continiental Shelf

ويلاحظ أنه يصعب فى حالات كثيرة التفرقة بين الرفرف القارى والمنطقة المجاورة التى سبقت الإشارة إليها ، وعلى أى حال فإن معظم الحقوق المتعلقة بالرفرف القارى تتعلق بالثروات المعدنية ، وإن كانت بعض الحالات القليلة تجعل حق الصيد فيه وقفا على الدول التى تشرف سواحلها عليه ، وفى بعض الأحيان تعلن الحكومات عن امتلاكها للثروات فى هذه المناطق أيا كانت أعماقها ، كما حدث فى إعلان الحكومة ببيرو عام ١٩٤٧ ، ومعنى ذلك تجاوز حدود الرفرف القارى كثيرا .

٥ - البحر العالى : High Sea

وهو المنطقة التى تشكل معظم المسطحات المائية للبحار والمحيطات ، ويكون للسفن من كل دول العالم ومن مختلف الجنسيات ، حق المرور فى البحر العالى دون اعتراض ، ولا تملك أى دولة سلطة سياسية على البحر العالى أو المفتوح ، وما يجدر ذكره ، أن المساحات المائية التى تمثل البحار العالية هى الأجزاء الوحيدة

من سطح الكرة الأرضية التي لا تخضع لسلطة سياسية من أى نوع ولا تدخل ضمن سيادة أو مجال أى دولة .

الحدود الهندسية :

تضم الحدود الهندسية عددا من الأقسام الفرعية كما يلي :

- ١ - الحدود الفلكية وهي التى تتفق إما مع خطوط الطول وتتجه من الشمال إلى الجنوب وإما مع دوائر العرض فتأخذ اتجاهها من الشرق إلى الغرب .
- ٢ - الحدود التى تأخذ شكل خطوط مستقيمة أو دوائر لا تتفق مع أى خط من المخطوط الفلكية ، وقد تأخذ زوايا معينة على هذه المخطوط .
- ٣ - الحدود التى تمتد موازية أو على مسافات متساوية من أحد الأنهار أو السواحل ومعنى هذا أنها تربط بخط طبيعى ولكنها لا تلتزمه .

وبصفة عامة فإن الحدود الهندسية بأنواعها المختلفة تكون نتيجة للاتفاقيات والمعاهدات والمؤتمرات الدولية ، ولابد من توقيعها على خرائط دقيقة وتعتمد من الأطراف ذات الشأن ، وعندما يتم الاتفاق على هذه الحدود على موائد المفاوضات ودون تحقق من دقة البيانات على الطبيعة فقد يؤدي هذا إلى مفارقات كما حدث عندما خططت الحدود بين نيجيريا والكاميرون فى عام ١٩٠٣ فقد كان كل من البريطانيين (الذين كانوا يستعمرون نيجيريا) والألمان (الذين كانوا يستعمرون الكاميرون) يحددون خطوط الطول بطريقة مختلفة تعتمد على ملاحظة القمر ، مما نتج عنه اختلاف فى النتائج الحسابية لكل من الطرفين ولكن استخدام أجهزة القياس الحديثة يحول الآن دون حدوث مثل هذه الأخطاء .

والحدود الفلكية تكون أكثر ظهورا فى المناطق التى تعرضت للاستعمار غالبا ولذلك فإن معظمها يوجد خارج القارة الأوربية التى رسمت شعوبها خلال مرحلة الاستعمار معظم الحدود السياسية لبقية قارات العالم ، وقد تتعرض بعض هذه الحدود الهندسية للتعديل كما حدث بالنسبة لخط الحدود السياسية بين سرورية

والعراق فقد كان الخط الهندسى الأصى الذى رسم بين كل من نهري دجلة والفرات يقسم جبل سنجار الذى تعيش عليه عدة قبائل رعوية ، وقد درست إحدى لجان عصبة الأمم منطقة جبل سنجار وأوصت بضم المنطقة إلى العراق بعد تعديل الحدود وقد تم ذلك فعلا .

ومن الحدود الفلكية التى تتمشى مع خطوط الطول خط ١٤١ غربا بين ألاسكا ومنطقة يوكون الكندية ، ويمثل هذا الخط حد الأراضى الروسية فى ألاسكا قبل بيعها للولايات المتحدة فى عام ١٨٦٧ ، وكذلك فإن الحد الشرقى لدولة ليبيا ابتداء من خط ٢٠ شمالا يتفق فى معظمه مع خط طول ٢٥ شرقا سواء مع جمهورية السودان ، أو مع مصر حتى قرب دائرة عرض واحدة سيوة .

أما بالنسبة للحدود السياسية التى تتفق مع دوائر العرض فإن أشهرها فى العالم القديم هو خط الحدود المصرية السودانية الذى يتفق مع خط عرض ٢٢ شمالا ، كما أن كثيرا من الحدود الإفريقية فى أنجولا وموريتانيا وغينيا الاستوائية وبين أوغندا وتنزانيا عبر بحيرة فكتوريا كلها تتفق مع دوائر العرض . وفى العالم الجديد فإن أشهر هذه الحدود هو دائرة العرض ٤٩ شمالا التى تمثل خط الحدود السياسية بين كندا والولايات المتحدة ابتداء من Lake of the Woods حتى المحيط الهادى ، وهذا الخط لا يأبه بأى ظاهرات طبيعية يخترقها من جبال أو سهول ، ومنذ عام ١٨٤٤ فإن هذا الخط من أهدأ الحدود السياسية فى العالم بعد إجراء بعض التعديلات الصغيرة عليه نتيجة لأنه عندما تم تحديده لم تكن ثمة بيانات دقيقة عن شكل البحيرة ، وحين أجريت عمليات المسح ورفع البيانات على خرائط اتضح أن خط الحدود يقطع البحيرة خمس مرات وأنه توجد منطقتان من الأسافين الأمريكية تحيط بها المياه الكندية ولتفادى هذه التعقيدات تم تعديل خط الحدود .

أما بالنسبة للحدود التى تسير على مسافات وأبعاد متساوية من مجرى أحد الأنهار أو من خط الساحل ، فإن أكثرها شهرة هو حدود جامبيا فى غرب

إفريقية فمحدود هذه الدولة تسير على بعد عشرة كيلو مترات على جانبى النهر فيما عدا فى الغرب حيث تصبح الحدود خطوطا هندسية مستقيمة ليست موازية لمجرى النهر .

أما المخطوط التى تتبع فيها الحدود السياسية مسافات متساوية من خط الساحل فإنها كثيرا ما تكون بالغة التعقيد ومنها بعض حدود ألاسكا ، فعندما تم شراء ألاسكا من روسيا كان خط الحدود بمقتضى اتفاقية البيع هو ما يقع إلى الشمال من خط عرض ٥٦° شمالا ، ويتبع قمم الجبال الموازية للساحل حتى يلتقى بخط ١٤١° غربا ، ولكن لما كانت لا توجد قمم جبلية قرب الساحل الذى تكثر به التعاريج والخلجان والألسنة وتقابله جزر كثيرة فقد أدى هذا إلى كثير من النزاع بين الولايات المتحدة وكندا واستمر ذلك عدة أعوام ، وفى النص الفرنسى لبعض المعاهدات بين روسيا وبريطانيا فى عام ١٨٢٥ (وهو الذى تم بمقتضاه اتفاقية البيع إلى الولايات المتحدة فى عام ١٨٦٧) أن خط الحدود يتبع قمم الجبال التى تمتد موازية للساحل على بعد عشرة أميال بحرية من المحيط ، ويرسم الخط موازيا لتعرجات الساحل ونشأت المشكلة عن غموض التعريفات فمثلا لم يوضح معنى القمة ، وهل هى خط تقسيم المياه ، وكذلك لم يوضح المقصود بالساحل أو الشاطئ ، فهل يقصد به حد البحر المفتوح أم انهاء المياه الساحلية وهل هو خط المد أم خط الجزر ؟ وماذا تعنى كلمة المحيط فى الأجزاء التى تقابلها جزر ، فهل يبدأ المحيط بين الجزر واليابسة أم فيما وراء الجزر ؟ وهل يوجد فارق بين الساحل وتعرجات الساحل ؟ وكانت كل دولة من الدولتين تفسر النص الغامض لصالحها ، وفى عام ١٩٠٥ قامت لجنة تضم ثلاثة أعضاء من الولايات المتحدة وعضوين من كندا وعضو من بريطانيا برسم خط الحدود المتعرج الذى يربط بين القمم الجبلية ويوازن بين مطالب الدولتين ، ورسم خط الحدود موازيا للساحل حتى لو كانت القمم الجبلية تبعد عن الساحل بأكثر من عشرة أميال .

الفصل السابع

الخريطة السياسية للعالم المعاصر

تمثل الخريطة السياسية للعالم المعاصر نتاجا لتطور طويل مرت به الأمم والشعوب ، وانعكس هذا التصور على شكل العالم ووحداته السياسية ، وقد اختلف عدد الدول على خريطة العالم من وقت لآخر ، كما اختلفت أوزان الدول وأقدارها من عصر لآخر ، وإذا كانت المجتمعات البشرية الأولى قد شهدت بداية التنظيم الاجتماعى الذى طور الجماعات البشرية فى شكل العشيرة والقبيلة ، فإن التنظيم السياسى قد أدى إلى ظهور الدول بدرجات متفاوتة ، حيث بدأت الدول ذات المساحات والأبعاد الصغيرة المحدودة ، ثم نمت بعض هذه الدول لتشكّل امبراطوريات كبيرة وتوسع بعضها وامتد ليشهد العالم قوى كبرى تمتد عبر القارات ، ثم أدت الحروب والصراعات إلى اختفاء دول وظهور دول أخرى محلها ، وأحيانا إلى اندماج دول وظهور كيانات دولية جديدة ، وفى كثير جدا من الأحيان يبقى الماضى فى ذاكرة الشعوب ، ويسبب ذلك كثيرا من صور التوتر التى تتمثل فى أن بعض الأقليات والجماعات التى تشعر بالظلم تشكل نقاط ضعف ويؤثر التوتر فى جسم الدول التى تعيش بها ، وقد تسعى إلى الاستقلال أو الانفصال حيناً ، أو الالتحاق بجماعة أخرى تعيش فى دولة أو دول مجاورة .

وقد مرت خريطة العالم السياسية بكثير من التطورات ، ولعل التغيرات التى حدثت على هذه الخريطة فى القرن العشرين تفوق فى تفصيلاتها كل ما جرى من تغيير فى الماضى ، فقد بدأ هذا القرن ومعظم خريطة العالم موزعة على صورة دول تابعة أو أقاليم تخضع لقوى الاستعمار الأوربي ، وكانت القوى الدولية هى

القوى الاستعمارية الكبرى ، ثم قامت الحروب العالمية الأولى فحدثت انقلابا فى موازين القوى وانتهت هذه الحرب باختفاء بعض هذه القوى وتفتت بعضها الآخر ، كما قسمت ممتلكات ومستعمرات بعض الدول التى هزمت فى هذه الحرب على الدول المنتصرة ، وقامت الحرب العالمية الثانية فحدثت هى الأخرى انقلابا آخر فى موازين القوى ثم أنتهى الأمر بعد هذه الحرب بهزيمة مروعة لبعض الدول ، بل إن بعض هذه الدول قد هزمت قبل نهاية الحرب فقد اجتاحت جيوش هتلر كثيرا من الدول الصغيرة فى أوربا ، وأنتهى الأمر بهزيمة ألمانيا وتقسيمها ، وأدى ذلك إلى مزيد من تطور الشخصية القومية لدى شعوب المستعمرات ، وقامت حروب التحرير فى كثير من أجزاء العالم التى خضعت طويلا للاستعمار وبدأت قبضة دول الاستعمار تتراخى وتهاوت سيطرة تلك الدول تدريجيا فى نفس الوقت الذى بدأ عدد الدول المستقلة الحديثة يتزايد ، وتصبح تلك الدول حديثة العهد بالاستقلال أعضاء جدد فى المجتمع الدولى .

وإذا كانت دول العالم القديم قد نشأت فى معظمها ، مرتبطة بحضارات الانسان الأولى ، وخاصة حول البحر المتوسط ، وفى المنطقة التى تلتقى فيها القارات الثلاث المشكلة لهذا العالم القديم ، حيث نشأت مصر وفينيقييا ومن بعد ذلك نشأت امبراطوريات اليونان والرومان ، هذا إلى جانب دول أخرى فى مناطق الحضارات النهرية فى كل من العراق والهند والصين وغيرها ، فإن ذلك قد أدى إلى أن أصبحت هذه المنطقة - حوض البحر المتوسط - لفترة طويلة مهدا لقوى العالم الكبرى ، وظل ذلك حتى قامت حركة الكشف الجغرافية فانتقل مركز القوى إلى دول كانت هامشية بالنسبة لعالم البحر المتوسط ، وهى أسبانيا والبرتغال ، ثم من بعدهما بريطانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا التى كونت لنفسها مستعمرات واسعة سواء فى العالم القديم أو العالم الجديد الذى تم اكتشافه ، وقدر للقارة الأوربية أن تلعب الدور الأكبر فى رسم الخريطة السياسية للعالم عن

طريق الاستعمار والتوسع ، كما أن التقدم العلمى مكن لهذه الدول من أن تسيطر على الأرض التى تسكنها شعوب أخرى لم تنل من التقدم العلمى ما يمكنها من المناقسة أو المقاومة فأصبحت دولا تابعة ومستعمرات .

ثم حدث صراع بين القوى الأوروبية وبعضها البعض ، كما شاركت فى هذا الصراع قوى أخرى غير أوروبية ، ومن هذه القوى اليابان فى آسيا والولايات المتحدة الأمريكية فى نصف الكرة الغربى ، وقد أسفر ذلك عن توسع هائل لليابان وتكون إمبراطورية واسعة على غط الإمبراطوريات الغربية ، وعن توسع ألمانيا التى سعت هى الأخرى لتكون إمبراطورية واسعة على الرغم من أن نشأة ألمانيا كدولة موحدة فى أوروبا لم يحدث إلا فى القرن التاسع عشر ، وهو أمر يصدق أيضا على إيطاليا الحديثة . غير أن الصراع على زعامة العالم بعد الحرب العالمية الثانية كان بين قوتين شكلتا قطبى الصراع وهما الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى وظل الأمر كذلك حتى تفكك الاتحاد السوفيتى وانفردت إمبراطوريته ، ويحدث الآن كثير من التغير فى خريطة العالم السياسية ، فقد انتهى عصر الاستعمار القديم : ولم يعد على خريطة العالم سوى مساحات محدودة تضم أعدادا قليلة من السكان ، هى التى يمكن أن تمثل بقايا الاستعمار ، أما دول العالم التى تزيد الآن عن ١٨٠ دولة فهى دول مستقلة وإن اختلفت أوزانها :

وقد شهد العالم قيام المنظمات الدولية التى تهدف إلى منع استخدام القوة فى فض المنازعات الدولية ، ونشر السلام بين الأمم والشعوب ، وأثمر هذا الجهد الدولى فى قيام « عصبة الأمم » عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٧) ولكن قيام الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) أدى إلى قيام « هيئة الأمم المتحدة » ، التى لا تزال بعد نصف قرن من إنشائها تعمل على تحقيق نفس الأهداف ، وبدرجات متفاوتة من النجاح .

ولما كانت كل قارة من قارات العالم ، بل كل قطر من الأقطار ، لها ظروفها الخاصة ، فإن ذلك يتطلب دراسة للخريطة السياسية لكل قارة على حدة ، وتغير الخريطة السياسية فى قارة أوربا حدث نتيجة للصراعات بين الدول الأوربية وبعضها البعض سواء لزعامة أوربا أو السيطرة عليها ، وكذلك على مستعمراتها فى آسيا وإفريقيا ، بينما التغير الذى حدث فى كل من آسيا وإفريقيا ، كان فى معظمه نتيجة للتطور السياسى والصراع بين القوى المحلية أو الوطنية وبين قوى الاستعمار الغربى ، وكانت القوى الوطنية الإفريقية والآسيوية لما تزال بعد وليدة وتفتقر إلى كثير من المقومات على حين كانت قوى الاستعمار الأوربى مزودة بالقوة والتكنولوجيا والتقدم ومع ذلك فقد كتب النصر فى النهاية للقوى الوليدة ضد القوى الوطيدة .

وفيما يلى دراسة موجزة للخرائط السياسية فى قارات العالم كل على حدة .

أولا : الخريطة السياسية لإفريقية :

لم تكن القارة الإفريقية تعيش فى حالة من الفوضى حين قدم إليها الأوربيون بل لعل هذه القارة قد شهدت بداية محاولات الإنسان لإقامة وحدة سياسية فى مصر القديمة ، وقبل التاريخ المكتوب بأكثر من ثلاثة آلاف عام (حوالى ٣٢٠٠ ق م .) كانت قد نشأت دولة موحدة لها من النظم السياسية والقوانين ما يبسط ظله على كل أجزائها ، وكان بها حكم مركزى ينشر نفوذه فى كل ربوعها ، وفى تلك الفترة كانت كثير جدا من أجزاء الدنيا لما تزال بعد فى مرحلة ما قبل الكتابة ، أى ما قبل التاريخ ، ورغم ذلك فإن كثيرا من الكتابات عن القارة الإفريقية ، تصورها غابة استوائية مظلمة كثيفة الأشجار وجزيرة متخلفة وسط محيط من التقدم الذى ينشره الأوربيون ، ومتحفا للأنثروبولوجيا يرتاده

علماء أوربا ، كما لو كانوا يبحثون عن حلقة مفقودة فى نظرية التطور ، وينسى أولئك ما نشأ فى القارة من حضارات وأنظمة سياسية فى العصور القديمة والوسطى حتى أنهم لم يترددوا فى أن يطلقوا عليها « القارة المظلمة » أو « القارة السوداء » وفى الحقيقة فإن هذه القارة ، التى ظلت أرضا مجهولة بالنسبة للأوربيين حتى حركة الكشف الجغرافية ، لم تكن كذلك بالنسبة للعرب ، وكان « آزورارا » المؤرخ البرتغالى الذى عاش فى وقت يقارب الوقت الذى قام فيه ابن بطوطة برحلته فى القارة يرى أنه لا يوجد بشر على الشواطىء الغربية إلى الجنوب من رأس بوجادور وكان يرى أن البحر له شواطىء صخرافية لا أثر فيها للماء العذب أو الشجر أو العشب ، وأن ميناء البحر ضحلة لدرجة أنها لا ترتفع عن الأرض بأكثر من قامته واحدة بينما التيارات مخيفة لدرجة أن أية سفينة تتخطى تلك الرأس لا تعود ثانية بل إن بارثلميو دياز كان يعتقد فى عام ١٤٨٦ أن السفن التى تبحر إلى الجنوب من ساحل غانة ، لابد أن تصل إلى نهاية اليابسة ثم توقفت عن المسير لعدم وجره أرض تستطيع الرسو عليها .

وعلى الرغم من أن كثيرا من العقبات ، قد اعترضت عملية استكشاف السواحل الإفريقية بواسطة الأوربيين ، فقد استطاع أولئك فى نهاية الأمر ، وبمساعدة الملاحين العرب فى المحيط الهندى ، أن يتموا الدوران حول إفريقيا ويصلوا إلى الهند مكتشفين بذلك طريق رأس الرجاء الصالح وأسرار التجارة الموسمية فى البحار الشرقية . وهى التجارة التى كانت مصدرا مهما لغنى مصر المملوكية ، ويستلفت النظر أن أولى حملات البرتغاليين لكشف الساحل الإفريقى كانت فى عام ١٤١٣ ، وانتهت بالاستيلاء على مدينة سبته وتعيين الأمير هنرى - الذى اطلق عليه لقب الملاح فيما بعد - حاكما عليها فى عام ١٤١٥ ، وأن عملية كشف الساحل تمت فى بطن شديد ، فوصلت فى عام ١٤٤٥ إلى الرأس الاخضر ، وتم عبور خط الاستواء فى عام ١٤٧١ ، والوصول إلى مصب نهر الكونجو فى عام

١٤٨٢ ، ووصل بارثلميو دياز إلى الكيب وأسمها « رأس العواصف » فى عام ١٤٨٧ ، ولم تصبح ، « رأس الرجاء الصالح » أو الأمل الطيب (عشم الخير فى الخرائط المساحية الأولى) إلا بعد عشرة أعوام حين وصل إليها فاسكو داجاما فى عام ١٤٩٧ ، ثم ما لبثت أولى سفن البرتغاليين أن وصلت إلى الهند بقيادة داجاما فى عام ١٤٩٨ ، ومعنى ذلك أن هذه المرحلة لكشف الساحل الإفريقى استغرقت ٧٥ عاما ، ثم مرت فترة طويلة تصل إلى قرابة أربعة قرون (من عام ١٤٩٨ حتى عام ١٨٨٥) لم تكن صلة الاقطار الأوربية المختلفة بأجزاء القارة الافريقية قد استقرت فيها على نحو واضح ، فقد مرت بأطوار متعددة مثل اتخاذ مواضع معينة على الساحل لرسو الفن والتزود بالثونة والماء العذب ، ثم كانت مرحلة تجارة الرقيق التى شاركت فيها معظم الدول الاوربية وقاست منها القارة الإفريقية كلها ، وبصفة خاصة سواحلها الغربية ، وبعد ذلك بدأت مرحلة الاستعمار بمؤتمر برلين الذى عقد فى نهاية عام ١٨٨٤ وانتهى فى مطلع عام ١٨٨٥ وقد عقد من أجل تنسيق وتخطيط المشاريع الأوربية بشأن تقسيم افريقية .

مؤتمر برلين عام ١٨٨٥ وتقسيم افريقية :

بدأ انعقاد ذلك المؤتمر فى ١٨ من نوفمبر عام ١٨٨٤ وظل منعقدا حتى ٢٦ من فبراير عام ١٨٨٥ وقد اشتركت فيه دول أوربا الوسطى والغربية فيما عدا سويسرا ، حيث اشتركت فيه كل من النرويج والسويد ، والدنمرك وهولندا ، وبلجيكا ، بريطانيا ، فرنسا ، ألمانيا ، النمسا ، إسبانيا ، البرتغال ، إيطاليا ، وروسيا وتركيا أيضا ، كما شاركت الولايات المتحدة الأمريكية فى أعمال المؤتمر ، وقد وضعت الدول الأوربية الأربع عشرة المشتركة فى المؤتمر ميثاقا من ٣٨ مادة يتعلق معظمها بحرية الملاحة والتجارة فى نهر الكونغو ، وبالقضاء على تجارة الرقيق .

وقد مرُّ أكثر من قرن على عقد مؤتمر برلين ، وشهدت هذه الفترة كثيرا جدا من التغيرات فى الخريطة السياسية للقارة الإفريقية ، ولا يمكن أن نقارن ذلك بفترة الطواف حول القارة وكشف سواحلها والتي استغرقت نفس المدى الزمنى تقريبا ، كما لا يمكننا أيضا أن نقارن ما حدث فى هذه الفترة بما حدث قبل مؤتمر برلين ، وذلك أن التوغل الأوربي فى قلب القارة الإفريقية لم يبدأ إلا بعد عقد مؤتمر برلين ، وفى خريطة عام ١٨٨٤ تظهر عدة نطاقات ساحلية سيطرت عليها الدول الاستعمارية الغربية ويمكن أن نميز شريطا ساحليا للاستعمار الفرنسى فى كل من تونس (التى ثم احتلالها فى عام ١٨٨١) ، والجزائر التى احتلت فى عام ١٨٣٠ ، وفى كل من السنغال وساحل العاج وجابون ، وأشرطة أخرى من الاستعمار البرتغالى فى كل من أنجولا وموزمبيق وأشرطة للاستعمار البريطانى فى كل من غمبيا وسيراليون وساحل الكيب ، هذا الى جانب أشرطة ألمانية فى الكاميرون وجنوب غرب افريقية ، وهذه النطاقات الشريطية كلها ، فيما عدا تونس والجزائر وعلى المجرى الأدنى لنهر السنغال مستعمرة الكيب ، لم تكن تتعدى فى عمقها إلى الداخل بضع عشرات من الكيلو مترات .

أما فى عام ١٨٨٥ فقد ظهرت دولة الكونغو الحرة لتشمل معظم أجزاء حوض الكونغو ، كما ظهرت أيضا مستعمرة الكونغو الفرنسية وازداد عمق المستعمرة الألمانية فى جنوب غرب افريقيا إلى الداخل ، وفى عام ١٨٩٥ أى بعد مضى عشرة أعوام فقط على عقد مؤتمر برلين ، كانت تجرى عملية التكالب على إفريقيا ، وتسابق مختلف القوى الأوربية على استعمار أكبر مساحة من القارة ، وتظهر كثير من الحدود السياسية لأول مرة على خريطة إفريقيا عام ١٨٩٥ وهذه الحدود تفصل بين مناطق نفوذ دول الاستعمار ، أو تحدد مجال سيطرة كل منها دون أن توجد تفصيلات داخلية فى المساحات الكبيرة ، ولذلك نجد أن أول أجزاء القارة التى ظهرت فيها الحدود السياسية هى ما يقع إلى الجنوب من خط

الاستواء ، حيث يضيق اليبس ويعتدل المناخ وتقل الظروف الصحراوية ولذلك ظهرت الحدود بين مستعمرات البرتغال (أنجولا وموزمبيق) والمستعمرات الألمانية (إفريقيا الجنوبية الغربية وإفريقية الشرقية الألمانية التي أصبحت تنجانيقا فيما بعد) والمستعمرات البريطانية (الكيب ووسط إفريقيا البريطانية الذي يضم كلا من بتشوانالاند وروديسيا ونياسالاند) ثم المستعمرات البلجيكية وهي تشمل الكونغو ، أما إلى الشمال من ذلك فإن الحدود السياسية لم تكن قد تحددت بعد إلا بالنسبة لكل من ليبيريا وسيراليون والكميرون الألماني ومستعمرة ريوموني الإسبانية ، بينما كانت بعض الأجزاء من إفريقيا شمال خط الاستواء لا تزال ملكا للجماعات الوطنية ولم تصل إليها قوات استعمارية ولم ترفع عليها أعلام غربية ، ولكن ذلك لم يدم طويلا ، فما أن بدأ القرن العشرون حتى كانت الحدود الداخلية التي تقسم المستعمرات الكبرى - الفرنسية بوجه خاص - قد وضعت ، وظل الحال كذلك حتى منتصف القرن العشرين .

ومن الأمور ذات الدلالة ، أن نتائج الحروب بين القوى الأوربية ، هزيمة وانتصارا كانت تظهر على الخريطة السياسية للقارة الإفريقية رغم أن المعارك العسكرية وميادين القتال كانت على الأراضي الأوربية في معظم الأحيان ، فعلى إثر هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى اقتسمت ممتلكاتها كل من بريطانيا وفرنسا ، وعهد إليهما من قبل عصبة الأمم بأن تكونا دولا منتدبة لإدارة هذه المستعمرات ، فأخذت بريطانيا إفريقيا الشرقية الألمانية وأصبحت تعرف باسم تنجانيقا ، واقتطعت منها جزء صغير هو رواندا أورندي الذي ألحقته بتبعيته وإدارته بالكونغو البلجيكي ، وألحق إقليم جنوب غرب إفريقيا بإدارة جنوب إفريقيا البريطانية ، كما حصلت بريطانيا على ربع مساحة توجولاند والقطاع الغربي من الكميرون ، وبذلك فقدت ألمانيا كل مستعمراتها الإفريقية نتيجة لهزيمتها في حرب أوربية .

وحين استقرت الأحوال لدول الاستعمار الأوربي على أرض القارة كانت فرنسا تسيطر على أكبر مساحة من المستعمرات الإفريقية ، وإن كانت مستعمرات بريطانيا أكثر سكانا من المستعمرات الفرنسية .

ولم تصل الدولتان الأوربيتان المتنافستان إلى تلك النتيجة دون التعرض لاحتمالات التصادم بينهما على الأرض الإفريقية ، فعلى حين كانت بريطانيا تسعى جاهدة لمد نطاق مستعمراتها من أقصى جنوب القارة إلى أقصى شمالها انتهاء بمجد خط حديدى يصل بين الكيب والقاهرة فإن فرنسا كانت تحلم بحزام فرنسى يمتد من غرب القارة الإفريقية إلى شرقها واصلا بين السنغال والصومال الفرنسى وكان من الضروري أن تتلاقى هذه المخططات فى نقطة صدام تلتقى فيها خطط التوسع البريطانى بالمشروعات الفرنسية وكانت هذه النقطة هى فاشوده فى جنوب السودان ، وقد وقعت حادثة فاشوده الشهيرة فى عام ١٨٩٨ ، حين وصل إلى هذه البلد قائد فرنسى (هو الجنرال مارشان Marchand) ورفع العلم الفرنسى عليها بعد أن تقدم من الكونجو (الفرنسى) إلى بحر الغزال ثم وصل إلى فاشوده (كودك) ولكن ما لبث القائد البريطانى « كتشير » ان أدركه وأقنعه بأن هذه المنطقة مصرية وأنه يعمل فيها باسم مصر واضطر مارشان للانسحاب وبدأ فى السودان ما عرف بالحكم الثنائى .

وتأتى بعد فرنسا وبريطانيا من حيث مساحة المستعمرات الإفريقية كل من بلجيكا ثم البرتغال وألمانيا (حتى الحرب العالمية الأولى) وأخيرا تأتى إسبانيا فى نهاية قائمة الدول الأوربية التى تملك مستعمرات فى إفريقيا ، وترجع قلة نصيبها من المستعمرات الإفريقية إلى أن جهودها أُنْجِحت إلى العالم الجديد .

إفريقية بين أعوام ١٩٥٠ و ١٩٩٥ :

حين انتصف القرن العشرون ، لم تكن توجد بالقارة الإفريقية سوى ثلاث

دول مستقلة وهى ليبيا التى تعتبر أسبق الدول الافريقية استقلالا ، لأنها استقلت فى عام ١٨٤٦ ومصر التى استقلت فى عام ١٩٢٢ ومن الجدير بالذكر أن مصر ، طبقا للقانون الدولى ، لم تكن مستعمرة بريطانية على الإطلاق ، ولكنها كانت واقعة تحت الاحتلال البريطانى فقط ، ولهذا لم تكن يوما ما تابعة لوزارة المستعمرات البريطانية ، وإثيوبيا التى استعادت استقلالها فى عام ١٩٤٢ بعد فترة احتلال دامت خمس سنوات خضعت فيها لإيطاليا ، ويضيف بعض الكتاب دولة رابعة وهى اتحاد جنوب افريقية التى منحت الاستقلال فى عام ١٩٣١ وإن كانت تبعيتها لبريطانيا سياسيا ظلت أمرا قائما حتى أعلنت بها الجمهورية فى عام ١٩٦١ والواقع أن هذه الدول « المستقلة » لم تكن تحظى من الاستقلال بأكثر من واجهة للحكم ، ولكن كان للاستعمار أو القوى الأجنبية كثير من النفوذ فيها ، فدولة ليبيا أنشئت لتكون وطنا للمهاجرين من الزوج الأمريكين المحررين وهى إحدى مناطق النفوذ الأمريكى فى إفريقيا ، ومصر كان استقلالها فى عام ١٩٢٢ استقلالا صوريا ولم تقض معاهدة ١٩٣٦ على النفوذ البريطانى الذى ظل قائما فى مصر حتى ٢٣ يولية ١٩٥٢ ولا تخرج كل من إثيوبيا وجنوب افريقية فى صورتها العامة عن ذلك كثيرا ، ويضاف لذلك أن أى حديث عن « استقلال » جنوب إفريقيا يصدق على السكان البيض وحدهم دون أن ينصرف ذلك على السكان الوطنيين من الجماعات الافريقية ، ثم أضيفت إلى قائمة الدول المستقلة دولة خامسة فى عام ١٩٥١ وهى ليبيا ، وظل عدد هذه الدول ثابتا حتى عام ١٩٥٥ ، وإن كانت إريتريا قد استقلت فى عام ١٩٥٢ ودخلت مع إثيوبيا فى اتحاد فيدرالى مما أعطى لإثيوبيا جبهة بحرية على البحر الأحمر وبذلك لم تعد دولة داخلية حبيسة الهضبة الحبشية ، وفى عام ١٩٥٦ بدأت موجة الاستقلال تمتد لتشمل بعض مستعمرات فرنسا السابقة ، حيث استقلت كل من المغرب وتونس



شكل رقم (٢٠)

فى ذلك العام ، كما رضخت بريطانيا نتيجة لاتفاقية السودان مع مصر ، وأعلنت جمهورية السودان فى مطلع ذلك العام بعد إجراء استفتاء بين سكانه ، وما لبثت ساحل الذهب فى العام التالى (١٩٥٧) أن استقلت بعد أن ضمت إليها القسم الغربى من توجولاند الذى كان خاضعا للوصاية البريطانية ، وتغير اسم هذه الدولة الجديدة إلى جمهورية غانا ، وكانت أول دولة تحصل على استقلالها فى إفريقية السوداء ، وفى العام التالى (١٩٥٨) ما لبثت أن استقلت إحدى الدول التى كانت تابعة لإفريقية الغربية الفرنسية ، وهى جمهورية غينيا ، وكانت أولى دول المجموعة الفرنسية من مستعمرات غرب إفريقية التى تنال استقلالها .

ثم كان عام ١٩٦٠ هو « عام إفريقية » فقد نالت فيه ١٧ دولة إفريقية استقلالها وانضمت ١٥ دولة منها للأمم المتحدة وبذلك ازداد عدد الدول الإفريقية المستقلة وارتفع صوت القارة فى المنظمات الدولية ، وكانت أكثر من دولة تستقل فى الشهر الواحد من ذلك العام الحافل ، وهذه الدول هى الكاميرون (يناير) توجو (إبريل) وكل من مالا جاشى (جزيرة مدغشقر) والكونجو (البلجيكي سابقا أو كونجو كينشاسا) * ، وقد استقلتا فى شهر يونية ، كما استقلت فى شهر يولية كل من الصومال ، وتشاد ، ساحل العاج ، النيجر ، الفولتا العليا (برкина فاسو فيما بعد) والسنغال وداهومى وفى شهر أغسطس استقلت كل من الكونجو (الفرنسى سابقا أو كونجو برازافيل) وجابون وجمهورية إفريقية الوسطى ، ثم استقلت نيجريا فى أكتوبر وموريتانيا فى نوفمبر من عام إفريقية الذى شهد أكبر تحول فى الهوية السياسية لدول القارة بنيلها للاستقلال^(١) .

(*) تغير اسمه إلى زائير فيما بعد .

(١) استقل الصومال البريطانى فى ٢١ يونية ١٩٦٠ ، واتحدت مع الصومال الذى كان موضوعا تحت الوصاية الإيطالية ، حين استقل الأخير فى أول يولية ١٩٦٩ . أما اتحاد مالى فقد تكون فى عام ١٩٥٩ من كل من السنغال والسودان الفرنسى واستقل الاتحاد فى ١٣ يولية ١٩٦١ ثم انفصل السنغال فى ٢٥ أغسطس ١٩٦٠ مكونا جمهورية السنغال واحتفظت السودان « الفرنسى » باسم مالى أما داهومى فقد تغير اسمها وأصبحت تعرف باسم جمهورية بنين ، أما إفريقية الوسطى فقد أعلن رئيسها تحويلها إلى امبراطورية ، وأعلن نفسه امبراطورا فى عام ١٩٧٧ ، ثم حدث بها انقلاب ضد حكمه فى عام ١٩٧٩ وعادت للنظام الجمهورى مرة أخرى .

اما بعد عام ١٩٦٠ فقد سارت حركة الاستقلال الإفريقية بمعدل أبطأ ، خاصة وأن عدد المستعمرات قل كثيرا ، ففي عام ١٩٦١ استقلت تنجانيقا وسيراليون ، ثم استقلت في عام ١٩٦٢ كل من الجزائر ورواندا وبورندي ، وقد استقلت بورندي في ظل حكم ملكي ثم ما لبثت أن تحولت إلى جمهورية في نوفمبر ١٩٦٦ كما استقلت أوغندا ايضا في عام ١٩٦٢ في ظل النظام الملكي وتحول ملكها إلى رئيس للدولة في عام ١٩٦٣ ، وما لبثت أن أعلنت بها الجمهورية ، وفي عام ١٩٦٣ استقلت كينيا ، وفي يوليو ١٩٦٤ استقلت نياسالاند وتغير اسمها إلى مالاوي .

وفي ١٩٦٥ استقلت غمبيا ، كما أعلن قيام جمهورية تنزانيا من كل من تنجانيقا وزنجبار ، وفي عام ١٩٦٦ استقلت كل من ليسوتو (باسوتولاند سابقا) وبوتسوانا (بتشوانا لاند سابقا) وفي مارس ١٩٦٨ استقلت جزر موريشس ، كما استقلت سوازي لاند في سبتمبر ١٩٦٨ ، وفي اكتوبر ١٩٦٨ استقلت جمهورية غينيا الاستوائية وهي مكونة من المستعمرات الاسبانية السابقة في ريوموني وجزيرة فرنادويو ، ثم استقلت غينيا بيساو (غينيا البرتغالية سابقا) في عام ١٩٧٤ وفي عام ١٩٧٥ - استقلت كل من جزر الرأس الأخضر ، وجزر كومور (جزر القمر أو كومورز) ، وجزيرتا ساوتومي وبرنسيب ، وموزمبيق ، وفي عام ١٩٧٦ استقلت أنجولا وجزر سيشل ثم جيبوتي (الصومال الفرنسي أو اقليم العفار والعيسى سابقا) في عام ١٩٧٧ وقد أصبحت هذه الدول كلها أعضاء في منظمة الأمم المتحدة .

وفي عام ١٩٧٤ أعلنت إسبانيا عن الجلاء عن مستعمراتها في « الصحراء الغربية » التي عرفت باسم الصحراء الاسبانية ، أو وادي الذهب (ريودورو) ، حيث تم في البداية اقتسامها بين كل من المغرب وموريتانيا ، غير أن قيام حركة بين سكانها تهدف إلى الانفصال عن الدولتين وتكوين جمهورية مستقلة هي

الجمهورية الصحراوية ، أدى إلى حرب عصابات لم تكن موريتانيا مستعدة لها ، وسرعان ما تخلت عن القسم الجنوبي الغربي الذي كان قد ألحق بها ، فى الوقت الذى أعلن المغرب عن ضمه للإقليم كله ، وفى الوقت نفسه أعلنت جبهة تحرير الصحراء الغربية « البوليساريو » ، قيام الجمهورية الصحراوية على الصحراء الغربية أو « الساقية الحمراء ووادي الذهب » ، وقد أعترفت بها بعض الدول الإفريقية ، ومنظمة الوحدة الإفريقية مما أدى إلى انسحاب المغرب من عضوية الأخيرة ، وتقوم الأمم المتحدة بجهود لإجراء استفتاء بين السكان ، غير أن ثمة مشكلات كثيرة بشأن هذا الاستفتاء ، واتهامات متبادلة بين المغرب وجبهة البوليساريو حول قوائم الناخبين الذين لهم حق الاشتراك فى الاستفتاء .

وفى عام ١٩٨٠ استقلت روديسيا تحت حكم وطنى وتغير اسمها من روديسيا « الجنوبية » إلى زيمبابوى ، وكانت الأقلية البيضاء التى لا تضم سوى ٢, ٥ ٪ من سكانها قد أعلنت استقلالها تحت حكم عنصرى لم يعترف به العالم ، كما نالت ناميبيا استقلالها فى ٢١ مارس ١٩٩٠ وانتهت بذلك صفحة طويلة من المشكلات التى كانت تثيرها جنوب إفريقيا حول استقلال ناميبيا ، كما أعلن استقلال اريتريا فى ١٩٩١ .

وفى عام ١٩٩٣ حدث تطور هام للغاية فى جمهورية جنوب إفريقيا ، التى ظلت تطبق سياسة « الأبارتهايد » أو التفرقة العنصرية ، وتحكمها الأقلية البيضاء ، بينما تحرم الأغلبية السوداء من المشاكة فى الحكم ، ثم انتهى الأمر بمفاوضات أدت إلى إجراء انتخابات وأعطى السود رأيهم لأول مرة ، واختاروا نوابهم ، وأصبحت جنوب إفريقيا دولة ديمقراطية لأول مرة فى تاريخها منذ سيطرة الرجل الأبيض عليها ، وأجريت الانتخابات فى ٢٧ إبريل ١٩٩٤ لانتخاب حكومة وحدة وطنية وانتهت بنور المناضل الإفريقى « نلسون مانديلا » وحزبه بأكبر عدد من المقاعد وأصبح رئيسا للجمهورية على حين أصبح « فريدريك دى كليرك » الذى كان رئيسا فى ظل النظام العنصرى نائبا للرئيس . غير أن الخريطة

السياسية لإفريقيا تتعرض لشكل آخر من التغيرات بعد أن نالت كل دولها تقريبا استقلالها السياسى ، فلا زالت القبلية تسفر عن صراعات بين كثير من أبنائها ، ولعل المشكلات القائمة فى كل من السودان وخاصة فى جنوبه ، وفى الصومال ، وفى رواندا وبورندى وفى أوغندا وزائير ، هذه المشكلات كلها تعوق التقدم وتسفر عن عشرات الآلاف من الضحايا وعن مئات الآلاف من اللاجئين الذين يتركون أوطانهم فرارا بحياتهم ، وتكفى الإشارة هنا إلى مثال على هذا مما يحدث فى بورندى ، حيث تمثل قبيلة الهوتو Hutu أغلبية السكان (٧٥ ٪ تقريبا) وقبيلة التوتسى Tutsi تمثل أقلية لا تتعدى ٢٥ ٪ من السكان ، غير أن هذه الأقلية هى التى تحكم البلاد وتملك معظم عناصر الثروة ، وتغانى الأغلبية من الفقر والاضطهاد ، حيث تدبر المذابح لهم ويطردون فرارا كلاجئين ، ويقدر أن أكثر من نصف مليون منهم فروا إلى الدول المجاورة وخاصة فى رواندا وأوغندا وزائير ، حيث يقيمون فى معسكرات وأحوال متدنية .

ثانيا : الخريطة السياسية لآسيا :

القارة الآسيوية هى أكبر قارات العالم مساحة وسكانا ، وقد شهدت مولد حضارات قديمة أسهمت فى تطور البشرية مثل حضارات العراق والصين والهند وفلسطين والساحل الشرقى للبحر المتوسط ، كما أن جزءا من حضارة اليونان القديمة قام على الشواطئ الآسيوية فى آسيا الصغرى ، وإلى جانب ذلك فقد كانت لآسيا أهميتها الكبرى حيث أن رسالات السماء الكبرى نزلت على أنبياء وشعوب فى الأرض الآسيوية وبخاصة فى جنوب غرب آسيا مهد الديانات الكتابية : اليهودية والمسيحية والإسلام .

وقد شهدت آسيا مولد إمبراطوريات ضخمة فى الماضى وهى تشهد الآن قيام عدد من القوى الكبرى الفعلية والاحتمالية ، ومع ذلك فقد خضعت كثير من

الأراضي الآسيوية والشعوب ذات الحضارات لأنواع مختلفة من الاستعمار الأوربي وقد امتدت رياح الثورة والاستقلال إلى تلك الأقطار وأدى ذلك إلى تغير واضح في الخريطة السياسية لآسيا ، خاصة في أعقاب الحرب العالمية الثانية .

وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى كانت الدولة العثمانية تسيطر على جزء كبير من جنوب غرب آسيا يشمل معظم أجزاء شبه الجزيرة العربية فيما عدا سواحلها الجنوبية والشرقية التي وطدت فيها بريطانيا نفوذها لتأمين مواصلاتها إلى الهند ، وأمتد النفوذ التركي ليشمل العراق والكويت وفلسطين والشام ، ولكن انتهت الحرب العالمية الأولى بتقسيم تركية « الرجل المريض » وهو الاسم الذي أطلق على الدولة العثمانية في أيامها الأخيرة ، وقبل أن تقوم بها الجمهورية التركية في عام ١٩٢٢ ، لقد انتدبت عصبة الأمم غداة الحرب العالمية الأولى كلا من فرنسا وبريطانيا لإدارة بعض الأقاليم التي كانت تابعة للدولة العثمانية فأصبحت بريطانيا منتدبة على فلسطين وشرق الأردن والعراق ، بينما انتدبت فرنسا لإدارة الشام الذي يشمل سورية ولبنان ، وقد انتهت الحرب العالمية الأولى وكذلك الحرب التركية اليونانية بأن أصبحت الجمهورية التركية عند قيامها لا تمتد إلا على أراض شبه جزيرة الأناضول أو آسيا الصغرى ، إلى جانب جزء تذكاري في أوربا وهو يمثل الظهير الأوربي لمدينة اسطنبول ويعرف باسم تراقيا الشرقية .

ومن المشكلات التي ترتبت على الإدارة الاسمية الضعيفة والولاية المستغلين الذين كانوا يتبعون الباب العالي في تركيا ، أن فلسطين التي انتدبت عليها بريطانيا تعرضت لسيل من الهجرة اليهودية المنظمة والتي كانت تهدف إلى إقامة وطن قومي لليهود تضمهم من الشتات الذي يعيشون فيه كأقليات تعيش في أحياء العزلة في مدن العالم كله تقريبا ، وكان للمساعدات التي قدمها بعض زعماء اليهود لبريطانيا أثر في صدور وعد بالفور في نوفمبر عام ١٩١٧ ، والذي ينص على أن حكومة بريطانيا تنظر بعين العطف لإنشاء وطن قومي لليهود في

فلسطين ، وقد أسهمت الإدارة البريطانية لفلسطين فى استكمال الدور الذى أدى إتيه إهمال الإدارة العثمانية وهو تحويل فلسطين إلى منطقة اجتذاب للمهاجرين والمستوطنين اليهود أو إقامة القرى العسكرية التى ما لبثت أن تحولت إلى ركائز لإقامة الدولة اليهودية غداة خروج بريطانيا من فلسطين فى ١٤ مايو ١٩٤٨ ، ولا شك فى أن بعض النظم المالية وخاصة الضرائب وما يتمتع به اليهود من قدرة مالية وتنظيم هادف ، قد عملا معا على تشجيع عمليات شراء الأراضى من العرب للصندوق القومى اليهودى ، وكانت الجماعات الإرهابية اليهودية تستعد لليوم الذى تخرج فيه القوات البريطانية فأعلنت استقلال إسرائيل فى ١٥ مايو ١٩٤٨ وكان ذلك بداية لسلسلة من الحروب العربية الإسرائيلية فى ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، ثم أخيرا ١٩٧٣ ، ولا تزال المشكلة تثير كثيرا من عدم الاستقرار فى المنطقة ، ويرتبط بمشكلة فلسطين تكوين المملكة الأردنية الهاشمية التى ظهرت كإمارة تحمل اسم شرق الأردن ثم ألحقت بها إدارة الضفة الغربية للنهر بعد قيام إسرائيل وأعلنت بعد ذلك أنها تتكون من أراضى الضفتين وتغير اسمها إلى المملكة الأردنية الهاشمية ، وبعد احتلال إسرائيل للضفة الغربية فى عام ١٩٦٧ بدأت تظهر مواقف متناقضة بين كل من الأردن وإسرائيل وسكان الضفة ، وفى عام ١٩٩٤ ، وقعت الأردن اتفاقا مع إسرائيل وتم تبادل السفراء بينهما ، كما وقع اتفاق الحكم الذاتى بين فلسطين وتمثلها منظمة التحرير الفلسطينية ، وبدأ التطبيق الفعلى لمنطقة غزة - أريحا ، غير أنه لا تزال حتى نهاية ١٩٩٥ توجد مشكلات كثيرة بين الجانبين ، وإذا قدر لهذه المشكلة أن تنتهى نهاية ترضى عنها الدول العربية ، فإن هذا يعنى حل واحدة من أطول المشكلات وأعقدها فى تاريخ العرب الحديث وهى مشكلة فلسطين ، ولعل توقيع اتفاقية الحكم الذاتى فى مرحلتها الثانية فى طابا فى ٢٤ سبتمبر ١٩٩٥ يكون خطوة على الطريق .

أما جزيرة قبرص فقد تولت بريطانيا إدارتها منذ عام ١٨٧٨ ثم أعلنت

الحاقها بها وأصبحت قاعدة رئيسية لها فى البحر المتوسط ابتداء من عام ١٩١٤ حين قامت الحرب العالمية الأولى ، وتشكلت حركة مقاومة فى الجزيرة انتهت باستقلالها وعضويتها للأمم المتحدة فى عام ١٩٦٠ ولكن ظهرت بعد ذلك مشكلات داخلية نابعة من أن سكان الجزيرة ينقسمون إلى قبارصة أترك وقبارصة يونانيين وأدى عدم التوازن بينهما إلى غزو تركيا للجزيرة حيث أعلنت الأقلية التركية استقلالها وتكوين جمهورية خاصة بها ولم يوافق القبارصة اليونان ، ولا الحكومة اليونانية على ذلك ، ولا تزال المشكلة قائمة ، ولم تعترف بالجمهورية التى أعلنتها الأقلية التركية سوى تركيا وحدها .

وفى عام ١٩٣٢ تم توحيد المملكة العربية السعودية من سلطنة نجد وملحقاتها ومملكة الحجاز التى سقطت لسقوط حكم آخر ملوكها وهو الملك على ابن الحسين ، ثم ما لبثت أن تحققت لأجزاء أخرى من شبه الجزيرة العربية صور من الاستقلال عن الاستعمار البريطانى فإلى جانب اليمن التى كانت مستقلة منذ الحرب العالمية الأولى ، استقلت الكويت فى عام ١٩٦١ ثم استقلت عدن والمحميات الجنوبية وتكونت جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية فى عام ١٩٦٧ ثم استقلت بقية أنحاء شبه الجزيرة وأصبحت كلها أعضاء فى الأمم المتحدة فى عام ١٩٧١ ، وهى البحرين وقطر ودولة الامارات العربية المتحدة التى تكونت نتيجة لاستقلال إمارات ومشيخات الساحل المهادن التى كانت ترتبط بعدد من الاتفاقيات مع بريطانيا كما أن المنطقة المحايدة بين السعودية والكويت قد قسمت بين الدولتين فى عام ١٩٧٢ وان لم تنشر نصوص الاتفاقية ، وقد ترتب على ذلك التغير فى خريطة شبه الجزيرة العربية عدد من المشكلات بين السعودية وجيرانها مثل واحة البوريمى بينها وبين أبو ظبى (الامارات العربية المتحدة فيما بعد) وبينها وبين اليمن الجنوبية (واحة الوديعة) ولكن سويت هذه النزاعات مؤقتا

على الأقل ، واتحدت دولتا اليمن فى دولة واحدة فى ٢٢ مايو ١٩٩٠ ، ثم جرت محاولة من القسم الجنوبى للانفصال مرة أخرى فى ١٩٩٤ ولكنها لم تنجح .

ومن الأجزاء الصغيرة التى حدث فيها تغيير للحدود منطقة كارس - أردهان Kars - Ardahan التركية ، فقد تناوت المنطقة كل من روسيا وتركيا ، وفى الحرب الروسية التركية عام ١٨٧٧ - ١٨٧٨ استولت روسيا على المنطقة ولكن بعد قيام الثورة الروسية عام ١٩١٧ عقدت معاهدة فى عام ١٩٢١ تم بمقتضاها إعادة المنطقة إلى تركيا ثم عقدت فى عام ١٩٢٥ معاهدة عدم اعتداء بين كل من الاتحاد السوفيتى وتركيا ولكن فى نهاية الحرب العالمية الثانية بدأ الاتحاد السوفيتى يطالب بإعادة المنطقة ولكن ذلك لم يتحقق .

ولعل أهم الغيرات الكبرى فى الخريطة الآسيوية هى التى حدثت فى جنوب آسيا وجنوبها الشرقى ، وفى جنوب آسيا تم استقلال شبه القارة الهندية فى عام ١٩٤٧ ، ولكن فى صورة دولتين هما الهند والباكستان وكانت الأخيرة تتكون من قسمين يفصل بينهما أكثر من ألف ميل من الأراضى الهندية ، ثم استقلت بورما فى عام ١٩٤٨ ، وقطعت سلتها ببريطانيا بعد قرن كامل وقد غيرت اسمها فيما بعد إلى ميانمار ، وفى العام نفسه أصبحت سيلان عضوا فى الكمنولث البريطانى بعد استقلالها ، وقد ظلت كشمير مشكلة بين الهند والباكستان نظرا لعدم تطبيق أسس التقسيم عليها وقامت بسببها كثير من أوجه النزاع بين الهند والباكستان ، ثم انفصلت باكستان الشرقية فى عام ١٩٧١ ، وتم قيام دولة مستقلة هى بنجلاديش التى لم تدخل عضوا فى الأمم المتحدة إلا فى عام ١٩٧٤ ، وقد قامت الهند بكثير من المساعدة لقوات بنجلاديش ضد قوات الباكستان حتى تم الانفصال ، وحدث توتر على الحدود الصينية الهندية بشأن التبت وبعض الأراضى الأخرى كما حدث نزاع على الحدود الصينية الروسية فى منطقة الحدود عند نهر أمور (عند رواقده أو سورى) وبعد تجاهل طويل من المنظمات الدولية للصين

الشعبية اضطرت المنظمة الرئيسية وهي الأمم المتحدة إلى قبول عضوية الصين الشعبية عضوا بها وعضوا دائم العضوية فى مجلس الأمن الدولى بعد أن احتلت الصين الوطنية هذا المقعد طويلا ، ولا تزال الصين الشعبية تعتبر تاىوان (فرموزا - الصين الوطنية) إقليما تابعا لها لا بد من ضمه على حين تعتبر فرموزا الصغيرة أن تحرير الصين الشعبية أمر لا بد من حدوثه .

وفى جنوب شرق آسيا حدث توسع هائل لليابان فى الحرب العالمية الثانية ولكن هزيمة اليابان فى الحرب أدت إلى إعادة سلطة دول الاستعمار الأوربى إلى كل من اندونيسيا والملايو والسلطة الامريكية إلى الفلبين ، ثم عادت فرنسا إلى الصين الهندية ولكن ذلك كله لم يدم طويلا فما لبثت كل من اندونيسيا والملايو أن استقلت وتكون اتحاد ماليزيا من الملايو وبعض الجزر وسنغافورة التى ما لبثت أن استقلت وانفصلت عن الاتحاد ، كما استقلت كل من لاوس وكمبوديا وفيتنام التى شهدت حربا طويلة وانتهت بتوحيد كل من فيتنام الشمالية والجنوبية بعد انتهاء الوجود الامريكى ، وقد حاربت فيتنام اليابانيين (١٩٤١ - ١٩٤٥) ثم الفرنسيين (١٩٤٦ - ١٩٥٤) ثم الأمريكيين حتى ١٩٧٥ ، وأعلن توحيد البلاد مرة أخرى فى يونية ١٩٧٦ ، وكانت الفلبين قد استقلت فى عام ١٩٤٦ بعد فترة انتقال حددتها الولايات المتحدة لتهيئة شعب الجزر للاستقلال .

وكانت الحرب الكورية قد قامت إثر هزيمة اليابان فى الحرب العالمية الثانية واصبح خط عرض ٣٨ شمالا يفصل بين كل من كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية كخط إدارى ولكن سيطرة الشيوعيين على القسم الشمالى والعمل على توحيد شبه الجزيرة كله أدى إلى اندلاع الحرب عام ١٩٥٠ لمدة ثلاثة اعوام ، ولا يزال الموقف كما هو عليه ، حيث يمثل خط ٣٨ شمالا حدا سياسيا بين الدولتين بعد أن كان فى الاصل حدا لكل من الجيش الروسى فى الشمال والجيش الامريكى فى الجنوب فى

الحرب العالمية الثانية التي كانت كل من روسيا وأمريكا فيها من بين الحلفاء ،
وتتوتر الحدود بين الدولتين حيناً وتجرى مفاوضات للترديد بينهما حيناً آخر .

كما انحسرت موجة الاستعمار البرتغالي عن جزيرة تيمور والهولندي عن
إيران الغربية وأصبحتا من الأراضي الداخلة في جمهورية إندونيسيا ، وإن كانت
بعض القلاقل تثور ضد سلطات اندونيسيا في الجزيرتين من حين لآخر .

أما أفغانستان فهي دولة داخلية مغلقة ، وظلت لفترة طويلة تمثل دولة حاجزة
تفصل بين الامبراطورية الروسية في شمالها والامبراطورية البريطانية في جنوبها ،
ولكن حدث بها انقلاب انتهى بحكم شيوعي وتدخلت روسيا في غزو لمساندة
النظام الحاكم في ١٩٧٩ واضطرت للانسحاب بعد أكثر من عشرة أعوام في ١٥
فبراير ١٩٨٩ بعد أن تكبدت أكثر من ١٥٠٠٠ قتيل ، ولكن ترتب على غزو
روسيا لأفغانستان أن سقطت هيبة الاتحاد السوفيتي مما كان أحد أسباب انهياره ،
كما أن الحرب الأهلية التي استمرت أربعة عشر عاماً في أفغانستان لم تنته بعد
خروج القوات الروسية فقد تحولت الفصائل الأفغانية إلى محاربة بعضها البعض
وغياب صورة الدولة ذات السلطة والسيادة وهو ما يزال قائماً حتى نهاية عام
١٩٩٥ ، وقد ترتب أيضاً على الحرب الأفغانية أكثر من ٢ مليون من القتلى وأكثر
من خمسة ملايين من اللاجئين الذين فروا من بلادهم إلى الدول المجاورة وخاصة
باكستان ، كما أثار العائدون من أفغانستان مشكلات عديدة في دول العالم حيث
أنهم يمثلون أهم مصادر القلاقل أو ما أصبح يعرف بالإرهاب في تلك الدول .

وفي بعض الأحيان تؤدي الأحداث الداخلية في قطر ما إلى أصداء خارجية
فقيام الثورة الإيرانية حدث داخلي أنهى حكم أسرة الشاه محمد رضا بهلوي وبداية
حكم آيات الله من رجال الدين ، غير أن ما صاحب هذه الثورة من اضطراب في
الداخل أغرى العراق بسحب موافقتها على اتفاقية الجزائر الموقعة في عام ١٩٧٥ ،

وترتب على ذلك قيام الحرب العراقية الإيرانية (١٩٨١ - ١٩٨٨) دون خروج أحد الجانبين منتصرا ، وبموافقة العراق مرة أخرى على اتفاقية الجزائر بشأن تنظيم الملاحة في شط العرب والحدود بينها وبين إيران ، وكل ما جناه الشعبان هو مئات الآلاف من القتلى وتشريد أعداد أكبر وتعطيل عمليات التنمية وتخريب شبكات البيئة الأساسية .

ثم قامت العراق بغزو الكويت في ٢ أغسطس ١٩٩٠ ولم تنجح المحاولات العربية والدولية في إثنائها عن ذلك وإقناعها بالانسحاب ولكنها اضطرت إزاء تحالف دولي شاركت فيه الولايات المتحدة وعدد آخر من القوى الغربية والعربية ، إلى الانسحاب في ٢٦ فبراير ١٩٩١ ، وأدى هذا الأمر إلى تعطيل طاقات عربية هائلة وحدث شرخ في العلاقات العربية وتدخل عربي لم يخل من أهداف لا تخدم المصالح العربية ، حتى أنه يمكن القول بأن هذا الأمر قد عطل مسيرة التنمية اقتصاديا ومسيرة الوحدة العربية سياسيا .

كما توجد اضطرابات داخلية في كثير من أجزاء آسيا أدت إلى ظاهرات جديدة ، فمع المعاناة الشديدة لشعب فيتنام وبعض دول جنوب شرق آسيا تقوم الأسر بالهجرة الجماعية في قوارب غير آمنة بقصد اللجوء إلى دولة ترعاها وتكون بها فرص أكبر كاليابان حيناً أو الولايات المتحدة حيناً آخر والدول الأوروبية ، ويقدر عدد هؤلاء بمئات الآلاف من فيتنام وحدها .

كما لا تزال مشكلة كشمير بلا حل وسبباً في توتر يتجدد دائماً بين كل من الهند والباكستان ، وتقوم جماعات غور التاميل في سرى لانكا بحرب عصابات مستمرة ضد الحكومة تؤدي إلى فقدان الأمن وإلى مزيد من الضحايا من أبناء الشعب العزل .

ثالثا : الخريطة السياسية لأوروبا :

على الرغم من أن الشعوب الأوروبية التي خرجت فى أكبر حركة استعمارية عرفها التاريخ هى التى رسمت معظم الحدود السياسية للقارات الأخرى فإن أوروبا نفسها تعرضت لكثير من التغيرات التى فرضتها العلاقات بين الدول الأوروبية إلى حد كبير .

ويتضح من دراسة الخريطة السياسية أن القسم الغربى منها أكثر ميلا إلى الاستقرار فى حدوده من القسمين الأوسط والشرقى ، ومنذ مؤتمر فينا عام ١٨١٥ الذى عقد بعد انتهاء حروب نابليون حتى مطلع القرن العشرين كانت التغيرات قليلة نسبيا ، ولكن حدثين أساسيين قد أثرا على الخريطة فى تلك الفترة أولهما ظهور المانيا تحت زعامة بروسيا فى عام ١٨٧٠ وانفصال المانيا عن النمسا التى كانت جزءا من دولة كبيرة هى الإمبراطورية النمساوية المجرية ، وأما التغير الثانى فهو قيام الوحدة الإيطالية فى عام ١٨٧٠ وأصبحت الدولة البابوية جزءا من إيطاليا وكان للنمسا فى ذلك الوقت مخرج على البحر المتوسط حين امتدت إلى الجنوب من جبال الألب والسيطرة على ميناء استريا Istria ، وقد أدى تفكك الإمبراطورية العثمانية إلى استقلال الأقاليم التى كانت تسيطر عليها فى جنوب شرقى أوروبا وهى رومانيا ، والصرب واليونان كما أصبحت سيطرتها على بلغاريا اسمية فقط إلى حين ، وكما سبق فإن كل ما تبقى لتركيا فى عام ١٩٢٢ كان الجزء الذى يمثل ظهيرا لمدينة اسطنبول وهو تراقيا الشرقية .

وفى وسط أوروبا أخذت ألمانيا الإلزاس واللورين من فرنسا عقب الحرب الفرنسية البروسية كما استولت على شلزويج وهولشتين من الدنمرك ، ولم ينجح الاتحاد الذى أقيم بمقتضى معاهدة فينا فى عام ١٨١٥ باسم اتحاد الاراضى المنخفضة ويضم كلا من بلجيكا وهولندا فقد انفصلتا فى عام ١٨٣٠ .

وفى الفترة التى تمتد بين مطلع القرن العشرين ونهاية الحرب العالمية الثانية حدثت كثير من التغيرات على الخريطة السياسية لأوروبا ، بدأت عقب انتهاء الحرب العالمية الاولى ، حيث ظهرت كل من فنلندا ، استونيا ، لا تيفيا ولتوانيا ، بولندا ، تشيكوسلوفاكيا ، رومانيا ، بلغاريا ، الصرب ، ألبانيا واليونان وتعرضت كل من ألمانيا والإمبراطورية النمساوية المجرية لفقد أجزاء كبيرة من الأراضى التى كانت تسيطر عليها كل منهما وظهرت بولندا على أجزاء من كل من ألمانيا والنمسا وروسيا وأصبح لها اتصال بالبحر البلطى وهو الذى عرف باسم الممر البولندى ، وأنشئت مدينة دانزج الحرة فى محاولة لحل المشكلات الناتجة عن النزاع البولندى الألمانى ، ولكن ذلك الحل لم يكتب له النجاح وكانت بولندا قد ظهرت واختفت أكثر من مرة من خريطة أوروبا السياسية وحين أعاد نابليون انشاء دوقية وارسو الكبرى لم تستطع أن تعيش بعد سقوطه فى عام ١٨١٥ فاستولت عليها روسيا القيصرية ، وفى عام ١٨٤٨ ضمت النمسا آخر جزء من الأراضى البولندية إليها ، ولم تعد بولندا إلى الظهور مرة أخرى إلا فى عام ١٩١٨ ، وفى مؤتمر الصلح بباريس جرت محاولات متعددة لتعديل الحدود على أسس لغوية وبذلك تم فصل بروسيا الشرقية عن بقية الأراضى الألمانية واستمر ذلك بين أعوام ١٩١٩ إلى ١٩٣٩ حين غزا هتلر بولندا فبدأت بذلك الحرب العالمية الثانية .

ويمكن إيجاز التطورات على الخريطة السياسية لألمانيا منذ الحرب العالمية الأولى وحتى إعادة توحيد ألمانيا فى ٣ أكتوبر ١٩٩٠ فيما يلى : -

١ - فى عام ١٩١٤ كانت ألمانيا تشمل مساحة واسعة ، وتطل على كل من البحر البلطى وبحر الشمال وتمتد من الإلزاس واللورين غربا حتى بروسيا فى الشرق ، وكانت تحدها من الشرق روسيا (القيصرية فى ذلك الوقت) ، وفى



الشكل رقم (٢١)

جنوبها الامبراطورية النمساوية المجرية ثم سويسرا فى جنوبها الغربى ، وفى غربها كل من فرنسا وبلجيكا وهولندا ولكسمبورج ، وفى شمالها الدانمرك .

٢ - فى الفترة بين الحربين (١٩٢٠ - ١٩٣٨) تغيرت خريطة أوروبا بعد الحرب العالمية الأولى ، وتفككت الامبراطورية النمساوية المجرية وظهرت مكانها كل من تشيكوسلوفاكيا والمجر والنمسا ، كما ظهرت بولندا التى أعطيت ممرا إلى البحر البلطى عرف بالممر البولندى أو ممر دانزج (جدانسك فيما بعد) ويفصل جزءا من الأراضى الألمانية فى الشرق وهى بروسيا الشرقية عن بقية الأراضى الألمانية ، كما عدلت الحدود الشمالية لصالح الدانمرك ، وكذلك فقدت ألمانيا الإلزاس واللورين لفرنسا .

٣ - فى الفترة ١٩٤٥ - ١٩٩٠ ، أى بعد الحرب العالمية الثانية تقلصت مساحة ألمانيا بقدر أكبر ، حيث فقدت فى شرقها أرضا لصالح بولندا التى وسعت جبهتها البحرية على البحر البلطى ، كما توسعت أراضىها البرية ، وإلى جانب ذلك فقد قسمت الأراضى الألمانية إلى قسمين هما ألمانيا الشرقية التى خضعت لسيطرة الروس وألمانيا الغربية التى أصبحت تحت احتلال ثلاثى (أمريكى وبريطانى وفرنسى) أى أن الحلفاء اقتسموا احتلال الأراضى الألمانية ، كما خضعت العاصمة برلين للتقسيم ، بحيث سيطر الروس على برلين الشرقية وسيطر الحلفاء الغربيون على برلين الغربية .

وحين أعيد توحيد ألمانيا فى عام ١٩٩٠ كان ثمة عدد من الشكوك التى انتابت جيرانها الذين ضمو إلى رقعتهم أرضا ألمانيا ، وخاصة بولندا ، غير أن ألمانيا طمأنت الجميع باعترافها بالحدود السياسية الحالية مع بولندا وغيرها وأنها بذلك لا تميل إلى إعادة فتح ملف الحدود ، وقد أصبح عدد سكان ألمانيا الموحدة فى عام ١٩٩٢ ما جملته ٨٠,٢ مليون نسمة وهى بذلك أكبر الدول

الأوربية سكانا بعد روسيا ، غير أن نموه موجد جديدة من السداء للأجانب بين الشباب الذين يطلق عليهم النازيون الجدد ، وقد تصاعدت الحملة مرات متعددة خاصة ضد الأتراك .

هذا وقد استردت فرنسا إقليم الإلزاس واللورين من ألمانيا وضمت الدنرك نتيجة لإجراء استفتاء بين السكان جزءا من شلزوج ، أما الاقاليم الصغيرة - أوبن وملمدى Eupen & Malmedy فقد اقترعت بالانضمام إلى بلجيكا وضمت مل Memelland إلى لتوانيا . ووصلت حدود إيطاليا إلى قمم جبال الألب بأن استولت على استريا التي خضعت للنمسا بعض الوقت ، وفي عام ١٩١٨ أعلنت أيسلندا استقلالها وإن بقيت موالية للتاج الدنركي ثم انفصلت الاقاليم الجنوبية من جزيرة أيرلندا وتكونت جمهورية أيرلندا ، أما أيرلندا الشمالية فقد ظلت جزءا من المملكة المتحدة وإن كانت الحرب الاهلية بين الكاثوليك والبروتستانت قد استمرت طويلا حتى عقد اتفاق في ١٩٩٤ بين الحكومة البريطانية والجيش الجمهوري الأيرلندي .

وفي اقصى شمال غرب أوروبا انفصلت السويد والنرويج في عام ١٩٠٥ بعد أن كانت النرويج تابعة للسويد وقد أعلنت السويد موافقتها على هذا الانفصال الذي أنهى الاتحاد بين الدولتين ، والذي كان قد بدأ في عام ١٨١٤ .

ومن المشكلات التي ظلت قائمة لفترة طويلة بين ألمانيا وفرنسا مشكلة السار والرور فقد استولت عليهما فرنسا أكثر من مرة وفي عام ١٩٣٥ أجرى استفتاء بين سكان السار وعادت المنطقة بمناجمها إلى ألمانيا ولكن في عام ١٩٤٥ وقعت تحت الاحتلال الفرنسي ثم عادت إلى ألمانيا في عام ١٩٥٦ وفي يناير عام ١٩٥٧ أصبح الإقليم العاشر في جمهورية ألمانيا الاتحادية ، أما إقليم الرور فقد احتلته فرنسا في عام ١٩٢٧ ولكنه أعيد إلى ألمانيا بعد ذلك حيث يعتبر واحداً من أهم أقاليم ألمانيا الصناعية .

أثر سقوط الشيوعية :

على الرغم من أن النظام الداخلى لأى دولة أو مجموعة من الدول قد لا يؤثر بطريقة مباشرة على الخريطة السياسية ، إلا أن سقوط الشيوعية فى روسيا فى عام ١٩٨٩ ثم فى دول أوروبا الشرقية بعد ذلك أدى إلى تغير ملحوظ فى الخريطة السياسية ، وبدرجة تفوق ما أحدثته بعض الحروب من تغيير فى هيكل الخريطة السياسية ، وإذا كان « الاتحاد السوفيتى » السابق قد تمكن لفترة طويلة من فرض سيطرته وسياسته على دول « المعسكر الشرقى » ، وكانت الجيوش الروسية تتدخل حينما تريد ، كما حدث فى المجر وفى تشيكوسلوفاكيا ، أو كما حدث فى أفغانستان ، فإن إعلان تفكك الاتحاد السوفيتى فى ديسمبر ١٩٩١ أدى إلى تغيرات واضحة فى خريطة أوروبا السياسية على النحو التالى : -

١ - حل محل « الاتحاد السوفيتى » ١٥ دولة ، كونت عشر دول منها ما عرف باتحاد الدولة المستقلة أو الكمنولث الروسى ، هذا إلى جانب خمس دول أخرى أثرت الاستقلال وهى أذربيجان وجورجيا بين بحر قزوين والبحر الأسود فى منطقة القوقاز ، وجمهوريات البحر البلطى الثلاث استونيا ولتوانيا ولاتفيا .

وهذه الدول يمكن أن تقسم إلى مجموعات ثلاث :

المجموعة الأولى وتشمل روسيا نفسها أو جمهورية « روسيا الاتحادية الفيدرالية » كما كان يطلق عليها قبل ذلك ، وهى قوة أوربية وإن كانت قد امتدت إلى شرق الأورال فى سيبيريا وإقليم بيكال وحتى الشرق الأقصى ، وهى أكبر الدول مساحة - على مستوى العالم - وأكبر دولة من حيث حجم السكان فى الاتحاد السوفيتى سابقا ، وهى دولة تملك أسلحة نووية متقدمة .

والمجموعة الثانية تضم دولا أوربية ، وقد انضمت أربع منها إلى الكمنولث الروسى وهى أرمينيا وروسيا البيضاء ومولدوفا وأوكرانيا وأما بقية الدول التسع

فهى أذربيجان وجورجيا ، إلى جانب دول البحر البلطى الثلاث استونيا ولتوانيا ولاتفيا ، وبعض هذه الدول تملك تكنولوجيا متقدمة وخاصة أوكرانيا وروسيا البيضاء .

وأما المجموعة الثالثة فهى تضم مجموعة دول آسيا الوسطى الإسلامية وهى أقل الدول تطورا فى الاتحاد السوفيتى السابق وتشمل جمهوريات كازاخستان وقرغيزيا وطاجيكستان وتركمينيا وأوزبكستان .

هذا ، وقد حلت روسيا محل الاتحاد السوفيتى السابق فى عضوية الأمم المتحدة وحصلت على مقعد دائم فى مجلس الأمن وأصبحت كل سفارات الاتحاد السوفيتى السابق فى الخارج تابعة لها ، ويلاحظ أن سياسة النظام الروسى السابق قامت على أساس نشر « الروس » داخل كل أجزاء الاتحاد السوفيتى السابق ، ولهذا يوجد ٢٥ مليون روسى يعيشون فى الجمهوريات الأخرى ، ويمكن لهؤلاء أن يمثلوا عنصر قلق فى المستقبل .

ومن المشكلات التى ترتبت على تفكك الاتحاد السوفيتى صحة القوميات التى ظنت الشيوعية أنها قضت عليها ، وأدى ذلك إلى مناداة كثير من القوميات الصغيرة التى عانت من الحكم المركزى فى ظل الاتحاد السوفيتى نادت هذه القوميات بالاستقلال داخل أوطان مستقلة ، ومن هذه الأقاليم ناجورنو كاراباخ Nagorno Karabakh وأبخازيا Abkhazia والشيشان والأنجوش وغيرها من الأقاليم ، غير أن السياسة التى يقوم عليها الاتحاد الروسى الجديد قد تعاملت مع هذه الرغبات فى الاستقلال بعنف واضح وخاصة مع الشيشان المسلمين ، ويلاحظ أن ما لقيه المسلمون من عنف فى ظل الاتحاد السوفيتى ، قد أثمر مخاوف من تسرب ما يطلق عليه « الأصولية الإسلامية » إلى هؤلاء السكان ، أما أكبر الفائزين من تفكك الاتحاد السوفيتى فكان جمهوريات البحر البلطى استونيا

وليتوانيا ولااتفيا التى لم تعترف بعض الدول الغربية أصلا باحتلال الاتحاد السوفيتى لأراضيها ، وقدمت إليها المعونات فور إعلاتها الاستقلال

٢ - فى ديسمبر ١٩٩١ أعلنت أربع من الجمهوريات الست التى كانت تشكل دولة يوغوسلافيا أنها ترغب فى أن تكون جمهوريات مستقلة وأعضاء فى المجتمع الدولى وهذه الجمهوريات هى البوسنة والهرسك ، كرواتيا ، مقدونيا ، وسلوفينا ، بينما أثرت الجمهوريتان الباقيتان وهما صربيا والجبل الأسود أن يحتفظا باسم يوغوسلافيا .

وكانت يوغوسلافيا دولة ملكية حتى عام ١٩٤١ ثم أصبحت جمهورية اشتراكية تحت زعامة تيتو منذ عام ١٩٤٥ ، وأكبر المشكلات التى نتجت عن تفتت يوغوسلافيا السابقة أن الجمهوريات الست تتشابه فيها مختلف الأعراق مما يؤدى إلى خليط متنافر من اللغات والثقافات هذا إلى جانب وجود كل من المسلمين والمسيحيين معا ، ولم تستطع الشيوعية أن تحو العداوات التى تفشت بينهم ، ، كما أن جيش الدولة الشيوعية السابقة كان معظمه من الصرب الذين احتفظوا بأسلحتهم وكون كل من الصرب والكروات فى جمهورية البوسنة والهرسك التى أعلنت استقلالها فى ٢٧ مارس ١٩٩٢ ، كون هؤلاء فرقا وأعلن كل فريق منهم انضمامه إلى الدولة التى تمثل أغلبية عرقية له ، أى أن صرب البوسنة أعلنوا انضمامهم إلى صربيا ، كما أعلن كروات البوسنة انضمامهم إلى كرواتيا ، وهكذا وجدت جمهورية البوسنة والهرسك نفسها فى حرب منذ إعلان مولدها ، وبرغم الوجود الرمزي لقوات من الأمم المتحدة لحفظ السلام ، إلا أن هذه القوات نفسها لم تسلم من اعتداءات الصرب على نحو خاص على مقر الأمم المتحدة أو على ما أطلق عليه « مناطق آمنة » لا يجوز الاعتداء عليها .

ونظرا لتطبيق الصرب لسياسة « التطهير العرقى » فقد فر مئات الآلاف من

المسلمين نتيجة للمذابح وحالات الاغتصاب التي تمت من الصرب ، وقدّر عدد اللاجئين بحوالى ٧٥٠.٠٠٠ من البوسنة والهرسك إما إلى كرواتيا أو خارج يوغوسلافيا السابقة كلية إلى دول أوروبية أخرى أو إلى خارج أوروبا .

ولدولة البوسنة والهرسك ساحل قصير للغاية فهي دولة شبه مقفلة وتحيط بها من الشمال والغرب كرواتيا ، أما فى الجنوب فتوجد جمهورية مقدونيا وهى دولة مقفلة لا سواحل لها ، وهى لم تنل اعتراف معظم دول العالم نظرا لأن اليونان احتجت على اسم الدولة لأن إقليم شمال اليونان يعرف باسم مقدونيا ، وتخشى اليونان أن يكون اسم هذه الدولة الجديدة مقدمة لأطماع إقليمية بالتوسع فى إقليم مقدونيا اليونانى مستقبلا .

وصربيا نفسها دولة داخلية إلا أن اتحادها مع الجبل الأسود جعل لها سواحل على البحر الأدرياتي ، ويوجد إقليمان يتمتعان بالحكم الذاتى فى صربيا وهما فويفدنيا فى الشمال وكوسوفو فى الجنوب ، وحتى نهاية عام ١٩٩٥ فإن السلام لم يتحقق بعد فى الجمهوريات التى قامت على أرض يوغوسلافيا السابقة .

٣ تقسيم تشيكوسلوفاكيا ، وقد ظهرت تشيكوسلوفاكيا كدولة عقب انهيار الامبراطورية النمساوية المجرية بعد الحرب العالمية الأولى ، وكانت تمتد إلى الشرق متضمنة إقليم روتينيا الذى استولت عليه روسيا أثناء الحرب العالمية الثانية وضمته إليها ليكون لها اتصال مباشر مع المجر ، وكان عدد الألمان كبيرا جدا فى هذه الدولة ، حتى أنها طردت منهم أعدادا ضخمة فى عام ١٩٤٥ ، غير أن عدم التوازن بين كل من أعداد وأراضى التشيك والسلوفاك كان من مشكلات هذه الدولة ، هذا إلى جانب الأثر الجغرافى والاقتصادى لألمانيا عليها وهو ما لم يكن مبعث رضى لعنصر التشيك على نحو خاص .

وكان السلوفاك يعتبرون أنفسهم أقل حظا بالاتحاد مع التشيك وأنهم مواطنون من الدرجة الثانية ، فى الوقت الذى كان التشيك ينظرون فيه إلى السلوفاك على أنهم لا يرضون بما ينقل إليهم من موارد الجزء الغربى الذى يمثل

أراضى التشيك إلى أراضيهم التى تشغل الثلث الشرقى الفقير ، وأن السلوفاك يعوقون تقدم الدولة وتطورها .

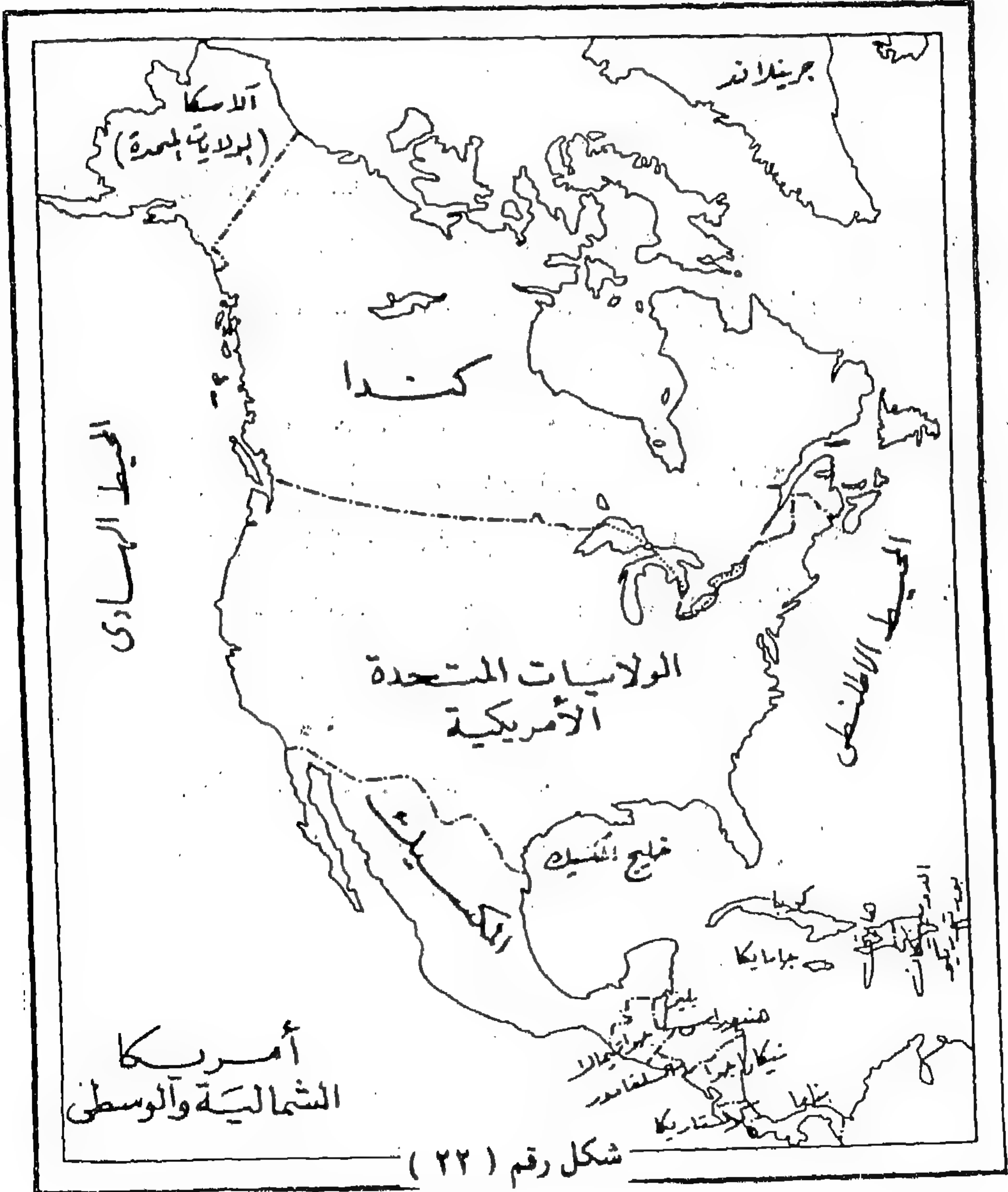
وفى عام ١٩٩٢ كانت العقول مهيأة بعد سقوط الشيوعية فى ١٩٨٩ لتعيش كل قومية من القوميتين فى الوطن الذى يضمها ، وقررت المؤسسات التشريعية والنيابية حدوث هذا الانقسام الذى أصبح سارى المفعول فى أول يناير ١٩٩٣ ، ويمكن القول بأنه انقسام تم فى هدوء ودون مشكلات كتلك التى صاحبت عزق كل من الاتحاد السوفيتى أو يوغوسلافيا ، ومع ذلك فإنه لا يزال يوجد ٣٠٠,٠٠٠ من السلوفاك الذين يعيشون فى جمهورية التشيك ، كما يوجد حوالى ٥٠,٠٠٠ من التشيك الذين يعيشون على أرض سلوفاكيا ، وقد تشير هذه الأقليات مشكلات مستقبلا .

ومن الغريب أن هذا التمزق فى دول أوروبا الشرقية يقابله اتجاه إلى الوحدة الاقتصادية فى أوروبا الغربية ، التى تسعى إلى قيام أوروبا الموحدة ، فبعد أن قامت السوق الأوروبية المشتركة ابتداء من عام ١٩٥٧ على إثر اتفاقية روما من ست دول هى بلجيكا وهولندا ولكسمبورج وإيطاليا وفرنسا وألمانيا الغربية ، ثم انضمت كل من الدنمرك وأيرلندا والمملكة المتحدة فى عام ١٩٧٣ وانضمت اليونان فى عام ١٩٨١ ثم اسبانيا والبرتغال فى ١٩٨٦ وفى ١ / ١ / ١٩٩٥ أنضمت كل من النمسا وفتلندا والسويد وأصبح اسم السوق هو الاتحاد الأوربي ، وينتظر أن تنضم إليه دول أخرى بعضها كان من بين دول أوروبا الشرقية التى تحولت إلى اقتصاديات السوق الحرة .

رابعاً: الخريطة السياسية للعالم الجديد :

يضم العالم الجديد كلا من الأمريكتين وأستراليا وعديدا من الجزر ومجموعات الجزر فى هذه القارات وقد خضعت كل أجزاء هذا العالم الجديد للاستعمار الأوربي ، وعلى الرغم من أن السكان الاصليين فى تلك القارات جميعا كانت لبعضهم - خاصة فى أمريكا الوسطى والجنوبية - حضارات وأنظمة سياسية إلا أن التنظيم السياسى الكامل تم بواسطة الشعوب الأوربية التى هاجرت ملايين

من سكانها واستقرت في هذه الأجزاء وأصبحت تشكل قوميات جديدة منفصلة عن أصولها القديمة ، وقد استقلت هذه الدول في معظمها عن القوى الأوربية وإن بقيت اللغات الأوربية التي انتقل الافراد من أوطانها الأصلية حيث توجد الإنجليزية والاسبانية والبرتغالية والإيطالية في معظم دول العالم الجديد كلغات قومية ، حتى أصبحت التفرقة على أساس لغوى بين أمريكا الشمالية أو الأنجلو ساكسونية وأمريكا اللاتينية أي أمريكا الوسطى والجنوبية، أمرا مستقرا .

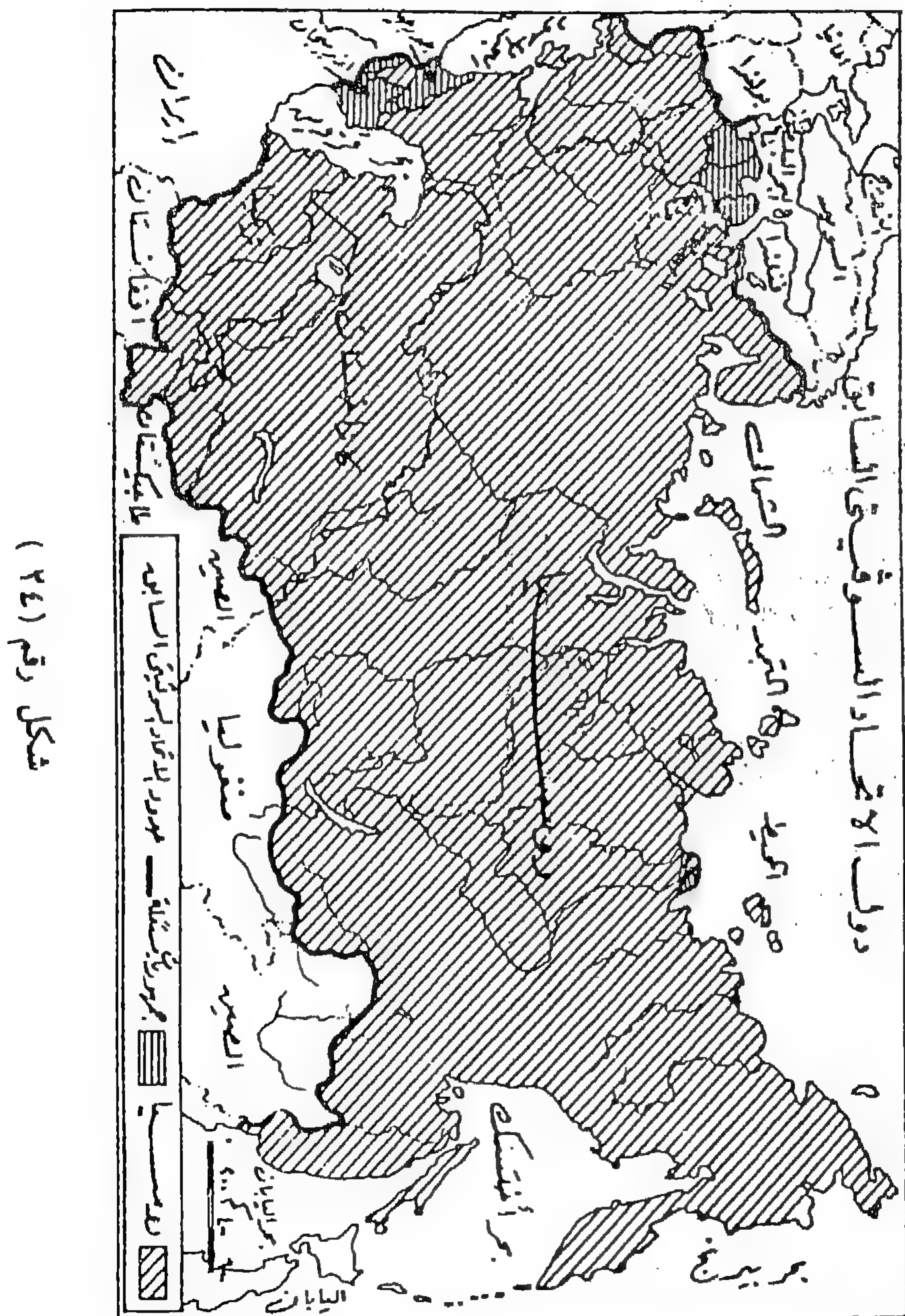


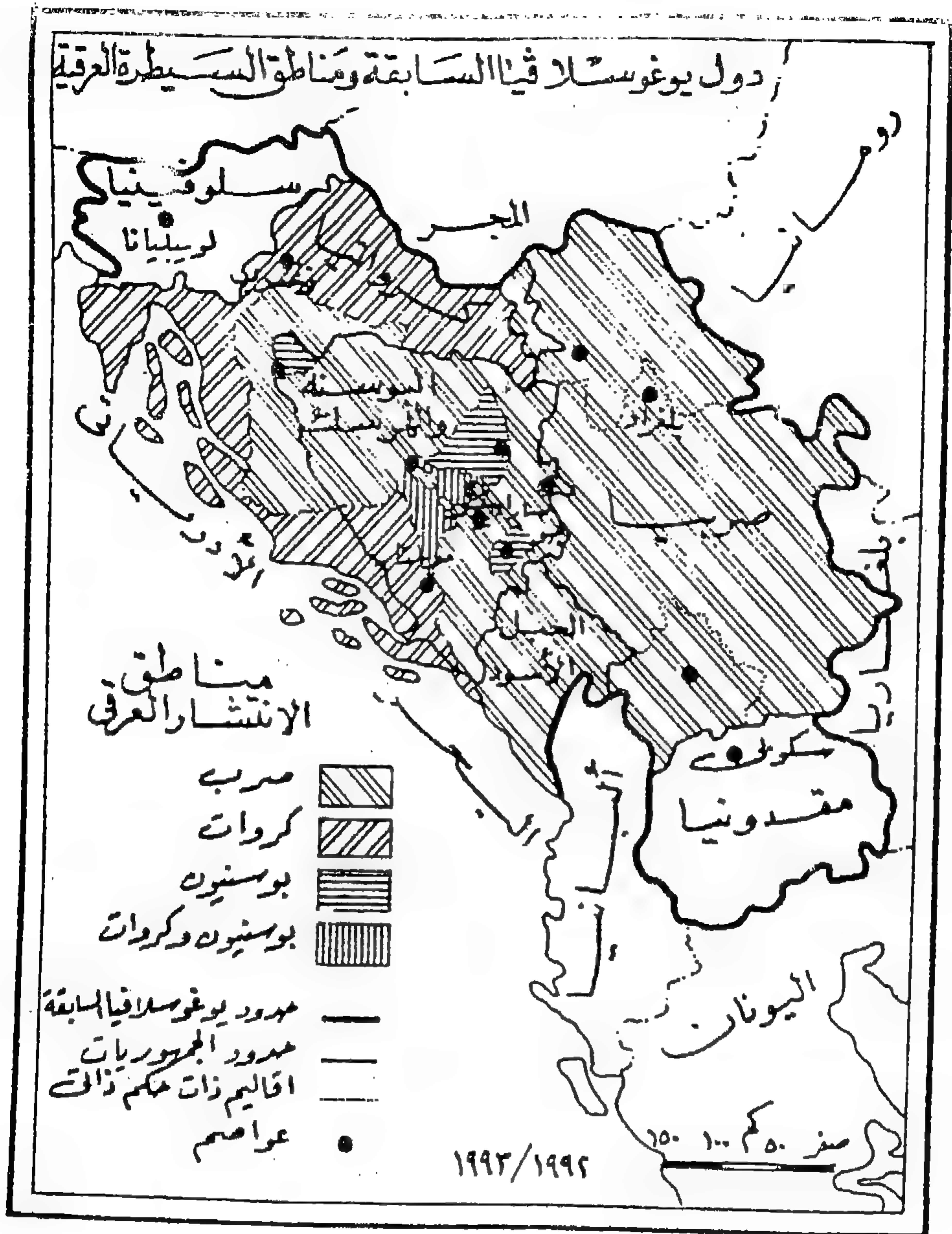
وعلى الرغم من حداثة ظهور الدول فى العالم الجديد ، إلا أن الولايات المتحدة تمثل قوة كبرى فى عالمنا المعاصر ، كما أن عددا كبيرا من الدول الأخرى تمثل قوى اقتصادية تلعب أدوارا هامة فى السياسية والتجارة الدولية ، فيما عدا استراليا التى تحتل قارة كاملة فإن كلا من الأمريكتين ينقسم إلى عدد من الوحدات السياسية ، والعلاقات بين هذه الوحدات فى معظمها علاقات طيبة وإن كان التوتر يحدث أحيانا ، وربما يكون أهم أسباب التوتر بين هذه الدول فى السنوات الأخيرة ما يتصل بالخلافات المذهبية فقد أعلنت بعض الحكومات مثل كوبا وشيلي - لبعض الوقت - اتخاذ الماركسية مذهبها سياسيا واقتصاديا لها وأدى ذلك إلى أزمة الصواريخ الروسية المشهورة فى كوبا عام ١٩٦٢ ، واضطر الاتحاد السوفيتى إلى سحب صواريخه من الجزيرة ، أما الحكم الماركسى فى شيلي فلم يستمر طويلا ، ويلاحظ أن الانقلابات العسكرية أمر مألوف فى معظم دول أمريكا اللاتينية على عكس الحال فى أمريكا الشمالية وأستراليا التى استقرت أحوال الحكم بها منذ فترة طويلة .



شكل رقم (٢٣)

وقد ظلت أمريكا الجنوبية لفترة طويلة تتكون من عشر جمهوريات وثلاث مستعمرات وهي جيانا الهولندية وجيانا البريطانية وجيانا الفرنسية ، وقد استقلت المستعمرتان الهولندية تحت اسم سورينام والبريطانية تحت اسم جوايانا وأصبحتا من أعضاء الأمم المتحدة .





شكل رقم (٢٥)

خامسا: المستعمرات والأقاليم التابعة:

ظلت خريطة العالم السياسية حتى منتصف القرن العشرين تقريبا مظللة بألوان توضح المستعمرات التي كانت فيها قارات كاملة أحيانا موزعة على قوى

الدول الاستعمارية وخاصة الامبراطوريات البريطانية والفرنسية والإسبانية والبرتغالية ، والهولندية والإيطالية وفي بعض الوقت الألمانية واليابانية ، غير أن رياح الاستقلال كانت تؤدي إلى تعديلات دائمة على خريطة العالم السياسية بانضمام دول جديدة إلى قائمة الدول المستقلة وتقلص أعداد ومساحات المستعمرات .

ولا تزال توجد حتى الآن بعض البقايا لجيوب من المستعمرات التي تشغل في معظم الأحيان مساحات محدودة ودولا صغيرة من حيث الحجم السكاني ، والمستعمرات ومناطق النفوذ التي لا تزال باقية حتى الآن هي كما يلي موزعة حسب القوى المسيطرة عليها : -

(أ) أقاليم تابعة للمملكة المتحدة :

١ - أنجويلا Anguilla في البحر الكاريبي

٢ - برمودا Bermuda شمال الأطلسي.

٣ - جزر فيرجن Brit. Virgin بالبحر الكاريبي

٤ - جزر كايمان Cayman بالبحر الكاريبي

٥ - جزر فوكلاند Falkland جنوب غرب الأطلسي

٦ - جبل طارق Gibraltar جنوب أيبيريا

٧ - جورنسي Guernsey بشمال غرب أوربا

٨ - هونج كونج Hong Kong ساحل الصين

٩ - جزيرة مان Isle of Man جنوب بريطانيا

١٠ - جرزي Jersey شمال غرب أوربا

- ١١ - مونتسيرات Montserrat بالبحر الكاريبي
- ١٢ - جزيرة بتكارين Pitcairn بجنوب الأطلنطي
- ١٣ - سانت هيلانة Saint Helena بجنوب الأطلنطي
- ١٤ - جزر تركس وكيكوس Turks and Caicos بالبحر الكاريبي

(ب) أقاليم تابعة لفرنسا

- ١ - جيانا الفرنسية Fr. Guiana شمال أمريكا الجنوبية
- ٢ - بولينيزيا Polynesia جنوب المحيط الهادى
- ٣ - جواديلوب Guadelope بالبحر الكاريبي
- ٤ - المارتنيك Martinique بالبحر الكاريبي
- ٥ - مايوت Mayotte بجزر القمر
- ٦ - كاليدونيا الجديدة New Caledonia جنوب المحيط الهادى
- ٧ - ريونيون Réunion بالمحيط الهندى
- ٨ - سانت بيير وميكلون St. Pierre and Miquelon شمال الأطلنطي
- ٩ - واليس وفوتونا Wallis and Futuna بجنوب المحيط الهادى

(ج) الولايات المتحدة الأمريكية:

- ١ - ساموا الأمريكية Am. Samoa جنوب المحيط الهادى
- ٢ - جوام Guam شمال المحيط الهادى
- ٣ - مارياناس الشمالية N. Marianas شمال المحيط الهادى

٤ - بالاو Palau شمال المحيط الهادى

٥ - بورتوريكو Puerto Rico بالبحر الكاريبى

٦ - جزر فيرجن الأمريكية (U.S.) Virgin Islands بالبحر الكاريبى

(د) أستراليا

١ - جزيرة كريسماس Christmas بالمحيط الهندى

٢ - جزر كوكوس (كيلنج) Cocos (Keeling) بالمحيط الهندى

٣ - جزيرة نورفولك Norfolk بالمحيط الهادى

(هـ) نيوزيلاند

١ - جزر كوك Cook جنوب المحيط الهادى

٢ - نيو Niue جنوب المحيط الهادى

٣ - توكيلاو Tokelau جزر المحيط الهادى

(و) هولندا

١ - آروبا Aruba بالكاريبى

٢ - الانتيل الهولندية Ne. Antilles بالكاريبى

(ر) - الدنمارك :

١ - جزر فوiero Faeroe شمال الأطلسى

٢ - جرينلاند Greenland شمال الأطلسى

(حـ) النرويج

١ - جان ماين Jan Mayen المحيط القطبي الشمالى

٢ - سفلبارد Svalbard المحيط القطبي الشمالى

(ط) البرتغال

١ - مكار Macau ساحل الصين

(ى) إسبانيا

١ - سبتة ومليلة مدن بالمملكة الغربية

سادسا : القارة القطبية الجنوبية

تبلغ مساحة القارة القطبية الجنوبية ١٤,٢٠٠,٠٠٠ كيلو متر مربع ، وهى مغطاة بكميات هائلة من الجليد المتراكم بما يمثل ٩٠ ٪ من جملة هذا الجليد على الأرض ، ويقدر بحوالى ٣٥ مليون كيلو متر مكعب ، وبمتوسط سمك حوالى ٢٠٠٠ متر ، وقد تكون هذا الجليد منذ حوالى ٤٠ مليون سنة .

ويؤثر تراكم الجليد والتيار البارد الذى ينتج عنه فى المحيط الجنوبى الذى يشمل الأجزاء الجنوبية من كل من المحيطات الهادى والأطلنطى والهندي ، يؤثر ذلك فى مناخ العالم ، كما أن غنى التيار البارد بالغذاء يؤثر فى مصادر الأسماك وحركة الصيد .

ولفترة طويلة كانت القارة القطبية الجنوبية تظهر على الخرائط وكأنها مقسمة بين عدد من الدول ذات المصالح ، وكانت خطوط السيطرة تخرج من نقطة القطب الجنوبى فى شكل خطوط هندسية مستقيمة تتفق مع خطوط الطول غالبا ، فمثلا كانت المنطقة التى تدعى النرويج السيطرة عليها تمتد بين خط طول ٤٥ شرقا وخط ٢٠ غربا حيث تبدأ المنطقة التابعة لبريطانيا والتى تمتد بين ٢٠ غربا و ٨٠ غربا ، وهكذا .

غير أن أهم ما كان يوجد على هذه المساحة الهائلة هو محطات ومراكز البحوث التي تديرها بعض المؤسسات العلمية والعسكرية للدول ذات الاهتمام ، وكانت توجد كثير من الادعاءات عن حقوق فى ملكية مساحات من القارة القطبية الجنوبية دون وجود فعلى على هذه المساحات الهائلة الخالية من السكان وإن كانت مسرحا للحيوان البرى .

وفى أول ديسمبر ١٩٥٩ وقعت معاهدة بين الدول المعنية وعددها ١٢ دولة وعرفت بمعاهدة القارة القطبية الجنوبية وتقصر بنود المعاهدة استخدامات القارة القطبية الجنوبية على الأهداف والبحوث العلمية غير العسكرية ، وهذه الدول هى الأرجنتين ، استراليا ، بلجيكا ، شيلي ، فرنسا ، اليابان ، نيوزيلند ، جنوب إفريقيا ، الاتحاد السوفيتى ، المملكة المتحدة والولايات المتحدة . وتمثل هذه المعاهدة أمرا غير مسبوق فى الدبلوماسية الدولية ، وهى تحظر أى ادعاءات بحقوق الملكية فى أنحاء القارة القطبية الجنوبية فى المستقبل وتنص على حظر إجراء التجارب النووية أو دفن النفايات النووية على أى مسطحات فى القارة ، كما يصدق شرط حظر إجراء التجارب النووية حتى دائرة عرض ٦٠ جنوبا فيما عدا أعالي البحار التى تخضع للقانون الدولى ، وأن من حق دول العالم جميعا أن تتحقق من عمليات تطبيق بنود المعاهدة .

كما رفضت كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى رفضا قاطعا أى مطالب إقليمية فى أراضي القارة ، وكانت قد رفعت بعض القضايا ، نتيجة للمنازعات والمطالب الإقليمية بين عدد من الدول مثل الأرجنتين وشيلي أمام محكمة العدل الدولية .

ثم تزايد عدد الدول الموقعة على اتفاقية القارة القطبية الجنوبية إلى ٣٢ دولة ، كما أن القرارات التى اتخذها كل من مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم

المتحدة وبقية المنظمات الدولية تقرر أن أى ثروات أو معادن يمكن اكتشافها مستقبلا فى القارة القطبية الجنوبية تخضع لنظام استثمار يجب أن يضع فى اعتباره دول العالم جميعا التى يمكن أن يتألفها نصيب من هذه الثروة ، أى ألا تكون حكرا لعدد من الدول الكبرى بل لكافة الدول الأعضاء فى المجتمع الدولي .

مراجع عامة

- ١ - أحمد على إسماعيل ، أسس علم السكان ، وتطبيقاته الجغرافية ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٨٩ .
- ٢ - أحمد على إسماعيل وآمال إسماعيل شاور ، إفريقيا المعاصرة ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٨٩ .
- ٣ - صلاح الدين بحيرى ، مبادئ الجغرافيا الطبيعية ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٧٨ .
- ٤ - محمد صبحى عبد الحكيم ، دراسات فى الجغرافيا العامة ، النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٠ .
- ٥ - محمد صفى الدين أبو العز ، قشرة الأرض ، النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٦ .
- ٦ - مصطفى الشلقانى ، طرق التحليل الديموجرافى ، مطبوعات ، جامعة الكويت ، ١٩٨٢ .

7 - Boggs , S.W. , International Boundaries , Columbia Univ. Press , New York , 1940 .

8 - De Blij , Harm , Human Geography , John Wiley , New York , 1977 .

9 - Ehrlich , P.R. et al , Ecoscience , Population , Resources , Environment , Freeman , San Francisco , 1977 .

10 - Encyclopaedia Britannica , Book of the Year 1994 , Chicago .
1993 .

11 - Finch, V.C. et al, Elements of Geography, Tosho, Tokyo , 1957.

12 - Kosinski , I.A . and Brothero , R.M. , People on the Move ,
Methuen, London, 1975 .

13 - Monkhouse , F.J. , and Wilkinson , Maps and Diagrams , Me-
thuen , London , 1966 .

14 - Strahler , A.N. and Strahler , A.H. ,Modern Physical Geography ,
John Wiley , Toronto , 1978 .

15 - Stamp , L.D. , The World , A General Geography , Longmans ,
London , 1960 .

16 - Valkenburg , S . V . and Stety , K . , Elements af Political
Geography ,Printce - Hall , New Jersey , 1960 .

فهرس الخرائط والأشكال

رقم الشكل	موضوع الشكل	الصفحة
١ -	نماذج من رموز الخرائط	٣٣
٢ -	نماذج لمقاييس الرسم الخطية	٣٩
٣ -	دوائر العرض وخطوط الطول	٤٧
٤ -	خط التاريخ الدولي	٤٧
٥ -	عبور خط التاريخ الدولي	٤٧
٦ -	مظاهر السطح فى آسيا	٥٦
٧ -	هضاب وجبال آسيا	٥٩
٨ -	تضاريس إفريقية	٦٣
٩ -	سطح أمريكا الشمالية	٦٤
١٠ -	تضاريس أمريكا الجنوبية	٦٦
١١ -	تضاريس أوروبا	٦٧
١٢ -	امتداد السلاسل الجبلية فى حوض البحر المتوسط	٦٨
١٣ -	تضاريس استراليا	٧٠
١٤ -	مناطق النشاط الزلزالى والبركانى	٧١
١٥ -	توزيع السكان	١٠٦
١٦ -	شكل دولة شيلي	١٤٩
١٧ -	مناطق الفحم والبتروىل	١٥٨
١٨ -	مناطق الصناعة فى العالم	١٦٢
١٩ -	أقسام المناطق الساحلية	١٨١
٢٠ -	إفريقيا السياسية	١٩٦

رقم الشكل	الموضوع الشكل	الصفحة
٢١ -	أوروبا السياسية	٢١٠
٢٢ -	أمريكا الشمالية والوسطى	٢١٨
٢٣ -	دول أمريكا الجنوبية	٢١٩
٢٤ -	دول الاتحاد السوفيتى السابق	٢٢٠
٢٥ -	دول يوغوسلافيا السابقة	٢٢١

فهرس الموضوعات

- مقدمة ٣
- الفصل الأول : علم الجغرافيا ، تعريفه ، تطوره وفروعه ٥ - ٢٣
- ما هي الجغرافيا ٦ ، تطور علم الجغرافيا ٧ ، الحتم البيئي ٩ ،
المدرسة الإمكانية ١٠ ، فروع علم الجغرافيا ١٢ ، الجغرافيا
الطبيعية ١٣ ، فروع الجغرافيا البشرية ١٥ ، تقسيمات
جغرافية أخرى ٢٢ .
- الفصل الثاني : الخريطة واستخدامها ٢٤ - ٤٣
- تعريف الخريطة ٢٤ ، الخريطة والجغرافيا ٢٥ ، أنواع الخرائط
٢٦ ، قراءة الخريطة ٣١ ، مقياس الرسم ٣٥ ، استخدام الخريطة
في الميدان ٤٠ ، الخريطة والعمل السياحي ٤٢ .
- الفصل الثالث : المعالم الطبيعية للأرض ٤٤ - ٨٠
- دوائر العرض وخطوط الطول ، ٤٥ ، الغلاف الحيوي ٤٩ ،
تصنيف أشكال الأرض ٥٠ ، الانحدار ٥١ ، الرواسب السطحية
٥٠ ، النمط ٥٠ ، الأبعاد ٥١ ، الأشكال الرئيسية لسطح
الأرض ٥٢ ، السهول ٥٤ ، توزيع السهول على قارات العالم ،
٥٧ ، السهول الآسيوية ٥٧ ، السهول الأفريقية ٥٨ ، سهول
أمريكا الشمالية ٥٩ ، سهول أمريكا الجنوبية ٦٠ ، السهول
الأوربية ٦١ ، سهول استراليا ٦٢ : الجبال ٦٢ ، المرتفعات
الجبلية حول المحيط الهادى ٦٥ ، النطاق الجبلى فى جنوب أوربا
ووسطها وشرقها ٦٨ ، المناطق الجبلية الأخرى ٧١ : الهضاب
٧٢ ، الهضاب الآسيوية ٧٣ ، الهضاب الأفريقية ٧٣ ،

الهضاب الأوربية ٧٤ ، الهضاب الأمريكية ٧٥ ، هضاب
أستراليا ٧٦ : التلال ٧٦ ، تلال آسيا ٧٦ ، التلال الإفريقية
والأوربية ٧٧ ، التلال فى الأمريكتين وأستراليا ٧٨ : الغلاف
المائى ٧٨ .

الفصل الرابع : السكان ٨١ - ١٢٥

نمو السكان ٨٢ ، المواليد ٨٣ ، الوفيات ٨٥ ، الزيادة الطبيعية
٨٦ ، الأنماط العامة للزيادة الطبيعية ٨٨ : الهجرة ٨٩ ،
أسباب الهجرة ونتائجها ٩١ ، التغير السكاني والتنمية ٩٣ ،
أنسب السكان ٩٣ ، الافتقار السكاني ٩٤ ، الاكتظاظ
السكاني ٩٥ ، نمو سكان العالم ٩٦ ، توزيع السكان وكثافتهم
١٠٠ ، العوامل المؤثرة فى توزيع السكان ١٠٣ ، العوامل
الجغرافية ١٠٣ ، العوامل الاجتماعية والاقتصادية ١٠٥ ،
سكان المدن وسكان الريف ١٠٧ : تركيب السكان ١١١ ،
التركيب النوعى ١١١ ، التركيب العمرى ١١٣ ، أهرام السكان
١١٤ ، حجم الأسرة ١١٦ ، الحالة الاجتماعية ١١٧ : التركيب
الاقتصادى للسكان ١١٩ ، صور أخرى من تركيب السكان
١٢٢ ، التركيب الدينى ١٢٢ ، التركيب العرقى ١٢٣ ،
المواطنة ١٢٤ ، الحالة التعليمية ١٢٥ .

الفصل الخامس : العناصر الجغرافية للدولة ١٢٦ - ١٦٥

مقومات الدولة ١٢٦ ، عوامل المكان : الموقع ١٢٨ ، الحجم
١٤٣ ، الشكل ١٤٨ ، العوامل السكانية ١٥٣ ، الموارد
الاقتصادية والنقل والتجارة الدولية ١٥٤ ، الموارد الزراعية
١٥٦ ، التعدين ١٥٧ ، الصناعة ١٦٠ ، التجارة الدولية
والنقل والمواصلات ١٦٣ .

الحدود والتخوم ١٦٧ ، وظائف الحدود السياسية ١٧٠ ، فيما يتعلق بالأشخاص ١٧٠ ، فيما يتعلق بالسلع ١٧١ ، أنواع الحدود السياسية ١٧٢ ، الأنهار كمثال للحدود الطبيعية ١٧٤ ، السواحل كحدود طبيعية ١٧٨ ، المياه الداخلية ١٨١ ، البحر الإقليمي ١٨٢ ، المنطقة المجاورة ١٨٢ ، الرفوف القارية ١٨٢ ، البحر العالي ١٨٢ ، الحدود الهندسية ١٨٣ .

الخريطة السياسية لأفريقيا ١٨٩ ، مؤتمر برلين ١٨٨٥ وتقسيم إفريقيا ١٩١ ، إفريقيا بين ١٩٥٠ و ١٩٩٥ - ١٩٤ ، الخريطة السياسية لآسيا ٢٠٠ ، الخريطة السياسية لأوروبا ٢٠٨ ، أثر سقوط الشيوعية ٢١٣ ، الخريطة السياسية للعالم الجديد ٢١٧ ، المستعمرات والأقاليم التابعة ٢٢١ ، القارة القطبية الجنوبية ٢٢٥ .

٢٢٨ مراجع عامة ..

٢٣٠ فهرس الخرائط والأشكال ..

٢٣٢ فهرس الموضوعات ..

